معرفة اللغة

تأليف : چورچ يول

ترجمة
أ.د. محمود فراج عبد الحافظ



ت ٠٣/٥٣٥٤٤٣٨: اسكندرية

معــرفة اللغــة

تأليف: جورج يول

ترجمـــه

أ. د. محمود فراج عبد الحافظ

أستاذ العلوم اللغوية

النــاشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

ت وفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - اسكندرية

العنوان الأصلي للكتاب :

The study of language
An introduction
by:
George Yule
Louisiana State University

Cambridge University Press ,Great Britain ,
1995 .

المحتويات

ص

مقدمة المترجم

لعل من نافلة القول التأكيد على أن اللغة أبرز المظاهر الحضارية لدى البشرية ، فهى البيان المعبر عما بالوجدان ، والملكة الإنسانية التى تتميز عن منطق وإشارة الحيوان

وتعظم حاجتنا لفهم اللغة التي نمارسها ، والإلمام بها ، والتعرف على خصائصها وإمكاناتها ، لما وراء ذلك من أثر ذى خطر على التواصل بين بنى البشر ، ويتبع ذلك تيسير الإفادة من طاقات اللغة وإبداعاتها فيما اختلف من ظروف وأحوال .

ولقد طوف المؤلف فى أرجاء الدراسات اللغوية ، واستعرض كثيرا من جوانبها ، فما من شك أن الدراسة حول اللغة وداخلها قد تكاثرت وتواترت ، فتعددت مناهجها وتنوعت ، وشغل الباحثون أنفسهم بما اتسع وترامى من جوانبها .

فمن متأمل لتاريخها السحيق ، الضارب في أعماق التاريخ ، محاولا الوصول إلى أولياتها ، والكشف عن أسرارها ، أهى من السماء تنزلت ، أم من الأرض قد انبثقت ؟ أو متأمل لصورتها المكتوبة ، وكيف بدأت من نقوش الكهوف وألواح الطين ، إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه من حروف هجائية معروفة ، أو أبجديات دقيقة .

ويستهوى الإنسان أن يناظر بين لغة الإنسان وإشارات غيره من المخلوقات ، ورجح هذا التناظر تميز الإنسان وتفرده بما أودع فيه من قدرات لغوية ، راح المؤلف يعددها ، ويبرز ما تفردت به من خصائص .

وللغة مستويات للدرس ، تتنوع بين الأصوات والبنية والتراكيب والدلالة ، وقد تناولها المؤلف ، مستعرضا أحدث الاتجاهات فى دراستها ، شارحا لمصطلحاتها المتداولة بين دارسيها ، إلى جانب المناهج الحديثة كالبراجماتية وتحليل الخطاب .

وعمل الباحثون دأبا بغية الوصول إلى فهم طبيعة اللغة لدى الإنسان ، وقد استغرقهم شغفهم هذا فتطلعوا إلى تصنيع الكلام ، وإنتاج الآلات الناطقة لخدمة البشرية ، فتطورت برمجيات الحاسوب ، مفيدة مما توصل إليه الباحثون من أسرار اللغة البشرية .

وعن مراكز اللغة فى الإنسان ، يعرض المؤلف دور هذه المراكز بالمخ البشرى ، وأثرها

في المقدرة اللغوية ، وكيف أن التلف أو العطب بها يعطل كلام الإنسان ويحول دون البيان والإفصاح عن أغراضه ، بسبب ما ينشأ من حبسة ، فيلجأ إلى لغة الإشارات ، ويستعرض المؤلف إمكانات لغة الإشارات لدى الصم ، ثم يعرج على أثر المقدرة اللغوية لدى الإنسان في اكتسابه لغته الأولى أو لغته الأم ، وكذلك في اكتسابه وتعلمه لغته الثانية .

ومن إطلالة واسعة على لغات العالم يبحث المؤلف تقسيم اللغات في العالم إلى عائلات ، ويعرض توزيعا لعائلة اللغات الهندية الأوروبية ، وذلك لإبراز ما بين تلك اللغات من علائق وصلات ، وأن اللغة قد تتفرع إلى لهجات ثم قد تنفصل اللهجات لتصير لغات باستقلال ، وقد تبقى لهجة أو لغية باتباع ، ويتعايش أصحاب مختلف اللهجات في مجتمع واحد ، ويتمايزون ، وتقع بينهم الحدود اللهجية الفاصلة بين مناطقهم .

وللغة تغايرات وتنويعات في المجتمع الواحد ، بمختلف الاعتبارات كالعمر والجنس والمكانة الاجتماعية ، فلغة الرجل تختلف عن لغة الطفل ، ولغة المرأة غير لغة الرجل ، وهناك لغة المعلم ، ولغة رجل القانون ، ولغة رجل الدين ، ولغة الحرفيين ، فيمكنك أن تحدد من اللغة الطبقة التي ينتمي إليها المتكلم .

والكتاب جدير بالقراءة ، يغرى بالاطلاع ، فهو بداية للمجتهد ونهاية للمقتصد ، فإن كان يخدم دارس اللغة ، فإنه يقدم زادا ثقافيا لغير المتخصص ، ويعرض مع قدر ملحوظ من التبسيط للمباحث اللغوية ونظريات اللغة ومصطلحاتها .

ولا تحسبن المقدرة اللغوية ما بدا لك من ألفاظ وعبارات ، فوراء ذلك أجهزة جوانية في الإنسان ، ولسوف يؤدى بنا تأملنا اللغة ودراستها إلى خصوصية الإنسان ، وامتيازه عن غيره من المخلوقات ، كما يؤكد ذلك ذاتيته ، بالإضافة إلى البيئة والمجتمع الذى يقطنه ، ويمارس فيه لغته ، ويتواصل مع أفراده ، فالفطرة والاكتساب جناحان لغة لاغنى عن أي منهما ، ولهما من الدور ما لهما فيما يتعلق بالمقدرة اللغوية .

حليم الإسكندرية — د. محمود فراج عبد الحافظ

ديسمبر ١٩٩٨م

تمهيد

لقد حاولت في إعداد هذا الكتاب تقديم استعراض عن المعروف عن اللغة، والمناهج التي اتبعها اللغويون للوصول إلى تلك المعلومات، ولا يزال كثير من التساؤلات لم يتم الفصل فيها، وأن علم اللغة الذي يعرف غالبًا بأنه الدراسة العلمية للغة يعد إلى حد ما علمًا حديثًا، وفي الحقيقة فإن لابن اللغة معرفة واعية لا شعورية بكيفية عمل اللغة أكثر من قدرة اللغوي على وصفها، ومن ثم لتكن لك عند قراءتك للفصول التالية نظرة نقدية فيما يتعلق بمدى تأثير الشروح والتحليلات والفروض التي تقدم، وذلك بمقابلتها بما توفر لديك من حدس عن أداء لغتك، وفي ختام الكتاب ستدرك أنك تقف على الكثير من التركيب الداخلي للغة (الشكل) واستعمالاتها المتعددة في حياة الإنسان (الوظيفة) ، كما أنه بمقدورك أن تثير كثيرًا من التساؤلات التي يثيرها اللغويون المتخصصون.

وفي نهاية كل فصل تجد عددًا من المراجع الإضافية التي تعينك على الإحاطة الواسعة بموضوعات الكتاب، مما يقفك على تفصيلات أشمل مما ورد بهذا المختصر.

....

وترجع أصول هذا الكتاب إلى بعض المقررات الوجيزة عن اللغة، والتي كانت مقررة بجامعة ادنبرج وجامعة منيسوتا، وإلى اقتراحات مئات الطلاب وملاحظاتهم، مما جعلني أقدم لهم ما أود أن أقوله لهم بطريقة يفهمونها، وقد تطورت المادة الأصلية لهذا الكتاب لتلائم طلاب الدراسات الحرة بجامعة

ميسوتا، الذين أدى تفاعلهم إلى تغييرات أخرى نحو ما كنت أرجوه من الاتساق والوضوح.

وبطبيعة الحال لم يظهر هذا الكتاب بهذه الصورة دون مساعدة كثير من الأصدقاء والزملاء، فأود أن أخص بالإشادة بالتشجيع والنصائح الصادرة عن كل من جل، وكيث برون، وبني كارتر، وفرايد إركو، وديانا فرتز، وكاثلين هوليهان، وتوم ماك آرثر، وجيم ميلر، وروكي ميراندا، وإريك نيلسون، وساندرا بنكيرتون، وزتش ريردون، وجيرالد ساندرز، وإلين تارون، وميشيل تروفانت، وكذلك ويلي يول، وآني يول لأجل إصدار هذا المقرر الأولي.

جورج يول

الفصل الأول

أصول اللغة

تلتمس نشأة اللغة من شاعرية الحياة لا من معاناتها، فليس مصدر الكلام الجدية الصارمة ولكن مصدره بهجة اللهو ومرح الشباب ففي الكلام البدائي أسمع ضحكات الابتهاج عندما يتنافس الفتية ومحبوباتهم في جذب كل منهما الجنس الآخر، وكذلك عندما يقدم كل فرد أحلى أغانيه وأبدع رقصاته ليحظى بنظرات الإعجاب، فاللغة تولد في أبهى أيام الإنسان. (أوتو يسبرسن ١٩٢١م).

يرى يسبرسن أن لغة الإنسان تنشأ من متعته بالحياة، وهذا من أقوى الفروض فيما يتعلق بأصول اللغة، ومع ذلك فقد ظل حتى الآن فرضًا، فبصراحة لا نعلم كيف نشأت اللغة، وإن كنا نعلم أن اللغة المنطوقة أسبق من اللغة المكتوبة، فحتى عند اكتشافنا لآثار حياة الإنسان على الأرض التي تمتد لنصف مليون من السنين فإننا لا نتوصل لدليل مباشر يتعلق بكلام أجدادنا القدامى؛ فليس على سبيل المثال بين العظام البالية آثار قديمة تخبرنا كيف كانت اللغة في الأحقاب السحيقة، وربما لغيبة الدليل المادي انفسح المجال للافتراضات حول أصول الكلام البشري، وفي هذا الفصل سنتعرض لأهم هذه الافتراضات.

المصدر الإلهي Devine source:

وهذه هي النظرية القائلة بأن الله خلق آدم، وحسبما ورد في سفر التكوين (١٩/٢) (وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها) وفي المقابل نجد في التراث الهندي أن اللغة جاءت من الإلهة ساراسفاتي، زوجة براهما (الذات العليا) خالق الكون، وفي معظم الديانات يتبين أن المصدر الإلهي قدم اللغة للإنسان،وفي محاولة لإعادة اكتشاف هذه اللغة الإلهية الأصلية أجريت عدة تجارب حيث كانت نتائجها مشكلة، فالفرض الأساس هو أنه إذا أمكن للمواليد أن تنمو دون سماع لغة، فأنهم يأخذون في الحال يستعملون اللغة الإلهية الأصلية المعطاة لهم، وقد حاول أحد فراعنة مصر واسمه بزماتيك التجربة على وليدين في نحو سنة ٦٠٠ق.م، وبعد سنتين من رفقة الغنم والراعي الأبكم تبين أن الطفلين قد نطقا، ليس بكلمية مصرية وإنما بكلمة فرجية* بيكوس Bekos وتعني الخبز، فلم يلتقط الطفلان الكلمة من مصدر بشري، ولكن كما أشار كثير من المعلقين لعلهم سمعوا ما قالته الغنم.

وقد أجرى جيمس الرابع باسكوتلندا تجربة مماثلة في نحو سنة ١٥٠٠ ميلادية وأسفرت نتيجة التجربة عن نطق الأطفال بالعبرية، ومما يؤسف له أن نتائج كل الحالات الأخرى لأطفال اكتشفوا معزولين، دون أن يكون لهم اتصال بكلام البشر، لا تتوافق مع نتائج أي من تجارب المصدر الإلهي تلك، فالأطفال الذين يعيشون دون أن يسمح لهم بالكلام البشري في سني حياتهم

---

* فرجيا القديمة بآسيا الصغرى (المترجم).

المبكرة، ينشأون على غير لغة على الإطلاق (سنتعرض لحالة مثل هذا الطفل في الفصل الرابع عشر).

فلو كانت اللغة قد انبثقت عن المصدر الإلهي، فليس لدينا وسيلة لإعادة بناء تلك اللغة الأصلية، خاصة أحداث مدينة تسمى بابل (لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض) (التكوين ١١/٩).

مصدر أصوات الطبيعة: The natural sounds source

وهي وجهة نظر عن بداية الكلام البشري مختلفة غاية الاختلاف عما سبق، وتقوم على مفهوم (أصوات الطبيعة) وتفترض أن الكلمات البدائية جاءت محاكاة لأصوات الطبيعة التي سمعها الرجال والنساء من حولهم، فعندما طار شيء محدثًا صوتًا مثل كاوكاو، فإن الإنسان الأول قد حاكى ذلك الصوت واستعمله في الإشارة للشيء مرتبطًا بصوته، وعندما أحدث جسم طائر آخر صوت كوكو فإن هذا الصوت الطبيعي قد اتخذ للإشارة إلى ذلك الشيء، واشتمال كل اللغات الحديثة على بعض الكلمات التي يبدو نطقها محاكيًا لما يحدث في الطبيعة من أصوات يؤكد هذه النظرية، ففي الانجليزية يوجد بالإضافة إلى واقواق Cuchoo نجد: الصراخ screech هسهسة الأفعى hiss، أزيز Buzz خشخشة/قعقعة rattle، هدير الأمواج boom، قرع bang، رشاش الماء splash، وصيغًا مثل: بو - وو - bow wow، ويطلق في الواقع على هذه النظرية (نظرية البووو) _ bow) wow - theory) عن أصل اللغة، فبينما نوقن بوجود عدد من الكلمات

في أية لغة تحاكي أصوات الطبيعة onomatopoeic، فإنه من الصعب أن نجد أن الأشياء غير الصوتية في عالمنا (لا تذكر المجرد) يشار إليها في اللغة على أنها تحاكي أصوات الطبيعة، وينبغي الشك في النظرة التي تفترض أن اللغة ما هي إلا مجموعة من الكلمات التي تسمي بها الأشياء.

كما أنه يفترض أن الأصوات الأصلية للغة جاءت من صيحات طبيعية نتيجة لانفعال مثل الألم والغضب والفرح، وعلى هذا النحو فإن كلمة آخ Ouch تحمل ملامح الألم connotations، غير أنه قد تبين أن الضوضاء التي يعبر بها الناس عن ردود أفعالهم الانفعالية تشمل أصواتًا غير مستعملة في لغتهم وبناء على ذلك لا تعد من مصادر الأصوات.

وهناك افتراض عن أصوات الطبيعة يعرف بنظرية أصوات الانفعالات Yo-heave-ho التي تجعل من أصوات الإنسان في أثناء المجهود البدني مصدرًا للغتنا خاصة عندما يصدر هذا المجهود عن مجموعة متوافقة من الناس، ولذلك فلعل مجموعة من قدامى البشر قد صدر عنهم ألفاظ الزفرات والتأوهات والسباب التي استعملوها في أثناء رفع قطع الأشجار أو حملها، وتسفر هذه النظرية عن تطور لغة الإنسان عن طريق السياق الاجتماعي فأصوات الإنسان الناتجة بها بعض المبادئ التي تستعمل في إطار الحياة الاجتماعية في المجتمع الإنساني وهذه فكرة مدهشة على الرغم من أنها لا تزال افتراضًا حيث تشير إلى استعمال الأصوات الصادرة عن الإنسان، وبرغم ذلك فهي لا تحل المشكلة التي تتعلق بأصول الأصوات الصادرة

فالقرود والرئيسات* الأخرى قد صدر عنها زفرات وصيحات اجتماعية ومع ذلك لم يكن لديها المقدرة على الكلام.

مصدر الإيماء والنطق: The oral-gesture source

وهذا افتراض يتعلق بأصول أصوات اللغة يتضمن علاقة بين الوضع المادي وأصوات النطق الناتجة وليس من المعقول أن للإيماء الطبيعي – بما يشمل الجسم كله – وسائله التي تشير إلى مجال واسع من الحالات الانفعالية أو المقاصد فكثير من الإيماءات المادية التي تستعمل الجسد والأيدي والوجه تعد من وسائل التواصل غير اللفظية التي لا يزال يستعملها الإنسان الحديث حتى مع مهاراته اللغوية المتطورة.

وتفترض نظرية الإيماء والنطق علاقة متميزة حقًا بين الإيماء المادي والإيماء الشفوي، وتزعم أنه في الأصل قد ظهرت مجموعة من الإيماءات المادية بوصفها وسائل للتواصل، ثم ظهرت مجموعة إيماءات شفوية تتعلق خاصة بالفم، حيث تتوافق حركات اللسان والشفتين وغيرها مع أنماط الإيماءات المادية، ويمكنك أن تحسب حركة اللسان (إيماء شفوي) في رسالة (وداعًا) بوصفها تمثيلاً للتلويح باليد أو بالذراع (إيماء مادي) لرسالة مماثلة، ويبدو هذا الافتراض غريبًا حتى بما يتضمن مما يسمى (تمثيل إيمائي مخصوص للسان والشفتين) الذي قدمه سير ريتشارد باجت (١٩٣٠)، ويمكننا حقًا استعمال التمثيل الجسدي، أو إيماءات معينة لعديد من أغراض التواصل ولكن من الصعوبة بمكان تصور الجانب اللفظي الحقيقي الذي يتطابق مع تلك الإيماءات، وفضلاً عن ذلك فهناك عدد هائل من الرسائل اللغوية التي

---

* الرئيسات هي رتبة من الثدييات تشمل الإنسان والقرود... (المترجم).

يتعذر توصيلها بواسطة هذا النوع من الإيماء، وإليك تجربة بسيطة، حاول مستعملاً الإيماء لا غير لأن توصل الرسالة التالية لشخص آخر من جنسك: عمي يعتقد أنه خفي، وكن مستعدًا للكثير من سوء الفهم.

التلاؤم الفسيولوجي: Physiological adaptation

وهو أحد الفروض التي تتناول أصل الكلام البشري، ويركز على بعض الجوانب المادية في الإنسان، التي تميزه عن غيره من الكائنات حتى وعن المخلوقات الرئيسيات الأخرى، ولا يعتقد أحد أن هذه المظاهر المادية تكيف جزئي لا تؤدي بنفسها إلى انتاج الكلام، ولكنها تمثل مفاتيح جيدة تمكن الكائن من القدرة على الكلام.

فأسنان الإنسان خلقت قائمة لا ناتئة مائلة للخارج **slanting** كأسنان القرود وغير متساوية في ارتفاعها، وليست هذه الخصائص لازمة لهضم الطعام، ولكنها تعين على أداء بعض الأصوات مثل: **F,V,Th** كما أن بشفتي الإنسان عضلات دائرية أكثر إحاطة لهما من البدائيات الأخرى مما يزيد من مرونتها فيسهل أداء الأصوات الشفوية مثل **P,b,w** وكذلك فم الإنسان صغير يمكن فتحه وإغلاقه بسرعة، وفيه اللسان فائق المرونة الذي يساعد على تشكيل أنواع متعددة من الأصوات.

وحنجرة الإنسان أو صندوق الصوت (ويشمل الأوتار الصوتية) تختلف كثيرًا في موضعها عن حنجرة القردة، وفي مجرى النمو المادي للإنسان فقد ترتب على الوضع القائم للإنسان نمو رأسه أمامًا في حين توجد الحنجرة أسفلها، وقد أدى ذلك إلى وجود تجويف طويل يسمى البلعوم أعلى الأحبال الصوتية، حيث تتجلى وظيفته في إكساب الرنين للأصوات الحنجرية، ولا يعيب موضع حنجرة الإنسان إلا ما يعتري الإنسان من الغصة

بقطعة طعام، ونلاحظ عجز القردة عن استعمال الحنجرة في إنتاج أصوات الكلام، ولكنها لا تعاني من مشكلة دخول الطعام إلى القصبة الهوائية.

ومخ الإنسان تخصصي التشريح **lateralizezed** فله وظائف تخصصية في كل من نصفيه الكرويين، وهي وظائف تحليلية كاستعمال الآلات واستعمال اللغة، وهذه الوظائف تتركز في النصف الكروي الأيسر في معظم البشر، وربما يرتبط استعمال الآلة وقدرات استعمال اللغة لدى البشر بعلاقة تطورية، وكلاهما يرتبط بنمو المخ البشري، ويتطلب معظم النظريات الأخرى عن أصل الكلام أن ينتج الإنسان ضوضاء مفردة أو أوضاعًا لتعيين أشياء في بيئته، وربما كان هذا النشاط يمثل مرحلة حاسمة في تطور اللغة، ولكن ما ينقصه هو وجود عنصر ممارسة **manipulative** فكل اللغات بما فيها اللغة الرمزية تتطلب تشكيل الأصوات أو العلامات وارتباطها في تراكيب خاصة، وهذا يلزمه التخصص في بعض أجزاء المخ (سنعود إلى هذا الموضوع في فصل ١٤).

وبالقياس على استعمال الآلة (التناول الآلي) فليس كافيًا أن تلتقط هزازة واحدة **Rock** (تنتج صوتًا واحدًا) بل على الإنسان أن يلتقط أخرى (أصوات أخرى) لتلتحم بإحكام مع الأولى، وباصطلاح التراكيب اللغوية فلعل الإنسان قد تكونت أولاً لديه القدرة على تسمية الأشياء بإصدار ضوضاء معينة (نحو بير **beer**) أطلقها على شيء بعينه، ثم كانت الخطوة الحاسمة بعد ذلك هي إصدار ضوضاء أخرى معينة (نحو حسن **good**) متركبة مع الضوضاء السابقة لتكوين رسالة مركبة (**beer good**) وبعد مئات الآلاف من السنين من التطور صقلت لديه ملكة تكوين الرسائل إلى

حد أنه في عطلة السبت وفي أثناء مشاهدته لكرة القدم يحتسي شرابًا منعشًا ويصبح الشراب لذيذ، ولكن الرئيسات الأخرى لا يمكنها ذلك.

الكلام والكتابة: Speech and writing

لقد صدر عن بني البشر تقليد للأصوات الطبيعية مثل cuckoo و ding-dong، كما صدر عنهم صرخات تعبر عن انفعالاتهم مثل ugh,wow و oops وصاحب ذلك إيماءات جسمانية كالإشارة ورفع الذراع المشدود وانحناء الكوع، وكل هذه الضوضاء والإيماءات تميز إحدى الوظائف الكبرى لاستعمال اللغة، تلك الوظيفة التي تعرف بالوظيفة الانفعالية interactional التي تثير كيف تمكن بنو الإنسان من استعمال اللغة في التعامل فيما بينهم اجتماعيًا وانفعاليًا، وكيف يعبرون عن الصداقة والتعاون أو العدوان أو الضيق والألم أو السرور، ولكن للغة وظيفة كبرى أخرى وهي الوظيفة التواصلية Transactional حيث يستعمل بنو البشر قدراتهم اللغوية لتوصيل المعرفة والمهارات والمعلومات. وإذا تصورنا أجدادنا القدماء من ساكني الكهوف ذوي الشعر الطويل، الذين يصيحون ويلوكون العظم، ويغاعسون زوجاتهم، فإننا نأسف حين نعلم أن كثيرًا من تلك الزفرات رسائل لإرشاد الصغار من أولاد وبنات في الكهوف عن الطريقة المثلى لتناول العظم في أثناء المضغ، وقد تطورت الوظيفة التواصلية لتوصيل المعرفة من جيل لآخر، ووظيفة التوصيل هذه ظلت مرتبطة بالزمان والمكان مادامت موجودة في الكلام لاغير، ولكن الكلام في الطبيعة عابر، ولذلك فإن الرغبة في الوصول إلى تسجيلات ثابتة عما علمناه هو الدافع الأساس وراء تطور الرموز والنقوش، وأخيرًا تطور اللغة المكتوبة.

الفصل الثاني

تطور الكتابة

ليست الكتابات الدينية سوى
أن تقر العين بالإنجيل كما يشنف
الصوت الأذن، فللإرسال الصوتي
اليد العليا من التأثيرات التي تختلف
باختلاف أحوال المصلين الذين
يستمعون إليه دافئاً دفء حليب
الثدي، لكن للكتب ميزة في جوانب
أخرى، فلا تستطيع أن تقرأ واعظًا
مقتدرًا إلا إذا وجدت من يسمع،
وقد يصمت الوعاظ أو يصمدون، في
حين يبقى الكتاب في متناول اليد،
كما أن كلفتها أقل من كلفة الكهنة،
وإذا اختيرت بعناية تصير مواعظ
أليفة، وحاضرة، دائمة، حكيمة،
موضوعية، وإيجابية، وقوية، وهي
دائمًا عظيمة النفع لخلاصك.

ريتشارد باكستر (١٦٧٣)

في معرض الحديث عن تطور الكتابة، ينبغي أن نضع في الحسبان أن عددًا هائلاً من لغات العالم اليوم لا تستعمل إلا في صورتها المنطوقة، وتفتقر إلى الرموز الكتابية، وهذه اللغات التي لها نظم للكتابة فإن تطور الكتابة كما نعلم عنها يعد إلى حد ما ظاهرة حديثة، وسنتتبع أثر محاولات الإنسان في

تكوين معلومات مرئية، وذلك بالعودة إلى نقوش drawing الكهوف الـتي بدأت على الأقل منذ ٢٠,٠٠٠ سنة، أو من الآثار الطينيـة clay tokens منذ حوالي ١٠,٠٠٠ سنة التي زاد الاهتمام بهـا حديثًـا مـن قبـل المكتبـات، ولكن هذه المنتوجات تعد أوعية قديمة للكتابة، كما يمكن تتبع تطور الكتابـة التي تقوم على الخطوط الألفبائية في وثائق يرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠ سنة.

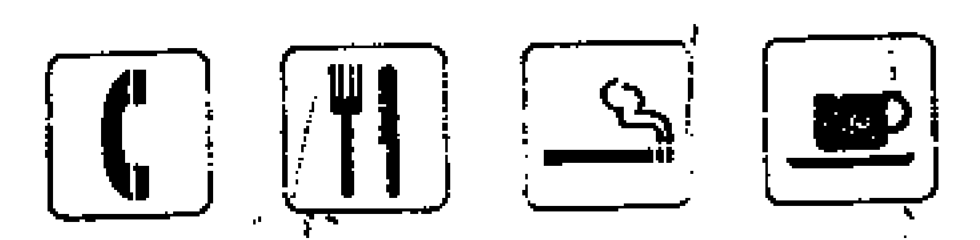
وللوصول إلى تصور عن أنظمة الكتابـة القديمة، فـإن كثـيرًا مـن أدلتنـا يصـدر عـن مدونـات الأحجـار أو الألـواح tablets في خرائــب rubble المدائن البائدة، وكثير من هذه المدونات لم يكشف النقاب عنها، وربما افتقـر بعض هذه الأدلة للمصداقية العلمية عن الأحداث الكبرى.

ولكنها تمثل اليوم أصول بقايـا remains نقـوش وكتابـة، ويـؤدي بنـا تتبع تطور تلك المدونات إلى الكشف عن جذور التراث الكتـابي منـذ بضـع آلاف من السنين، وحيث كان الإنسان يسعى لإيجاد تسجيل دائـم لأفكـاره وأقواله.

الكتابـة التصويريـة (والكتابـة التجريديـة) Pictograms and Ideograms

لنقوش الكهوف فائدة في تسجيل بعض الأحداث (مثل: البشـر ٣) الـ Buffaloes ١) ولكنها لا يتصور أن تمثل رسالة لغوية معينة، فهي تعـد في الواقع جزءًا من تراث الفن التصويري، فعندمـا تمثـل بعـض الصـور لقطـات خاصة بطريقة ثابتة فإنه في هـذه الحالـة نصف هـذا العمـل بأنـه شـكل مـن أشـكال الكتابـة التصويريـة Pictograms، ولهـذا فشـكل مثـل ☼ يمكـن استعماله للإشارة إلى الشمس، وتبرز أهمية استعمال رمز معبر هـو أن علـى كل شخص أن يستعمل أشكالاً مشابهة للتعبير عن معان مشابهة.

وبمرور الزمن اتخذت هذه الصّورة شكلاً رمزيًا ثابتًا مثل⊙ يعبر عن الحرارة والوقت بالإضافة إلى الشمس، ويعد هذا النوع من الرموز جزءً من نظام الكتابة التجريدية Ide ograms ويتضح الفرق بين الكتابة التصويرية Pictograms والكتابة التجريدية Ideograms في المقام الأول في اختلاف العلاقة بين الرمز وما يرمز إليه؛ فالأشكال الأقرب للصور تعد كتابة تصويرية، في حين تعد الأشكال التجريدية ضمن كتابة الأفكار والسمة الواضحة للكتابة التصويرية والكتابة التجريدية هي أنهما لا يمثلان كلمات أو أصوات في لغة بعينها، والكتابة التصويرية الحديثة كما يتضح من الأشكال التالية ذات استقلالية عن اللغة:



وعلى الجملة فإن عددًا كثيرًا من الرموز في أنظمة الكتابة في الآونة الأخيرة يعتقد بأنه يعود إلى أصول من الكتابة التصويرية أو الكتابة التجريدية، فعلى سبيل المثال نجد في الهيروغليفية المصرية استعمال الرمز ⊔ للتعبير عن البيت وهو مأخوذ من الرسم التخطيطي للمسقط الأفقي للدور الأرضي للبيت، وفي الكتابة الصينية يستعمل الشكل川 للتعبير عن النهر ويرجع أصله إلى التمثيل التصويري لتيار متدفق بين ضفتين، ومع ذلك فإنه ينبغي أن يوضع في الحسبان أن كلا من رموز الكتابة المصرية والصينية ليس في الحقيقة صورًا لمنزل أو نهر ففي عمل الرمز تجريد يبعد به عن الشكل الحقيقي للأشياء.

وعندما تكون العلاقة بين الرمز والشيء الذي يرمز إليه أو الفكـرة الـتي يمثلها قائمة علـى قـدر واف مـن التجريـد فإننـا نميـل إلى أن الرمـز يستعمل للتعبير عن كلمات في لغة ففي الكتابة المصرية نجد الكتابة التجريدية عن الماء هو وفيما بعد استعمل الرمز للتعبير عن المعنى الحقيقي لكلمة ماء، وعندما تستعمل الرموز للتعبير عـن كلمات في لغـة فإنهـا تعـد نمـاذج لكتابة كلمية أو Logograms.

الكتابة الكلمية: Logograms

تعد كتابات السومريين في جنوب العراق الحديث فيمـا قبـل ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ سنة خير مثال على الكتابة الكلمية، وذلـك يرجـع إلى تميز أشـكال رموزها، وتوصف نقوشهم بعامة بالكتابة المسـمارية، ذلـك المصطلـح الـذي يعني وتدي الشكل wedge shaped وتتم هذه النقوش السومرية بضغـط الآلة ذات الشكل الوتدي wedge في ألواح الطين اللينة لتؤول إلى الشكل وفي الواقع لا يفصح شـكل هـذا الرمـز عـن الشـيء المشـار إليـه، فالعلاقة بين الشكل المكتوب وما يمثله (اعتباطيـة) وهـذا مثـال صـادق علـى الكتابة بالكلمات أو اللوجوجرام، ويمكـن مقارنـة مـا سـبق بتمثيـل للكتابـة التصويرية يعبر عن سمكة كما يمكن مقارنة الكتابة التجريدية عن الشمـس كما سبق أن أوضحنا ʘ، مقارنة بالكتابة بالكلمات التي تشير إلى التمثيلين نفسيهما بالكتابة المسمارية: .

ومن خلال عصر السومريين أمكننا الوصول إلى دليل على وجود نظام للكتابة يقوم على أساس الكلمات، وعندما يشار إلى نظام الكتابة المعروف قديمًا فإن المقصود به في الحقيقة هو النقوش المسمارية للسومريين.

أما نظام الكتابة الحديث القائم إلى حد كبير على أساس الكتابة الكلمية اللوجوجرام فهو نظام اللغة الصينية، فكثير من رموز الكتابة الصينية أو هيئاتها تستعمل للإشارة إلى معاني كلمات وليس للإشارة إلى أصوات اللغة المنطوقة، ومن مميزات هذا النظام أنه يتيح لشخصين صينيين ينتميان للهجتين مختلفتين ويصعب عليهما التفاهم بالكلام المنطوق قراءة كل منهما لنص مكتوب واحد، ولكن أكبر مثالب نظام الكتابة هذا تلك الكثرة الكاثرة من رموز الكتابة المختلفة (تزيد على ٧٠,٠٠٠) والمعرفة العملية بحوالي ٥٠٠٠ رمز لا غير منها يبدو كافيًا لقراءة الجريدة اليومية، ويجب أن نتذكر أن عددًا كبيرًا من الرموز الكلمية المختلفة تمثل تحميلاً أساسيًا على الذاكرة، وأن تاريخ معظم أنظمة الكتابة الأخرى يسفر عن تطور لنظام الكتابة الكلمية، وتحقيق ذلك يتطلب منهجًا محكمًا للنقلة من رموز تعبر عن كلمات إلى مجموعة رموز تعبر عن أصوات.

كتابة ريبوص Rebus Writing (أو الكتابة الكنائية المصورة)

من الوسائل التي تستعمل رموزًا موجودة لتعبر عن أصوات اللغة، طريقة تعرف بكتابة ريبوص أو الكتابة الكنائية المصورة، وفي هذه الطريقة يستعمل رمز شيء ما على أنه الرمز الصوتي للكلمة المنطوقة التي تعبر عن ذلك الشيء، ثم يستعمل ذلك الرمز ليعبر عن ذلك الصوت متى وجد في أي

كلمة، فعلى سبيل المثال، فيما يتعلق بصوت الكلمة الانجليزية eye، يمكننا أن نتخيل كيف أن كتابتها التصويرية قد تطورت إلى كتابة كلمية فهذه الكتابة الكلمية تنطق على أنها eye وعدأ ربوص يمكنك أن تشير إلى نفسك بالتجريد (I) وأن تشير إلى أصدقائك + (crosseye) ويضم هذا الشكل مع كتابة كلمية الـ deaf ينتج defy وبضمها مع كتابة كلمية boat ينتج bowtie وهكذا.

ومثال آخر من غير الانجليزية فإن الكتابة التجريدية تتطور إلى كتابة كلمية تعبر عن كلمة تنطق با (التي تعني قارب) ويمكننا إيجاد رمز للكلمة التي تنطق بابا (وتعني أب) حيث يصبح والذي تحققه هذه الطريقة هو الاختصار الملموس في عدد الرموز التي يتطلبها نظام الكتابة.

الكتابة المقطعية: Syllabic Writing

في المثال الأخير، نجد أن الرمز المستعمل لنطق أجزاء من كلمة يمثل تجمعًا من صامت وصائت (مثل: با) وهذا التجمع نوع من المقاطع، فعندما يقتضي نظام الكتابة مجموعة من الرموز التي تمثل منطوقات مقاطعها، فإن هذا يسمى الكتابة المقطعية.

لا تستعمل الآن أنظمة كتابة مقطعية خالصة ولكن اليابانية الحديثة لديها مدى واسع من الرموز المفردة التي تمثل مقاطع منطوقة، وبناء على ذلك فإنها يمكن أن تعد مشتملة (إلى حد ما) على نظام كتابة مقطعية وفي القرن التاسع عشر اخترع أحد الهنود الأمريكان ويدعى سيكويا نظامًا لكتابة مقطعية استعمله الهنود الشيروكيين[*] cherokee Indians لإصدار

---

[*] هم هنود الجنوب الشرقي من أمريكا ، وحاليًا في أوكلاهوما، وأصل التسمية يعود إلى الكهوف في المناطق التي كانوا يعيشون فيها (المترجم).

رسائل مكتوبة من اللغة المنطوقة ففي هذه الأمثلة الشيروكية (ho) ⊢
(sa) ℧ ,(ge) ⊢ يلاحظ أن الرموز لا تتعلق بصوامت وحدها أو بصوائت وحدها ولكنها تتعلق بمقاطع.

وقد بلغت كل من أنظمة الكتابة المصرية والسومرية حد استعمال بعض الرموز الكلمية القديمة[1] لتعبر عن مقاطع منطوقة، وعلى أية حال لم يظهر استعمال تام لنظام كتابة مقطعية حتى استعمله الفينيقيون الذي استوطنوا ما يعرف بلبنان الحديث ما بين ٣٠٠٠ – ٤٠٠٠ سنة فيما مضى، وقد تبين أن كثيرًا من الرموز التي استعملوها، قد اقتبسوها عن الكتابة المصرية القديمة، فالشكل المصري الذي يعني (بيت) قد تغير إلى شكل مشرقي نحو ، وبعد استعماله رمزًا كلميًا لمنطوق كلمة beth (لا تزال تعني بيت) صار يعبر عن مقاطع تبدأ بصوت b، وبالمثل فإن الشكل المصري الذي يعني "ماء" تحول إلى واستعمل للتعبير عن مقاطع تبدأ بصوت m، ولهذا فإن كلمة تنطق muba يمكن كتابتها على نحو ، وكذلك منطوق bimā يكتب على نحو مع ملاحظة أن اتجاه الكتابة من اليمين لليسار، وفي حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد أوقف الفينيقيون استعمال الرموز الكلمية وأبدلوه النظام المتطور من الكتابة المقطعية.

الكتابة الألفبائية: Alphabetic Writing

إذا كان لديك مجموعة من الرموز التي تمثل مقاطع تبدأ بصوت b أو m على سبيل المثال، فإنك تقترب جدًا إلى حد استعمال الرموز لتعبر عن أنواع الأصوات المفردة في اللغة وهذا بالفعل أساس الكتابة الألفبائية، فالألفبائية

أساسًا مجموعة من الرموز الكتابية التي يمثل كل منها نوعًا واحدًا من الصوت، والقضية السابقة بعامة هو ما حدث في أصول أنظمة الكتابة للغات السامية كالعربية والعبرية، فالألفبائية لتلك اللغات حتى في أشكالها الحديثة Modern versions تتكون بصورة واسعة من رموز للصوامت، ويعد هذا الشكل القديم من النقوش الألفبائية الناشئ عن أنظمة الكتابة عند الفينيقيين، المصدر العام لمعظم الألفبائيات الأخرى الموجودة بالعالم، وبإمكاننا تتبع صورة معدلة في الشرق في أنظمة الكتابة الهندية وكذلك بالغرب من خلال الإغريق.

وقد خطا الإغريق بالعملية الألفبائية خطوة للأمام باستعمالهم رموزًا منفصلة لتعبر عن الأصوات الصائتة بوصفها كيانات محددة، ونتج عن ذلك نظام جديد للألفبائية يضم هذه الرموز، وأما عن الذين يبحثون في أصول الألفبائية الحديثة فإن الإغريق في حقيقة الأمر ينبغي اعتبارهم مدينين باقتباسهم للنظام المقطعي الموروث عن الفينيقيين وأنهم أبدعوا نظامًا للكتابة يقابل فيه الرمز المفرد صوتًا مفردًا.

ومن خلال الإغريق وصلت هذه الألفبائية المحكمة لبقية دول أوربا الغربية عن طريق الرومان وبالطبع اعتراها تعديلات متعددة لتوائم حاجات اللغات المنطوقة المعنية، وأخذ اتجاه آخر من التطور، نظام الكتابة الإغريقية نفسه إلى أوربا الشرقية حيث تستعمل اللغات السلافية، وتعد الصورة المعدلة التي يطلق عليها الألفبائية السيريلية (نسبة إلى القديس سيريل، من الإرسالية المسيحية في القرن التاسع) الأساس لنظام الكتابة المستعمل في روسيا هذه الأيام، ويمكن الوصول للأشكال الحقيقية لعدد من الحروف في الألفبائية الأوربية الحديثة كما بالشكل الموضح من أصولها في الهيروغليفية المصرية:

روماني	إغريقي قديم	فينيقي	مصري
B			
M			
S			
K			

الإنجليزية المكتوبة: Written English

إذا قامت أصول نظام الكتابة الألفبائية حقًا على أساس المطابقة بين الرمز المفرد والصوت المفرد، فإن سؤالاً يثار عن علة وجود أوجه متعددة من عدم التطابق بين أشكال الانجليزية المكتوبة، وأصوات الإنجليزية المنطوقة.

وللإجابة عن هذا السؤال فإنه ينبغي البحث في عدد من التأثيرات التاريخية على شكل الانجليزية المكتوبة، فهجاء الانجليزية المكتوبة كان ثابتًا للغاية لدرجة أنه كان يستعمل عندما دخلت الطباعة انجلترا في القرن الخامس عشر، وفي ذلك الوقت ظهرت بعض الاقتباسات أو التقاليد فيما يتعلق بالرسم الكتابي للكلمات، وذلك عن أشكال لغات مكتوبة أخرى كاللاتينية والفرنسية، بالإضافة إلى أن قدامى رجال المطبعة كانوا من أصل هولندي Dutch فلم يكن بمقدورهم وضع معايير تتسم بالدقة لنطق الإنجليزية، ومن الأهمية بمكان، أنه منذ القرن الخامس عشر، وتعلق اللغة الإنجليزية آخذ لا محالة في التغيير ولهذا فإنه حتى مع وجود توافق صحيح بين مادية الحرف المكتوب والصوت المنطوق وبراعة رجال الطباعة، ستظل المشكلة قائمة بالنسبة للناطقين المعاصرين باللغة الإنجليزية، فإذا أضفنا إلى ذلك هذه الحقيقة بأن كثيرًا من الكلمات القديمة بالإنجليزية قد أعاد كتابتها في القرن السادس عشر متخصصون في الهجاء spelling لتقويم رسمها المكتوب بما يحقق

المطلوب، وعادة مايكون الاتفاق مع الأصـول اللاتينيـة (مثـل كلمـة dette التي صارت debt، Iland التي صارت island)، ومـن ثـم بـدت مصـادر عدم التوافق بين المكتـوب والمنطوق جلية، فكيـف يتمكـن أحدنـا بطريقـة محددة من وصف أصـوات الكلمـات الإنجليزية، ورسـوم كلماتها لايعتمـد عليها، وتلك مشكلة نبحثها في الفصل الخامس.

الفصل الثالث

خصائص اللغة

ينبغي أن يوضع في الحسبان أنه لا يوجد
غبي أو بليد ، حتى دون استثناء للمعتوهين،
فمع أنهم عاجزون عن نظم مختلف
الكلمات معًا لتكوين جملة يعبرون بها
عن أفكارهم، فإنه في مقابل ذلك لا يوجد
حيوان يمكنه أن يفعل ذلك ولو توفرت
له الكفاءة التامة والهيئة الملائمة .
رينيه ديكارت (١٦٣٧)

استعرضنا في الفصل الأول بعض الخصائص الفسيولوجية للجنس البشري اللازمة لإنتاج اللغة فالجوانب الفيزيائية لأسنان الإنسان وحنجرته وغير ذلك لا تشاركه فيها الكائنات الأخرى، وهذا يفسر لماذا اختص المخلوق البشري بملكة البيان على أننا لا نميل إلى اعتبار الإنسان وحده من بين المخلوقات القادر على الاتصال، فكل المخلوقات بدءًا من الرئيسات والنحل و الحشرات والدرافيل وانتهاءًا بالحمر الوحشية قادرة على الاتصال بأفراد جنسها، واتساع مدى نظم الاتصال الحيواني وتعقده مسألة مذهلة وليس من غرضنا هنا تلخيص خصائصها المتنوعة، فكل مايمكننا عمله بوصفه جزءًا من البحث في اللغة، هو تركيز الاهتمام على تلك الخصائص التي تميز شكل لغة الإنسان من أشكال العلامات الأخرى كلها، والتي تجعل لغة الإنسان نوعًا فريداً من نظام الاتصال.

تواصلية في مقابل معلوماتية :
communicative versus informative

لكي نوضح تلك الخصائص ينبغي أن نميز الإشارات التواصلية من تلك الإشارات المعلوماتية غير المقصودة، فيمكن لشخص يستمع إليك أن يتلقى عددًا من الإشارات غير المقصودة منك، حيث يمكن أن يلاحظ أنك مصاب بالبرد (إذا عطست) وأنك غير مستريح (إذا استدرت بمقعدك) وأنك غير مهندم (أشعث الشعر، ثيابك غير أنيقة)وأنك غير منظم (جوارب غير ملائمة) وأنك من منطقة أخرى من البلد (لك نبر غريب).

وعلى أية حال فعندما تستعمل اللغة لتخبر هذا الشخص "أود حجز مكان لدى كبير جراحي المخ بالمستشفى" فأنت لاحالة تتصل بشخص معين، ونفس الشيء يقال عن الطائر الأسود **Black bird** الذي لا يتصور أن يتصل بأي شيء لكونه ذا ريش أسود، يتعلق بغصن ويلوك إحدى الديدان، ولكن يتصور أن يبعث برسالة اتصال بصياحه العالي لكي يسمع عندما تلوح له قطة، ولهذا فإننا عندما نتعرض للغة الإنسان واتصال الحيوان نحسبهما بالنسبة لإمكاناتهما وسيلة للتواصل الهادف **intentional communication**.

خصائص فريدة: Umique properties

لقد بذلت محاولات عدة لتعيين السمات المحددة للغة الإنسان، ومجموع ملامحها المختلفة، وسنتناول ستاً من هذه الخصائص ونبين كيف تتجلى في لغة الإنسان، كما سنحاول أيضًا وصف الطريقة التي تمثل بها هذه الخصائص جزءًا متميزًا من لغة الإنسان، مختلفة بذلك عن أنظمة التواصل في المخلوقات الأخرى، وينبغي أن نضع في الحسبان أن فكرتنا عن تواصل المخلوقات الأخرى، إنما هي فكرة من خارج وربما كانت غير دقيقة.

فمن الممكن أن يكون لقطك اتصال في غاية التعقيد مع أفراد نوعه الآخرين وكثيراً ما يدلل عل مدى صعوبة التعبير لذوات القدمين التي تتصرف كما لو كانت تعرفه كله وبناء على ما تقدم يمكننا تناول بعض الخصائص التي تعتقد ذوات القدمين Bipeds أنها فريدة في نظامها اللغوي.

الإزاحة Displacement:

عندما يعود قطك إلى البيت بعد قضاء ليلة في الأزقة الخلفية ويقف عند قدميك صالحًا ميو، فإنك ستفهم بأن هذه الرسالة تتعلق بالزمان والمكان الحاليين فإذا سألت القط أين كان في الليلة السابقة، وماذا هناك؟ ستجد الاستجابة نفسها ميو، فيبدو أن اتصال الحيوان قد أحكم في الغالب للحظة الحالية هنا، والآن، فليس صالحًا لأن يستعمل لربط أحداث في الزمن البعيد أو المكان النائي، وعندما يقول كلبك جرر فإنه يعني جرر، الآن تمامًا فليس في قدرته أن يتصل جرر بمعنى الليلة السابقة، أو يرقد في الحديقة، فالآن في مكنة مستعملي لغة الإنسان أن ينتحوا رسائل مكافئة لـ جرر والليلة السابقة ويرقد في الحديقة، وأن يسترسلوا في قول "في الحقيقة"، وسأعود غدًا لآخذ المزيد، وفي استطاعتهم أن يشيروا إلى الماضي وإلى المستقبل وإلى الأماكن الأخرى، تسمى هذه الخاصية في لغة الإنسان بالإزاحة displacement، فهي تتيح لمستعملي اللغة التعبير عن الأشياء والأحداث غير الموجودة في البيئة الحالية، أما تواصل الحيوان فإنه ينقصه عامة هذه الخاصية.

يفترض مع ما قلناه أن الاتصال عند النحل له خاصية الإزاحة، فعلى سبيل المثال عندما تكتشف شغالة النحل مصدرًا للرحيق وتعود إلى الخلية، فإنها تؤدي صيغة معقدة من الرقص لتوصل لغيرها من النحل عن مكان هذا الرحيق، ويتوقف الاتصال على نوع الرقص، فالرقص الدائري للمسافات القريبة، ورقصة هز الذيل مع سرعات متغايرة،

للمسافات البعيدة، والنائية، ولهذا يعمل النحل الآخر جاهدًا للوصول إلى ذلك المكان الجديد، وقدرة النحل هذه على الإشارة للأماكن البعيدة، تدل على أن لاتصال النحل على الأقل شيئًا من خاصية الإزاحة بالتأكيد بمثل درجة ما منها، فاتصال النحل له شكل محدود من أشكال الإزاحة، فالنحل بالتأكيد يمكن أن يوجه غيره من النحل لمصدر غذاء، ومع ذلك يلزم أن يكون ذلك المصدر هو أحدث مصدر للغذاء، ولا يمكن أن يكون حديقة الأزهار تلك، على الجانب الآخر من المدينة، التي زرناها في عطلة الأسبوع الماضي كما لا يمكن أن تكون كما نعلم رحيق النحل في الجنة في المستقبل.

والجوانب المتضمنة في الإزاحة كما تبين في لغة الإنسان، أبعد إفهامًا، من مجرد الاتصال عن مكان مفرد، إنه يمكننا من التحدث عن أشياء وأماكن لسنا متأكدين من وجودها، ويمكننا أن نشير إلى مخلوقات أسطورية والشياطين والجن، والملائكة وبابا نويل، وشخصيات مخترعة مثل السوبرمان، إنها خاصية الإزاحة التي تتيح للإنسان وحده دون غيره من المخلوقات أن يخلق الخيال، وأن يتصور عوالم المستقبل.

الاعتباطية Arbitrariness:

ويقصد بها عامة عدم وجود مناسبة طبيعية natural connection بين الصيغة اللغوية والمعنى، فلا يمكنك تأمل الكلمة العربية (كلب) وتحدد على سبيل المثال من شكل الكلمة أن لها معنى طبيعيًا، كما هو الحال في ترجمتها الانجليزية Dog فالصيغة اللغوية ليس لها علاقة طبيعية أو حتمية iconic مع ذلك الشيء رباعي الأرجل الذي يملأ الدنيا نباحًا، واستيعاب هذه الحقيقة عن اللغة يؤدي بنا إلى استنتاج أن خاصية العلامات اللغوية linguistic signs هي المناسبة الاعتباطية مع الأشياء التي تشير إليها، فتمثل صيغ لغة الإنسان خاصية يطلق عليها الاعتباطية، فلا تتطابق بحال من الأحوال مع الأشياء التي تشير إليها، ويمكنك بالطبع أن تلعب لعبة بكلمات تجعلها

تتطابق إلى حد ما مع الخاصية أو النشاط الذي تشير إليه كما في الأمثلة التالية من لعبة الطفل:

look	fa//	ta||	k~	m
ينظر	يسقط	طويل	يركل	يخلط

ومع ذلك تؤكد هذه اللعبة على اعتباطية المناسبة الطبيعية بين الصيغةاللغوية ومعناها.

ويوجد بالطبع في اللغة بعض كلمات ذات أصوات يبدو أنها تحاكي أصوات أشياء أو أعمال ومن أمثلة ذلك في الانجليزية:

cuckoo الوقواق crash الضجيج slurp التلمظ

والتي تعد حاكية للصوت onomatopoeic وهذا ما سبق أن أشرنا إليه (في الفصل الأول) بوصفه جزءً من نظرية الأصوات الطبيعية لأصل اللغة وفي معظم اللغات لا تمثل هذه الألفاظ الحاكية للصوت إلا عددًا ضئيلاً من الألفاظ في حين نجد معظم التعبيرات اللغوية في الحقيقة اعتباطية، ومع ذلك فمعظم إشارات الحيوان بها علاقة واضحة بين الرسالة الموصَّلة والإشارة الموصِّلة (المستعملة)، وانطباعنا هذا عن عدم اعتباطية إشارات الحيوان يرتبط بحقيقة أن نظام إشارات التواصل لدى أي حيوان نظام محدود، وهذا يعني أن كل نوع من التواصل الحيواني يتكون من مجموعة ثابتة ومحدودة من الأشكال (صوتية أو إيمائية gestural) ، وتستعمل معظم هذه الأشكال فحسب في مواقع خاصة (تمثل المنطقة) وأزمان بعينها (مثل موسم التزاوج)، وبالنسبة لموضوع التزاوج فإن الإنسان يتصرف على أساس أنه موسم مفتوح، وأن اتساع كمية التعبيرات اللغوية المستحدثة المستعملة للإشارة إلى ذلك النشاط، كل ذلك يبرهن على خاصة أخرى للغة الإنسان يطلق عليها التناجية.

النتاجية Productivity :

وهي تلك السمة في اللغات، التي بها تنتج دائمًا عبارات جديدة، فالطفل الذي يتعلم اللغة يجتهد خاصة في تكوين وإنتاج عبارات لم يسمعها من قبل، ومع البلوغ تفرض مواقف جديدة أو أشياء جديدة نفسها، ولذلك فإن الناطقين باللغة يستغلون ثروتهم اللغوية لإنتاج تعبيرات جديدة وجمل جديدة، وهذه السمة في لغة الإنسان يطلق عليها النتاجية Productivity (أو الإبداعية creativity أو اللانهائية المطلقة open endedness).

إنه جانب من اللغة يتعلق بحقيقة أن العدد الحقيقي للعبارات في أية لغة عدد لا نهائي.

من ناحية أخرى نجد أن العلامات عند غير البشر قليلة الاتساع فالحشرات Cicadas لها أربع علامات مختارة، وللقردة الأفريقية ستة وثلاثون نداء صوتيًا (تتضمن ضوضاء القئ والعطس) وليس في مقدور الحيوانات إنتاج إشارات جديدة تعبر عن خبرات أو أحداث جديدة، وعلى الرغم من قدرة شغالة النحل على التعبير عن مكان مصدر الرحيق فإنها تعجز عن ذلك إذا كان المكان جديدًا حقًا، ففي إحدى التجارب وضعت خلية نحل أسفل برج الإذاعة ووضع مصدر غذاء أعلاه، وقد أخذت عشر نحلات إلى أعلى لمشاهدة مصدر الغذاء ثم أرسلن لإخبار باقي الخلية بما وجدوه، وكانت الرسالة على هيئة رقصة للنحل، وانطلق سرب النحل للحصول على هذا الغذاء المتاح, حيث طاروا في كل اتجاه، ولكنهم لم يحددوا مكان الغذاء (يحتمل طريق واحد كي تصف النحل بالجنون)، وتكمن المشكلة في أن تواصل النحل فيما يتعلق بالمكان ذو

نظام عدد من العلامات تتعلق جميعًا بالمسافة الأفقية، فليس في مقدور النحل أن يتعامل بنظامه التواصلي لتعليق رسالة جديدة تدل على المسافة الرأسية.

وكما يقول كارل فون فرش صاحب التجربة "ليس في لغة النحل كلمة تعبر عن الأعلى" وفضلا عن ذلك فليس في مكنتهم اختراعها.

وتبدو المسألة أن إشارات الحيوان ذات مظهر يطلق عليه المرجع المحدود **Fixed reference** فكل علامة محدودة فحسب بشيء بعينه أو مناسبة بعينها ففي حصيلة القردة الافريقية **Vervet monkey's repertoire** علامة واحدة للخطر **Chutter** تستعمل عند ظهور ثعبان وعلامة **RRAUP** تستعمل عند هجوم النسر، وهذه العلامات مقصورة على مرجعها، وغير قابلة للتصرف، والذي يمكن أن يستدل به على وجود سمة النتاجية في النظام التواصلي للقردة عبارة مثل **CHUTTER-RRAUP** التي تستعمل عند ظهور مخلوق طائر يشبه الثعبان، وهنا يحق أن القرد في وسعه ممارسة لغته بما يناسب الموقف الجديد، ولكن للأسف ليس هناك دليل على قدرة القرد على إنتاج إشارة جديدة للخطر ولكن الإنسان في الظروف نفسها قادر كل القدرة على إنتاج علامة جديدة بعد الدهشة الأولية بقوله نحو: أوه، لا أصدق، نسر-ثعبان .

التوصيل الثقافي Cultural transmission:

بينما تتوارث من أبويك العيون البنية والشعر الأسود، فإنك لا ترث لغتهم، فتكتسب اللغة في ثقافة مع ناطقين آخرين وليس من جينات الوالدين، فالطفل المولود من أبوين صينيين (يعيشان في الصين ويتكلمان الكانتونية) إذا أحضره ناطقون بالإنجليزية منذ مولده إلى الولايات المتحدة، قد يتوارث خصائص بدنية من أبويه الطبيعيين، ولكنه لا محالة سينطق بالإنجليزية، والقطة ذات خبرة مبكرة معقولة تنتج ميو meow تلقائيًا.

وهذه العملية التي تنتقل بها اللغـة مـن جيل إلى جيل بعده يطلق عليها التوصيل الثقافي، فبينما تناقش مسألة أن البشر يولـدون و لديهـم فطـرة جوانية لاكتساب اللغة (ستناقشها في الفصل ١٥) فإنه من الواضح أنهم يولدون عاجزين عن إنتاج عبارات في لغة بعينها كالانجليزية، والنمط العام لتواصـل الحيـوان هـو أن إشارات غريزية لاتُعلم، وبرغم ذلك فهناك تجارب تبرهن على أن بعض الطيور تعلم بالفعل النداءات المحددة الـتي يستعملها أنواعها، فإذا ربيت هذه الطيور بمعزل فإنهـا تنتج بـالغريزة أنغامـاً أو نـداءات شاذة إلى حد ما، في حين نجـد أطفـال الإنسـان الذيـن ينمـون منعزلـين لا ينتجـون لغـة غريزية، فالتوصيل الثقافي للغة بعينها هو العامل الحاسم في عملية الاكتساب البشري.

التحددية Discreteness:

تعد الأصوات اللغوية محددة دلاليًا، فعلى سبيل المثال ليس الفرق بين b وصـوت p كبيرًا، ولكن عند استعمال هذه الأصوات في لغة ما، فإنها تستعمل على الوجه الـذي تتحدد به الدلالة عند استعمال أحدهما دون الآخر، ويترتب على الفرق بين صـوت b، وصوت p في الانجليزية أن يتحدد الفرق في الدلالـة بـين صيغـتي Pack, back وهـذه السمة في اللغة يطلق عليها التحددية discreteness، فكل صوت في اللغة يعامل على أنه محدد discrete وفي الحق, يمكن انتاج مدي من الأصوت على شـكل تيـار متواصـل تشبه عامة أصوات p, b وتفهم هذه الأصوات المختلفة ماديًا على أنها الجانب المنطوق من المجموعة المكتوبة نحو:

p P p p b b B B

ومع ذلك فإن هذا التيار المتواصل يوقـف عنـد اعتبـار الصـوت p أو b (أو بـدون صوت)، فلدينا تصور محدد عن أصوات لغتنا، وعن مكان إيقاف أي حديـث صـادر في الإطار الصوتي الممكن ماياً بصوت معين لغويًا، ومحدد دلالياً.

الثنائية Duality:

تنتظم اللغة في مستويين أو طبقتين في آن واحد، ويطلق على هذه السمة الثنائية Duality أو النطق الثنائي، فالبنسبة لإنتاج الكلام، لدينا المستوى الفيزيقي الذي عنده نتج أصواتًا فردية مثل i ، b , n ،عندما تنتج هذه الأصوات في تركيب خاص مثل bin يصير لدينا مستوى أخر ينتج معنى يختلف عن معنى التركيب في nib، ولهذا لدينا أصوات محددة على مستوى، وعلى المستوى الآخر لدينا المعاني المحددة، وفي الحق فإن هذه الثنائية من المستويات مظهر من أهم المظاهر الاقتصادية في لغة الإنسان، وذلك لأنه بمجموعة محدودة من أصوات بعينها يمكننا إنتاج عدد هائل من المركبات (الكلمات) التي يتحدد لكل معناها.

ومن الواضح أنه على الرغم من أن كلبك يمكنه إنتاج ووف woof فلا يعد هذا سمة لسلوك ذوات الأنياب بأن يمكن الفصل بين العناصر W, oo, f بوصفه مستوى محدداً من الإنتاج، فإن استطاع كلبك أن يتعامل مع المستوى الثنائي (الثنائية) فإنك ستسمع oowf أو حتى foow ولكل من ذلك معناه المختلف.

خصائص أخرى:

هذه الخصائص الست وهي الإزاحة، والاعتباطية، والإبداعية، والتوصيل الثقافي، والتحددية، والثنائية تمثل القلب من مظاهر لغة الإنسان، وبالطبع فلغة الإنسان لها خصائص أخرى كثيرة، ولكنها ليست خاصة بها .

فاستعمال الجهاز الصوتي السمعي على سبيل المثال يعد بالتأكيد من مظاهر كلام الإنسان فالاتصال اللغوي لدى الإنسان ينشأ عبر أعضاء الصوت وتستقبله الأذن، وبرغم ذلك قد يتم الاتصال اللغوي بدون صوت، بالكتابة أو بلغة الإشارات لدى الصم. وفضلاً عن ذلك فإن أنواعًا أخرى كثيرة (مثل الدرفيل) تستعمل جهازًا صوتيًا

سمعيًا، ولهذا فهذه السمة ليست خصاة بلغة الإنسان، ومثل هذا يقال عن الانعكاسية reciprocity (أي متكلم/مرسل لإشارة لغوية يمكن أن يكون مستمعًا / مستقبلاً) وكذلك التخصيص Specialization (ليس للعلامات اللغوية غرض آخر كالتنفس أو التغذية).وعدم الجهة non - directionality (يمكن لأي شخص استقبال العلامات اللغوية ولو كانت غير مرئية) وسرعة التلاشي rapid fade (تتج العلامات اللغوية سريعًا كما تختفي سريعًا) ومعظم هذا خصائص للغة المنطوقة لا للغة المكتوبة،ولا توجد في كثير من أنظمة التواصل الحيواني التي تستعمل خاصيتي الطريقة البصرية أو تتضمن التكرار العديد للعلامة نفسها، ويتعامل مع هذه الخصائص لدراسة لغة الإنسان لا لتمييزها عن أنظمة التواصل الأخرى.

الفصل الرابع

الحيوانات ولغة الإنسان

لقد كانت مغامرتي الأساس، تعلم اللغة
التي كان سيدي وأطفاله وخدم بيته أجمعون
في شوق لتعليمي إياها، ذلك لأنهم نظروا إليها
على أنها من المعجزة أن حيوانًا متوحشًا عليه أن
يكتشف تلك العلامات التي يستعملها مخلوق عاقل،
لقد كنت أشير إلى كل شيء وأستفهم عن اسمه،
وأدونه في مذكراتي عندما أخلوا إلى نفسي وأصحح
أخطاء لكنتي بطلبي من أفراد العائلة أن ينطقوه لي، وقد
أبدى سورل ناج أحد صغار الخدم استعدادًا لمساعدتي
للقيام بهذه المهمة".

(جوناثان سويفت / رحلات جليفر، الكتاب الرابع).

لقد ركزنا في الفصل السابق على ما يميز لغة الإنسان عن لغات المخلوقات الأخرى، وإذا كانت لغة الإنسان حقًا هي ذلك النوع المتميز من التواصل فليس من المتصور أن يكون لدى المخلوقات الأخرى شيئ من الفهم لطريقة البشر المتميزة في التعبير، وبرغم ذلك فبعض الحيوانات لا تتصرف على هذا الأساس، فهناك كثير من اللغة المنطوقة التي يوجهها البشر للحيوانات، تعطي انطباعًا في ظاهر الأمر أن الحيوان يتبع ما يقال له.فبمكنة الفرسان أن يقولوا whoa للخيل فتقف (أو هكذا يبدو) ، كما يمكننا أن نقول Heel للكلاب فتستجيب بالإقعاء (لا بأس، أحيانًا) وفي حلقات السيرك نجد مختلف الحيوانات تقفز وتجري وتدور طبقًا لأوامر منطوقة، فهل يمكننا اعتبار هذه الأمثلة

على أن غير البشر يمكنهم فهم لغة البشر؟ بالتأكيد لا، ففيما يتعلق بسلوك الحيوان، فإن التفسير المعتبر هو أن الحيوان يسلك سلوكًا بعينه استجابة لمثير صوتي بعينه، ولكنه لا يفهم حقًّا معنى ما ينطق من كلمات إذا كان من الصعب تصور فهم الحيوان للغة الإنسان، فمن باب أولى عجز الحيوان عن انتاج لغة الإنسان، ومن ثم لم نلحظ عامة أن نوعًا من الحيوان يتعلم إنتاج علامات نوع آخر، فباستطاعتك أن تدع حصانك في حظيرة الأبقار سنين عددًا ومع ذلك لا يمكنه أن يقول Moo، وفي كثير من العائلات hous hold قد يصل وليد و الجروPuppy في آن واحد (بطريقين مختلفين) حيث ينمو الوليد والـ Puppy في البيئة نفسها، ويسمعان الأشياء نفسها، ولكن بعد ثلاث سنوات يفعم الطفل بألفاظ الإنسان في حين لا يستطيع الجرو Puppy ذلك.

تعليم الشمبانزي:

تبدو بوضوح معضلة حمل حيوان وطفل معًا، لكن ذلك كانت الوسيلة التي استعملت في المحاولات الباكرة لتعليم الشمبانزي استعمال لغة الإنسان،ففي الثلاثينيات سجل عالمان (لولا ووينثروب كلوج) خبرتهما في تربية شمبانزي صغير إلى جانب ابنهما الصغير، فكان من النتائج أن الشمبانزي واسمه جوا استطاع فهم حوالي مائة كلمة، ولكنه لا يستطيع نطقها،وفي الأربعينيات اقتنى زوجان عالمان (كاترين وكيث هايز) إحدى صغار الشمبانزي تسمى فيكي Viki في منزلهما كما لو كانت طفلاً آدميًا، وقد حاول هذان الوالدان المربيان معها أن تنطق كلمات انجليزية وذلك بتشكيل فم الشمبانزي عند إصدار الأصوات، وبعد جهد استطاعت Viki نطق بعض الكلمات مع شيء من اللحن فيها مثل: ماما، باب ،كوب .mama, papa, cupوهذا إنجاز عظيم لأنه بات من الوضوح بمكان أن الرئيسيات غير الآدمية ليس لديها جهاز صوتي مهيأ لانتاج أصوات كلام الإنسان.

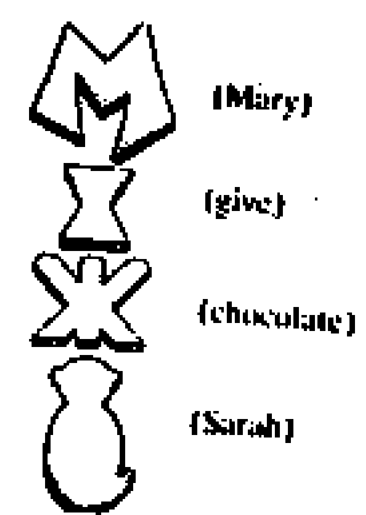
واشو washoe :-

على الرغم من إدراك بيتركس وألـن جـاردني أن للشـمبانزي حافظـة ضعيفـة للغـة المنطوقة فقد حاولا تعليم إحدى إناث الشمبانزي تسمى Washoe لاستعمال نمط من لغة إشارية أمريكية، هذه اللغة الإشارية يستعملها الصم، ولها كل الخصائص التي تكلمنـا عنها أنفًا بوصفهـا المظاهر الأساسية للغـة الإنسـان، وتعلـم للأطفـال المولودين بـالصم بوصفها لغتهم الطبيعية الأولى (وهو ما نناقشه بتفصيل أوسع في الفصل السابع عشر).
ومع أوائل شهر يونيو من عام ١٩٦٦م
فقد أخذت أسـرة جـاردنر والبـاحثون المسـاعدون معهـم في احتضـان Washoe بوصفها طفلاً آدميًا في بيئة أليفة مريحة، وكانت تستعمل لغة الإشـارات دومًـا أمامهـا، كما شجعت على استعمال الإشارت، حتى إشـاراتها الخاصـة الطفولية الناقصـة، والـتي يستعملها الراشدون، وفي نحو ثلاث سنوات ونصف تمكنت واشو من استعمال إشـارات لأكثر من مائة كلمة تتراوح ما بين طائرة، رضيع، موز إلى نافذة، وامـرأة، وأنـت،ولقـد أبدت washoe مقدرة ملموسـة في استعمال هذه الصيغ وتركيبها لإنتاج جمل من نوع gimme tickle،فاكهة أكثر، شراب طعام مفتوح (لفتـح الثلاجـة) ويبـدو أن بعـض الصيغ من اختراع واشـو كمـا في إشـارتها الجديـدة لـ bibو وفي التركيب طـائر المـاء waterbird (للإشارة إلى الأوز) وهذا يدل على أن جهازها اللغوي لديه القدرة علـى الإبداع، وفضلا عن ذلك فقد أظهرت واشو فهمًا لعدد هـائل مـن الإشـارات أكـثر ممـا تنتجه بالفعل، كما أبدت قدرة على إجراء محادثات بدائية أغلبها في شكل تتابع السـؤال والجواب.

سارة ولانا Sarah and Lana:

في الوقـت الذي كانت تتعلم فيه واشـو Washoe لغـة الإشـارات، كـانت هنـاك شمبانزي أخرى تسمى سارة تتعلم استعمال مجموعة من الأشـكال البلاستيكية لاغـراض

التواصل مع البشر (قام بذلك آن ودافيد بريماك)، وهذه الأشكال البلاستيكية تمثل كلمات يمكن أن ترتب في نظم (تفضل سارة الترتيب الرأسي) لبناء الجمل، إنه منهج مختلف كل الاختلاف عن منهج أسرة جاردنر، وقد تدربت سارة تدريبًا منظمًا للربط بين هذه الأشكال والأشياء أو الأحداث، فقد ظلت حيوانًا في قفص يكافأ بالطعام ليتعلم التعامل مع مجموعة من الرموز، وبمجرد أن تعلمت استعمال عدد هائل من هذه الأشكال

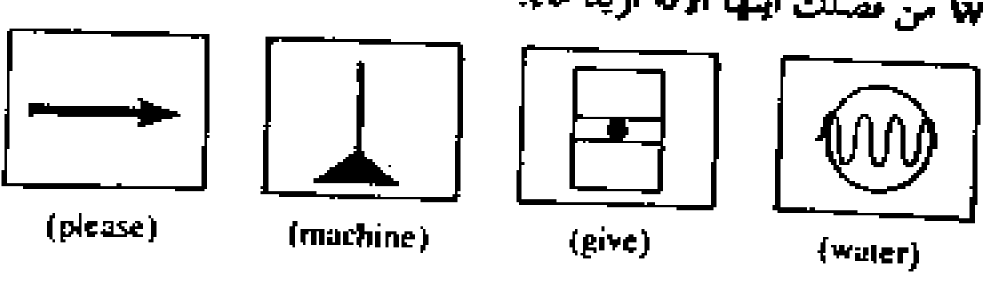


البلاستيكية ... استطاعت سارة التقاط تفاحة باختيار الشكل البلاستيكي المناسب (مثلث أزرق) من اختيارات كثيرة، ومن الملاحظ أن الرمز هنا عشوائي، ذلك لأنه من الصعب إيجاد علاقة طبيعية بين تفاحة ومثلث بلاستيكي أزرق، كما كان لسارة قدرة على إنتاج جمل مثل:

ماري تعطي الشيكولاتة سارة **Mary give chocolate Sarah**

ولها كفاءة ملحوظة على فهم التراكيب المعقدة نحو: إذا وضعت سارة الأحمر على الأخضر فإن ماري تعطي سارة الشيكولاتة، وبالفعل تحصل سارة على الشيكولاتة.

وقد استعملت طريقة تدريبية مماثلة (استعملها دون رمبوج) لتدريب شمبانزي يطلق عليها لانا، ويطلق على اللغة التي تعلمتها (اليركشية) وتتكون من مجموعة من الرموز على لوحة مفاتيح كبيرة متصلة بالحاسب الآلي، فإذا أرادت لانا بعض الماء فإنها تضغط أربعة رموز على الترتيب الصحيح لإنتاج رسالة نحو: Please machine give water من فضلك أيتها الآلة أريد ماء.



وقد أظهرت كل من سارة ولانا مقدرة على استعمال ما يشبه الشفرة التصويرية التي تماثل في ظاهرهما استعمال اللغة، ومع ذلك فهناك كثير من الشك فيها يتعلق بهذه المهارات اللغوية، فقد تبين أنه عند استعمال لانا رمز من فضلك فإنها لا تفهم معنى الكلمة الانجليزية Please، وليس هناك اختيارات كما نفعل غالبًا بحذف please على سبيل المثال لإنتاج عبارة مختلفة، ولكنها مفهومة، ويقابل رمز please على لوحة مفاتيح الحاسب الآلي أحد الأزرار على آلة البيع Vending Machine.

ومن هنا ثارت القضية أنه يمكن تعلم تشغيل آلات البيع Vending Machines دون أن يلزم تعلم اللغة، وما أثير من جدل حول قبول ما أنجزته Washoe من إنجازات فإن ما أثبته سارة ولانا من قدرات لغوية قد حث عالم النفس هربرت تراس لأن يجري تجاربه على شمبانزي يسمى نم Nim.

نم تشمبسكي Nim Chimpsky:

أطلق على هذا الشمبانزي اسم نم تشمبسكي Nim Chimpsky وهو مشتق من اسم اللغوي نعوم تشومسكي الذي ذهب إلى أن اللغة قدرة جوانية innate ومميزة للنوع البشري، وربما أظهر نم Nim خطأ نعوم، فبداية من عام ١٩٧٣ قد بذل جهد مكثف لتعليم نم لغة إشارية أمريكية تحت ظروف مقننة، ومع تسجيلات دقيقة وإعداد شرائط فيديو لأنشطة نم Nim في حجرة الفصل، وفي غضون سنتين أصدر نم Nim عددًا كبيرًا من علامات الكلمات المفردة، وتطورت إلى تراكيب ثنائية نحو مزيد من الشراب More drink، أعطني الموز give banana، مع استعمالها في مناسباتها الملائمة، وكان الانطباع الأول، مثل واشو Washoe هو القدرة على استعمال اللغة أكثر من قدرة طفل الإنسان، ومع ذلك فإن هذا الانطباع لم يتجاوز الفحص المباشر لتسجيلات الفيديو، وليس توسيعًا إلى تراكيب أكثر تعقيدًا، كما يفعل طفل الإنسان، فضلاً عن أنه بالمقارنة بطفل الإنسان فإن نم نادرًا ما يستعمل لغة الإشارات في التفاعل

مع أساتذته، وعلى الجملة فإنه يصدر علامات استجابة لعلاماتهم، ويردد العلامات التي يستعملونها.

وهذه النتائج قد دفعت تراس **Terrace** لإعادة فحص الفيلم التسجيلي عن استعمال واشو **Washoe** للغة الإشارات، وجعله يقتنع أن كلاً من نم **Nim** وواشو **Washo** قد استعمل الإشارات بوصفها لغة، وفي الحق ناقش أنهما يبساطة يصدران تكرارات ناتجة عن اشارات أساتذتهما وقد استنتج أن حيوانات الشمبانزي تلك مخلوقات ماهرة يمكنها تعلم إصدار نوع معين من السلوك (الإشارة) للحصول على هبات، وعمل حيل بحنكة، ومن ثم فإن إشارتها ليست سلوكًا لغويًا بحال من الأحوال.

هانز وبوز ودوريس Hanz, Buzz and Doris:

إن التساؤلات التي قدمها تراس **Terrace** تشبه كل المشابهة تلك التساؤلات التي كانت تثار في الماضي لتكذيب المزاعم القائلة بأن أي حيوان قادر على فهم واستعمال أي شكل من أشكال التواصل اللغوي،وفي مطلع هذا القرن **turn of cintury** استطاع حصان ألماني يسمى كليفر هانز **clever hanz** إجابة مسائل رياضية باستعمال دقات حافره **hoofbeats** وتعيين **tap out** الحروف الأبجدية، ومع ذلك تبين أن هانز **Hanz** يستجيب بالفعل للمفاتيح البصرية بالإضافة إلى هؤلاء الذين يوجهون إليه الأسئلة، فإذا كان السائل لا يعرف إجابة السؤال فليس في استطاعته لا شعوريًا معرفة ما إذا كان هانز قد عين العدد الصحيح من دقات حافره وبناءً عليه تصبح إجابة هانز خاطئة.

وفي الستينيات ظهر من الأبحاث أن اثنين من حيوان الدرفيل يطلق على أحدهما بوز **Buzz** وعلى الثاني دوريس **Doris** قد نمت لديهما وسائل إشارية عبر حاجز معتم يعين أحدهما ليخبر زميله كيف يمكنهما اصطياد ثعبان البحر معًا، فعندما ترى

دوريس الإشارة الضوئية، فإن عليها أن تضغط على دواسة على اليسار وتخبر Buzz (الذي لا يرى الضوء ولا دوريس) ليضغط على دواسته اليسرى، وعندما يثبت الضوء فإن على دوريس أن تضغط الدواسة اليمنى لتخبر بوز Buzz ليضغط على دواسته اليمنى، وبعد آلاف المحاولات تمكن هذان الدرفيلان من اصطياد الثعبان، وقد أشير إلى أن دوريس قد واصلت إخبار بوز متى يمكنه رؤية الضوء بنفسه ؟حتى ولو كان بوز بعيدًا عن الحوض، ويستنتج من ذلك أن سلوك دوريس يتكون من استجابات شرطية لمختلف الإشارات الضوئية وأن سلوك بوز مشروط بالاستجابة لاستدعاءات دوريس.

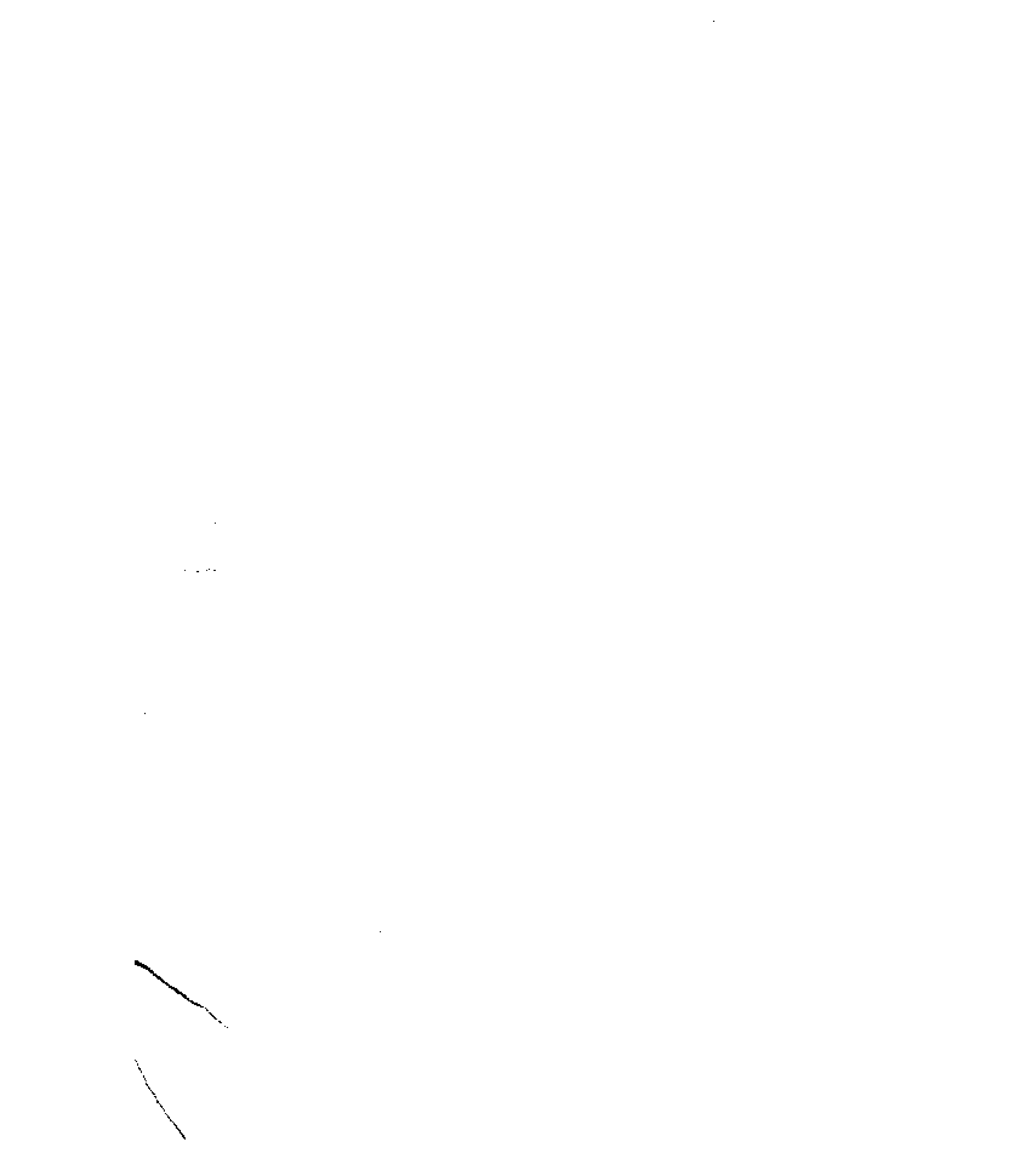
المناقشة The controversy:

هاتان الظاهرتان وهما الوسائل غير الخلاقة التي قدمها الإنسان المدرب وسلوك الاستجابة الشرطية للحيوان تذكران بوصفهما تفسيرًا لسلوك شبه لغوي في الحيوانات عامة وفي الشمبانزي خاصة، ومع ذلك فآباء الرعاية هؤلاء وهم عائلة جاردنر قدأشاروا إلى أنهم ليسوا مدربي حيوانات ولا أنهم يطبعون في الذهن unculcating ويستنبطون eliciting استجابات شرطية من Washoe، وفي تجربة معقدة صممت لتقليل تقديم المفاتيح الممكنة Provision of cues ، فقد تبين أنه في غيبة الإنسان يمكن لواشو إنتاج العلامات الصحيحة لتمييز الأشياء في الصور، وتؤكد أيضًا ما اعتبروه تفوقًا كبيرًا لمنهجهم على سائر المناهج الأخرى مع الشمبانزي، وقد أشاروا إلى أن تراس قد وجه تعليمات دقيقة لمساعديه البحثيين ليتذكروا أن نم Nim كان حيوان تجارب وليس طفلاً، ولقد وضعت معظم أدوات تدريب تم في خلية مغلقة مكشوفة ومعظم مساعدي البحث لم يتقنوا لغة الإشارات الأمريكية، وقد أشار آل جاردنر أن الطفل الأصم قد لا يقدر على استعمال لغة الإشارة تفاعليًا واجتماعيًا تحت ظروف متفاوتة.

وبمقارنة حادة، فقد أكدت آل جاردنر على الحاجة لبيئة أليفة بدون أقفاص، الشمبانزي فرصة واسعة للتخيل والتفاعل مع مستعملي لغة إشارات ممتازين يستعمل اللغة استعمالاً طبيعيًا فيما بينهم.، وأحدث مشاريعهم يتضمن عددًا من الشمبانزي موجا Moja، بيلي Pili، تاتو tatu ودار Dar وقد وضعوا جميعًا منذ ولادتهم في بيئة أليفة مع عدد من الناس الأصدقاء الذين يستعملون لغة الإشارات بصورة طبيعية، وقد توصلوا إلى أن حيوانات الشمبانزي هذه التي بدأت مبكرًا قبل Washoe اكتسبت لغة الإشارات أسرع ، وكان الأمل بالطبع أن تستعمل هذه الحيوانات لغة الإشارات بصورة طبيعية للاتصال فيما بينها وهناك دلائل أن هذا الأمل ضعيف.

وهناك دروس مهمة مستفادة من محاولات تعليم صغير الشمبانزي استعمال بعض الأشكال اللغوية، وقد أجبنا على بعض التساؤلات، هل يمكن لواشو أن تشارك بالتفاعل باستعمال نظام رموز اختاره الإنسان دون الشمبانزي؟ والإجابة الصريحة نعم، وهل من الناحية اللغوية يوضع واشو في درجة النمو للطفل البشري؟ والأجابة الصريحة لا، وفضلاً عن ذلك فإن من أهم الدروس لهؤلاء المهتمين بمعرفة طبيعة اللغة هو إدراك أنه ليس لدينا تعريف موضوعي يحسم الجدل لما يعرف بـ (استعمال اللغة)، فنحن نفترض أنه عند إصدار صغار الأطفال لغمغمات شبة لغوية فإننا نشهد تطورًا لغويًا في حين عند إنتاج صغار الشمبانزي لعلامات شبه لغوية فلايمكننا تصنيف ذلك على أنه استعمال للغة، ومن ثم تختلف عناصر كل حالة عن الأخرى، وتبقى المشكلة ما بقي الجدل بين مختلف علماء النفس عن نتائجهم حول قدرات حيوانات الشمبانزي على استعمال اللغة، ومع ذلك فاعتمادًا على البراهين المستقاة من الدراسات المذكورة هنا فإننا نرى أن على اللغوي نعوم تشومسكي أن يرجع في دعواه أن (اكتساب ولو الأصول الفجة من ال... فوق قدرات أذكى القرود).

فليس لدينا نتائج عن جهة نظر الشمباتزي في مسألة نزع السلاح النووي بل لدينا نتائج عن الأصول الفحة للغة.



الفصل الخامس

أصوات اللغة

أخذتها كما تعلم من tough شديد ،
و bough غصن و coubh سعال ،
و dough عجين.
قد يعثر غيرك لكنك لا تعثر في نحو :
hiccouph زغطة ،و thorought
،و lough، و through.
ما أدق ذلك ! ربما ترغب الآن
في تعلم مقالب غير مألوفة .
أصغ سمعك للكلمة المخيفة heard.
تبدو مثل beard و تطابق مع bird.
وتنبه dead كلمة bed وليس bead.
عزمت عليك الا تنطقها deed.
تأمل meat ،و great, threat
(فهي تتناغم مع suit، و straight, debt)
من ملاحظات على نطق الأجانب

T.S.W

تخيل أن مديرًا لأحد المطاعم لديه مشكلة في هجاء كلمات انجليزية وقد أعد إعلانًا عن نوع جديد من الأطعمة سيغ Seagh وقد شاهدت أنت الإعلان، ودفعتك حيرتك للتساءل كيف صاغ هذه الكلمة الغريبة؟ والأمر في غاية البساطة، سيقول لك خذ الصوت الأول من كلمة sure والثاني من كلمة Dead والأخير

من كلمة Laugh، وبالطبع ستدرك أن هذه الصيغة تعبر عـن النطـق المتعلـق عـادة بكلمة Chef.

والحكاية هذه مع الفارق تذكرنا بأن أصوات الانجليزية المنطوقـة لا تتطـابق في كثير من الأحيان مع حروف الانجليزية المكتوبة، وإن لم نستطع اسـتعمال الحـروف الأبجدية بطريقة محددة لتعبر عما ننتجه مـن أصـوات، فكيـف نصـف أصـوات لغـة كالانجليزية؟ وأحد الحلول هو عمل أبجدية مستقلة برموز تمثل الأصوات، ومجموعـة الرموز هذه موجودة بالفعل ويطلق عليها (الأبجدية الصوتية) وسنتناول كيـف تمثـل هذه الرموز كلاً من الأصوات الصامتـة والصائتـة في كلمـات الانجليزيـة، وكذلـك الجوانب الفيزيائية للجهاز الصوتي الإنساني التي تتعلق بإنتاج هذه الأصوات.

علم الأصوات العام: Phonetics

يطلق على الدراسـة العامـة لخصـائص أصـوات الكـلام (علـم الأصـوات العـام Phonetics) واهتمامنـا في الأسـاس بعلـم الأصـوات النطقـي articulatory phonetics وهو دراسة كيفية إنتاج أصوات الكلام أو نطقها، ومن ميادين هـذه الدراسة علم الأصوات الفيزيائي Acoustic phonetics الـذي يختـص بدراسـة الخصائص الفيزيائية للكلام بوصفه موجات صوتية في الهواء وكذلك علم الأصوات السـمعي (أو الإدراكي) auditory Or perceptual phonetics وهـو يتعلق بإدراك أصوات الكلام عن طريق الأذن.

الأصوات المجهورة والمهموسة: Voiced and voiceless sounds

في علم الأصوات النطقي نبحث عن كيفية إنتاج أصوات الكلام باستعمال الجهاز المعقد للكلام، وتبدأ بالهواء الذي تدفعه الرئتان خلال القصبةالهوائية إلى الحنجرة، التي بداخلها تتخذ أحبالك الصوتية وضعين أساسين:

١ ـ عندما تنفتح الأحبال الصوتية يمر الهواء المدفوع من الرئتين بين الحبلين دون إعاقة، والأصوات الناتجة في هذا الوضع يطلق عليها مهموسة Voiceless.

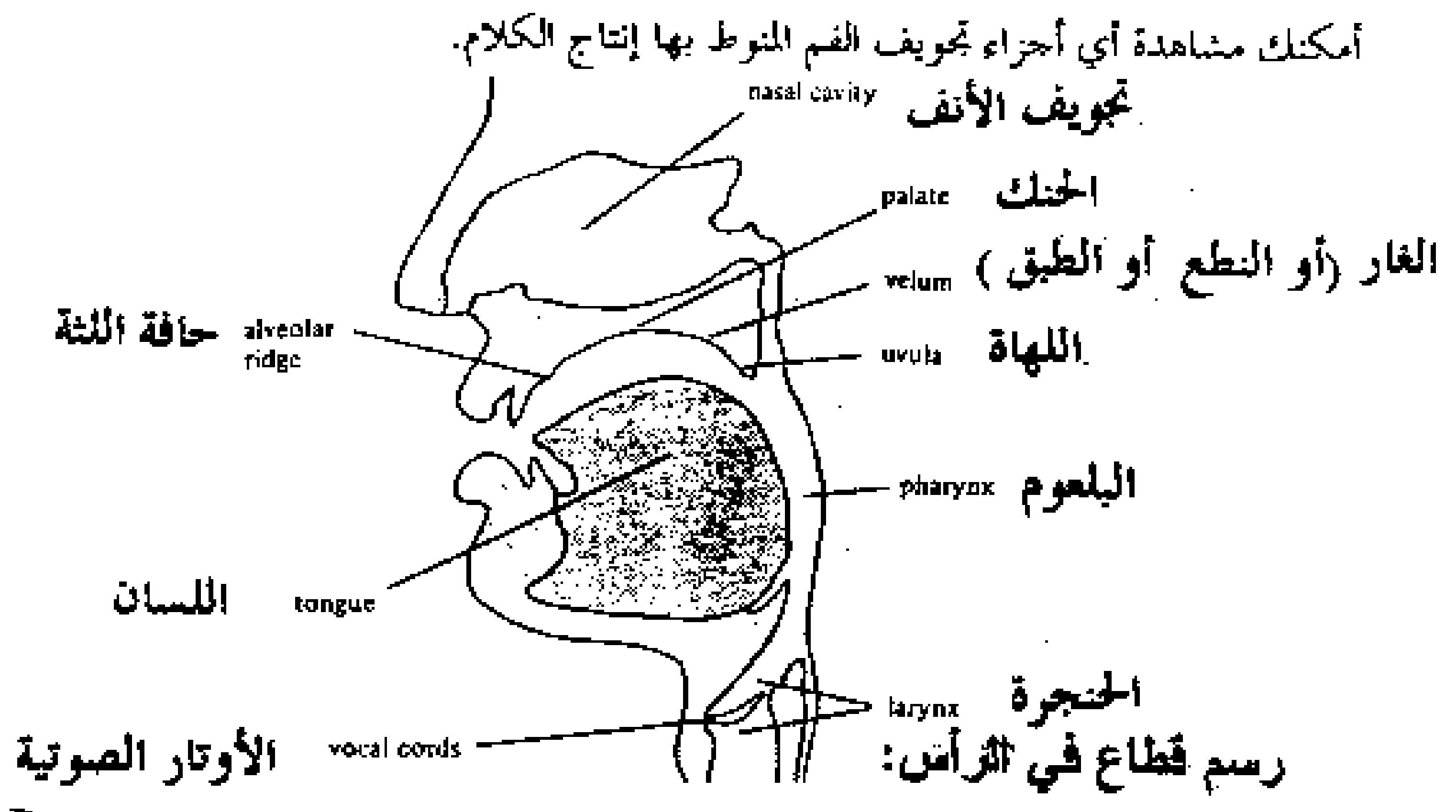
٢ ـ عندما تغلق الأحبال الصوتية فإن هواء الرئتين يدفع الحبلين مرارًا محاولاً إبعادهما في أثناء مروره محدثًا اهتزازات والأصوات الناتجة بهذا الوضع يطلق عليها مجهورة voiced وللتمثيل على هذا التفريق، حاول نطق الكلمتين fish, Pick اللتين تشتملان على صوت مهموس في بداية الكلمة ونهايتها ثم انطق الكلمتين viz, big اللتين تشتملان على صوت مجهور في بداية الكلمة ونهايتها، كما يمكن إدراك الفرق فيزيائيًا بوضع طرف الأصبع برفق أعلى تفاحة آدم (وهي جزء من حنجرتك) وأحدث أصواتًا مثل ززززzzz أو vvvv، ولأنها أصوات مجهورة فإنك تشعر ببعض الاهتزازات، ومع احتفاظك بإصبعك في المكان نفسه أحدث أصواتًا مثل ffff، ssss ولأنها أصوات مهموسة سوف لا تحس بأي اهتزاز، وهناك وسيلة أخرى وهي أن تضع أصبعك في كل من أذنيك وتحدث أصواتًا مجهورة (نحو zzzz) ومن ثم تحس بالاهتزاز، في حين لا يوجد اهتزاز عند أدائك للأصوات المهموسة (نحو sssss) في الحالة نفسها.

مخرج النطق Place of articulation:

بمجرد مرور الهواء من الحنجرة فإنه يمر ويخرج من الفم أو الأنف أو من كليهما، وتنتج معظم الأصوات الصامتة باستعمال اللسان وأجزاء أخرى من الفم لتحدد بطريقة أو بأخرى شكل تجويف الفم الذي من خلاله يمر الهواء،

والمصطلحات التي تستعمل لوصف كثير من الأصوات هي تلك التي تشير إلى مكان نطق الصوت، أي الموضع داخل الفم الذي يحدث فيه التحديد.

إن ما نحتاجه هو قطاع في الرأس، فإذا شققت الرأس من المنتصف بالضبط أمكنك مشاهدة أي أجزاء تجويف الفم المنوط بها إنتاج الكلام.



رسم قطاع في الرأس:

ولوصف مخارج نطق معظم الصوامت يمكننا البدء من مقدم الفم حتى مؤخره، كما يمكننا أن نضع في الحسبان التفريق بين المجهور والمهموس، ونبدأ باستعمال رموز الأبجدية الصوتية للتعبير عن أصوات معينة، وستوضع هذه الرموز في أقواس مربعة [ ].

الأصوات الشفويةBilabials:

وهي أصوات تنتج باستعمال الشفتين، فالأصوات الأولى من الكلمات mat, bat, pat كلها شفوية وتتمثل بالرمز [p] وهو مهموس، و[b] و[m] وهما مجهوران، وصوت الواو [w] في أول الكلمات world, walk, way هي أيضًا شفوية.

الأصوات الشفوية الأسنانية Labiodental:

وهي أصوات تنتج بالأسنان العليا والشفة السفلى؛ فالأصوات الأولى من الكلمات vat, fat والأصوات الأخيرة من الكلمات save, safe هي أصوات شفوية أسنانية، وتتمثل بالرمز [f] المهموس، و[v] المجهور، ولاحظ أن الأصوات الأخيرة من الكلمات cough, laugh والصوت الأول من كلمة photo تنطق جميعًا بالفاء [f] على الرغم من اختلافات الهجاء.

الأسنانية Dental:

وتنتج هذه الأصوات بطرف اللسان مع خلف الأسنان العليا ويستعمل أحيانًا مصطلح بين أسنانية interdental لوصف طريقة النطق، وطرف اللسان محصور بين الأسنان العليا والأسنان السفلى، فالصوت الأول في كلمة thin والصوت الأخير في كلمة bath يعد كل منهما مهموسًا أسنانيًا، ويستعمل [θ] رمزًا لهذا الصوت، في حين يستعمل للصوت المجهور الأسناني الرمز [ð] ويمثل الصوت الأول في كلمة thus والصوت الأخير في كلمة bathe.

الأصوات اللثوية alveolars:

وتنتج هذه الأصوات بتقدم اللسان مع حافة اللثة alveolor ridge وهي الحافة الخشنة العظمية التي تقع خلف الأسنان العليا، فالأصوات الأولى من الكلمات nut, zoo, sit, dip, top كلها لثوية ومن السهولة بمكان تذكر رموز هذه الأصوات[n], [z], [s], [d], [t] فبينما تكون كل من [s], [t] مهموسًا، فإن كلا من [d], [z], [n] مجهور.

ومن الواضح تمثيل الصوتين الأخيرين في الكلمتين bus, buzz بالرمزين [s], [z] على التوالي، ولكن ما الحال مع الصوت الأخير في كلمة raise، فالهجاء يحدث اللبس لأن الصوت الأخير في هذه الكلمة مجهور وينبغي تمثيله بالرمز [z] ولاحظ أيضًا أنه على الرغم من الفرق بين knot, not في الهجاء فإن الصوت الأول لكل منهما ينطق [n].

ومن اللثويات صوت [L] في بداية كلمات مثل lap, lit ومنها كذلك صوت [r]في أول كلمات مثل rip, write, right.

الأصوات اللثوية الحنكية Alveo palatals:

إذا لمست ذلك الجزء الذي يقع إلى الخلف من حافة اللثة alveolar ridge ستجد جزءًا صلبًا في سقف فمك، وهو ما يطلق عليه الحنك، ويطلق على تلك الأصوات الناتجة باللسان مع أقصى الأمام من الحنك بالقرب من حافة اللثة arlr. ridge اسم الأصوات اللثوية الحنكية، مثل الصوتين الأولين في الكلمتين shoot and child وهما صوتان مهموسان، وعلى الرغم من وجود حرفين في النطق (sh) and (ch) فإن هذين الصوتين يمثلان برمز صوتي واحد [č] and [š] على الترتيب، ولهذا فإن كلمة مثل shoe - brush تبدأ وتنتهي بصوت مهموس لثوي حنكي [š] وكذلك تبدأ كلمة church وتنتهي بصوت مهموس لثوي حنكي[č]

ومن الأصوات المجهورة اللثوية الحنكية، ما يمثل بالرمز[ž] وليس شائعًا في الإنجليزية، ولكن قد يرد صوتًا صامتًا في حشو كلمة مثل treasure, pleasure أو قد يأتي صوتًا أخيرًا في نهاية كلمة مثل rouge.

وأما الصوت الآخر المجهور اللثوي الحنكي، فيمثله الرمز[ʤ]، ويرد صوتًا أوليًا كما في أول كلمة joke, gem وأما في كلمة judge واسم George فكلاهما يبدأ وينتهي بالصوت[ʤ]على الرغم من الاختلاف الواضح بينهما في الهجاء.

وأما الصوت الناتج باللسان من وسط الحنك فهو صوت [j] كالذي في أول كلمة مثل you، وكلمة yet ويطلق على هذا الصوت مصطلح حنكي palatal.

الأصوات النطعية Velars:

وكلما توغلت إلى الخلف في سقف الفم فيما وراء الحنك الصلب تصادفك منطقة رخوة يطلق عليها الحنك الرخو أو الطبق velum والأصوات الناتجة بمؤخر اللسان مما يحاذي الطبق يطلق عليها أصوات نطعية velars، ومنها صوت مهموس نطعي يمثله الرمز [k] لا يرد في نحو kill, kid فحسب بل يرد أيضًا صوتًا أوليًا في نحو cold, car وقد يرد في بداية ونهاية الكلمة كما في نحو coke, kick, cook على الرغم من اختلاف تلك الكلمات في الهجاء.

والصوت النطعي المجهور المسموع في بداية كلمات مثل give, gun, go فيمثله الرمز [g] ويرد صوتًا أخيرًا في نهاية كلمات مثل bag-حقيبة,mug كوب plague, طاعون على الرغم من الاختلاف الهجائي بينها.

وصوت نطعي مجهور آخر يمثله الرمز[ŋ]ففي الانجليزية يكتب هذا الصوت عادة بحرفين "ng" ولهذا فإن صوت[ŋ] يرد في نهاية كلمات مثل tongue, sang, sing على الرغم من اختلاف الهجاء بينها، وقد يرد مرتين في صيغة يرن ringing، واحذر أن يوقعك الهجاء في اللبس كما في كلمة bang فهي تنتهي بصوت[ŋ] فقط، وليس في هذه الكلمة صوت [g].

الأصوات الحنجرية Glottals:

ينتج صوتان آخران دون استعمال اللسان وأجزاء أخرى من الفم، أحدهما صوت [h] كما في بداية house, have وكذلك في نحو whose, who لدى معظم الناطقين، وهو صوت مهموس حنجري، فالمزمار هو الحيز بين الأحبال الصوتية في الحنجرة، وعندما يفتح المزمار كما في حالة إنتاج الأصوات المهموسة ولكن دون التدخل في مسار الهواء عبر الفم فإن الصوت الناتج يمثله الرمز [h].

وعند إغلاق المزمار كل الإغلاق لوهلة ثم يفتح، فإن الصوت الناتج يطلق عليه الحبسة الحنجرية Glottal stop، ويحدث هذا الصوت في لهجات انجليزية عديدة، ولكن ليس له رمز كتابي في الأبجدية الرومانية والرمز المستعمل له في الأبجدية الصوتية هو [ʔ] ويمكنك إنتاج هذا الصوت إذا حاولت نطق كلمة butter أو bottle دون أن تنطق -tt- في حشو الكلمة، ويعد هذا الصوت في الانجليزية البريطانية اتجاهًا واضحًا في كلام العامة (Cockney) وكلام كثير من أهل نيويورك في الولايات المتحدة.

بيان الأصوات الصامتة:Charting consonant sounds

بعد أن استعرضنا مخارج الأصوات الصامتة في الانجليزية، بوسعنا تلخيص المعلومات الأساسية في الجدول التالي، ويقع في أعلى الجدول الأسماء المختلفة للمخارج، وتحت كل مخرج v- ويشير إلى المهموس، v+ ويشير إلى المجهور، وعلى يسار الجدول مجموعة رموز تستعمل في بيان طريقة النطق التي سنناقشها في قسم لاحق.

	شفوي		شفوي أسناني		أسناني		لثوي		لثوي حنكي		نطعي		حنجري	
	+v	-v	+v	-v	+v	-v	+v	-v	+v	-v	+v	-v	+v	-v
الوقفية	b	p					p	t			g	k		ʔ
الاحتكاكية			v	f	ð	θ	z	s	ž	š				
أشباه الاحتكاكية									ǰ	č				
الغناء (الأنفية)	m						n				ŋ			
السائلة							Lr							
اللينة	w								y					h

ملاحظات على الجدول:

هذا الجدول ناقص وإن اشتمل على معظم الأصوات الصامتة المستعملة في وصف نطق اللغة الانجليزية، ومع ذلك فهناك فروق عدة بين هذه المجموعة الأساسية من الرموز، وبين الجدول الوافي الذي أصدرته المؤسسة الصوتية الدولية (IPA)، وأوضح فرق بينهما هو مدى ما يتضمنه من أصوات، حيث يهدف جدول (IPA) إلى وصف أصوات اللغات كلها ويتضمن على سبيل المثال رموزًا للصوت الاحتكاكي النطعي المسموع في النطق الألماني للجزء (ch) في كلمة Bach أو Achtung , كما يتضمن أصواتًا تنتج بمؤخر اللسان واللهاة (الجزء الأسفل من الطبق) والتي تمثل جزء (r) في النطق الفرنسي لكلمة rouge وكلمة lettre، وترد أيضًا الأصوات اللهوية في كثير من اللغات الهندوأميركية، وأصوات أخرى في غير الانجليزية مثل الأصوات البلعومية (تنتج بالبلعوم) ترد في اللغات

السامية كاللغة العربية، ومما فات الجدول السابق اقتصاره على وجه واحد من أصوات (r) في الانجليزية، فهناك كثير من التنوع في أداء الناطقين للصوت الأول من كلمة raw ومن كلمة red، وكذلك الصوت الأوسط في كلمة very، والصوت الأخير في كلمة hour وكلمة air، وتشتمل الأبجديات الصوتية على رموز متنوعة (مثل [ɾ], [ɹ]) حيث تميز الأصوات المتعددة لـ r، وفي النهاية فإن جدول IPA يستعمل رموزًا تختلف عما استعمل هنا لبعض الأصوات، وهذه البدائل هي [ʃ]=[š] ‘ ,[ʒ]= [ž] ‘ ,[tʃ]=[č] ‘ ,[dʒ]=[ǰ] ‘ ,[j]=[y]

وللتوسع في استعمال رموز مؤسسة IPA انظر للفوجد (١٩٨٢).

طريقة النطق Manner of articulation:

كان تركيزنا على وصف الأصوات الصامتة فيما يتعلق بمخارجها، ويمكننا وصف الأصوات نفسها فيما يتعلق بكيفية نطقها، وهذا الوصف لازم إذا أردنا أن يكون يوصفنا التمييز بين بعض الأصوات السابقة من فصيلة واحدة، فعلى سبيل المثال يمكننا القول بأن كلا من [t] و[s] صوت مهموس لثوي، فكيف يختلفان؟ يختلفان في طريقة النطق، فصوت [t] واحد من مجموعة صوتية يطلق عليها الأصوات الوقفية stops، وصوت [s] من مجموعة صوتية يطلق عليها الأصوات الاحتكاكية fricatives.

الأصوات الوقفية Stops:

من الأصوات التي أشرنا إليها بمجموعة [ʔ], [g], [k], [d], [t], [b], [p] وتنتج جميعًا بالإغلاق التام لمسار الهواء (لحظيًا) ثم تركه يخرج باندفاع، وهذا النوع من الأصوات الصامتة الناتج عن أثر الإغلاق أو الإيقاف لمسار الهواء يطلق عليه صوت وقفي a stop والوصف التام لصوت [t] في بداية كلمة مثل ten هو أنه صوت وقفي لثوي مهموس، وفي بعض الأحيان يكتفى في الوصف بطريقة النطق فقط كما في تعليقنا على كلمة bed بأنها تبدأ وتنتهي بصوت وقفي مجهور.

الأصوات الاحتكاكية Fricatives:

طريقة النطق المستعملة في إنتاج مجموعة الأصوات [θ], [ð],[s],[z],[š],[ž] ، [v], ، [f] تتضمن غالبًا تضييقًا لمسار الهواء ومن ثم يندفع الهواء خلال فتحة ضيقة، وبينما يندفع الهواء، ينتج احتكاك والأصوات الناتجة يطلق عليها أصوات احتكاكية، فإذا وضعت يدك مفتوحة أمام فمك عند أداء هذه الأصوات وخاصة [f] و[s] فسوف تشعر باندفاع الهواء، فكلمة مثل fish تبدأ وتنتهي بصوت احتكاكي مهموس، في حين تبدأ وتنتهي كلمة those بصوت احتكاكي مجهور [ð] ، [z].

أشباه الاحتكاكية Afficates:

إذا جمعت بين الإيقاف اللحظي لمسار الهواء مع التسريب المضيق له مما يحدث احتكاكًا،فسيكون بوسعك إنتاج صوت [č] وصوت [ǰ]، ويطلق عليها الأصوات أشباه الاحتكاكية كما في بداية كلمة cheap وكلمة jeep ففي أولى الكلمتين صوت انفجاري احتكاكي مهموس، وفي ثانيتهما انفجاري احتكاكي مجهور.

الأصوات الغناء Nasals:

تنتج جهرة الأصوات بـالفم مـع ارتفـاع الطبـق الـذي يمنـع سـريان الهـواء إلى تجويف الأنف، وعندما ينخفض الطبق ويسري الهواء خلال الأنف لإنتاج أصـوات [m], [n], [ŋ] فإن هذه الأصوات يطلق عليها الأصوات الغنّاء، وجميعها مجهور، وفي مثـل كلمـة morning وكلمـة knitting وكلمـة name تبـدأ كـل منهـا وتنتهي بصوت أنفي.

الأصوات السائلة Liquids:

يوصف الصوت الأول في كل من red, led عامة بأنـه صـوت سـائل وينتـج صوت [L] بالسماح لمسار الهواء بالمرور من جانبي اللسان حينما يتصل بحافة اللثة، وينتج صوت [r] برفع طرف اللسان وانثنائه خلف حافة اللثة.

الأصوات اللينة glides:

ينتج صوت [w] وصوت [y] أشبه ما يكونان بأصوات انتقالية، ويطلق عليها أصوات لينة أو أشباه الصوائت، وفي أدائهما ينتجان عادة بحركة اللسـان أو انتقاله إلى مكان يرتبط بصوت صائت مجاور أو انتقالـه منه، والصوتـان مجهوران، وهـذه الصفة نجدها في أوائل كلمات *we, wet, you* and *yes* .

وهذه القائمـة الطويلـة نسبيًا من الخصائص الصوتية للأصوات الصامتة بالانجليزية لا تقـدم بوصفهـا تحديًا لقدراتك على تذكر كثير من المصطلحات والرموز، بل تقدم لتبيـين كيـف أن وصفًا إجماليًا للجوانب المادية في إنتاج الكلام يمكننا من تمييز أصـوات الانجليزيـة المنطوقـة، بعيـدًا عن إيهام الهجاء في الانجليزية المكتوبة، ومع ذلك فيبقـى بعـض الأصـوات لم نبحثـه بعد، وتعرف هذه الأصوات بالأصوات الصائتة والأصوات المركبة.

الأصوات الصائتة Vowels:

بينما تنطق الأصوات الصامتة في الغالب بإغلاق أو تضييق في الجهاز الصوتي فان الأصوات الصائتة تنتج بالسريان المطلق للهواء، ولوصف الصوائت ينبغي أن نلم بالطريقة التي يتحكم بها اللسان في الشكل الذي على تيار الهواء أن يمر خلاله، ولصعوبة تمييز الصوائت وفقًا للمخرج وطريقة النطق، تستخدم تصنيفات توضح علاقة كل صوت صائت بالصوائت الأخرى، ومن ثم سنتكلم عن صائت عال أمامي في نطق كلمة **heat** لأن الصوت ينتج بمقدم اللسان في حالة ارتفاعه، في حين ينتج الصوت الصائت في كلمة **hot** بمؤخر اللسان في حالة انخفاض نسبي ويوصف بأنه صائت منخفض خلفي، هذه التصنيفات تقدم عادة في شكل جدول كالمبين بعد، وهو يقدم وسيلة للتعرف على أشهر الأصوات الصائتة في الانجليزية.

	خلفي	مركزي	أمامي
عال	u ʊ		i ɪ
وسط	o ɔ	ə	e ɛ
منخفض	a	ʌ	æ

وأيسر طريقة لتآلف التمييز لمجموعة الأصوات الصائتة هو أن تتخذ أمثلة من كلمات شائعة لكثير من الناطقين بالانجليزية الأمريكية تتضمن في معظم الأحيان تلك الأصوات، وفيما يلي قائمة تبدأ بالصوائت العالية الأمامية مرورًا بالمنخفضة الخلفية، وانتهاءً بثلاثة من الصوائت المركبة.

[i] *see, eat, key*
[ɪ] *hit, myth*
[e] *tail, great, weight*
[ɛ] *pet, said, dead*
[æ] *sat, laugh*
[ə] *the, above*
[ʌ] *putt, blood, tough*
[u] *move, two, glue*
[ʊ] *put, could, foot*
[o] *no, know, though*
[ɔ] *raw, fall, caught*
[a] *cot, father, body*
[ay] *my, buy, eye*
[aw] *cow, loud*
[ɔy] *boy, void*

الصوائت المركبة Diphthongs:

تشتمل الرموز الثلاثة الأخيرة من القائمة السابقة على صوتين، ويطلق على الأصوات الصائتة المركبة هذه مصطلح الصوائت المركبة Diphthong وضع في حسبانك أن كل حالة منها تبدأ بصوت صائت وتنتهي بصوت لين, وفي معظم الأصوات الصائتة المفردة فإن أعضاء النطق تبقى إلى حد ما ثابتة، ولكن في أداء الصوائت المركبة تنتقل من موضع صوتي لآخر، وإذا حاولت أداء الصوامت والصوائت المركبة في الكتابة التالية ستلحظ تمرينًا تقليديًا على التدريب على الكلام

[haw naw brawn kaw]

ملاحظات على جدول الصوائت:

من المشهور أن الأصوات الصائتة عرضة للتفاوت بين لهجة وأخرى في الانجليزية، وربما تجد أن بعض الأصوات المبينة هنا لا تستعمل في لهجتك، على سبيل المثال قد لا تفرق بين صوائت كلمة **caught** وكلمة **cot**، فبعض الكتابات تستعمل فقط [a] للصوت الصائت الخلفي هذا، أو قد لا تفرق تفريقًا دقيقًا بين الصائتين المركزيين [ə] ، [ʌ] ، فإذا لم تفعل فما عليك إلا أن تستعمل الرمز [ə] ، وتذكر أن لب هذا البحث هو ألا تجعل كلامك يطابق الرموز المستعملة، ولكن أن تحاول استعمال الرموز الملائمة لوصف الأصوات التي تصدرها، ويهدف التدريب إلى وصف ما تقول وليس إلى وضع معيار لما ينبغي أن يقال.

الفصل السادس

الأنماط الصوتية للغة

لاتنطق مـن الانجليزية إلا بالواضح المهذب ،
الصحيح لفظاً وأداء ، دون حذف حـرف
أو مقطع – كما يبدو من استهتار الجاهلات
من النسـاء ومـن ذوى الميوعة من الرجال
والمترفين من الأطفال من نطق ملحون فاحش .
سير توملس اليوت (١٥٣١) .

لقد تعرضنا في الفصل السابق للإنتاج المادى لأصوات الكلام من حيث آليات النطق في الجهاز الصوتي الإنساني والذى سهل هذه الدراسة بعض الحقائق المذهلة إلى حد ما عن طبيعة اللغة ، وحينما نتناول الجهاز الصوتي الإنساني لايختلف الأمر اذا ماكنا نتحدث عن شخص كبير يزيد على ستة أقدام طولاً ويزيد على ٢٠٠ رطل وزناً ، أو عن امرأة صغيرة حوالى خمسة أقدام طولاً ، وتزن حوالى ١٠٠ رطل، وهذان الشخصان المختلفان مادياً ، سوف يختلفان لامحالة في الجهاز الصوتي من حيث الحجم والشكل ، وهذا يعنى أن لكل فرد جهازه الصوتي المتميز ، ويترتب على ذلك وبأسلوب مادى أن كل فرد سينطق الأصوات بطريقته الخاصة ، وسنجد بالفعل آلاف الطرق المادية لآداء كلمة بسيطة مثل **me** ، فضلاً عن أن كل فرد لاينطق كلمة **me** بالطريقة مثلها في كل مناسبة ، ولسوف تتجلى الاختلافات عندما يصيح الفرد ، أو يسأل عن مارتيني السادس **sixth martini** ، أو عندما يعانى من البرد ، وعلى ضوء هذا المدى الواسع من الاختلافات الفعلية في الإنتاج المادي الحقيقي لصوت الكلام ، كيف يمكننا إدراك اختلافات **me** تلك كلها بوصفها الصورة الصوتية [mi] وليس [ni] أو [si] أو [ma]

أو[mo] أو أى شيء آخر مختلف كل الاختلافات ؟ والذى يحقق إجابة هذا التساؤل إلى حد كبير هو دراسة علم الأصوات الوظيفي phonology .

علم الأصوات الوظيفي phonology

علم الأصوات الوظيفي phonology في الأساس هو دراسة أنظمة أصوات الكلام في اللغة ورصد أنماطها ، وهذا يتأسس على نظرية تبحث عما يعرفه الناطق باللغة لاشعورياً عن أنماط أصوات اللغة ، وطبقاً لهذا الأساس النظرى فإن علم الأصوات الوظيفي يعنى بالجانب التجريدى أو العقلى للأصوات فى اللغة أكثر من عنايته بالنطق المادى الحقيقى لأصوات الكلام ، ولهذا فعندما نقول بأن صوت [t] عند أداء stain و eighth واحد لايختلف ، فكأننا فى الحقيقة نقول بأنه فى علم الأصوات الوظيفى فى اللغة الإنجليزية يمكن تمثيلهما بطريقة واحدة ، ففى الكلام الحقيقى قد تختلف جداً أصوات [t] ، ففى الكلمة الأولى يؤدى تأثير الصوت الأنفى (الأغن) التالى إلى شيء من التسريب الأنفى ، فى حين نجد فى الكلمة الثانية أن تأثير صوت [θ] التالى يؤدى الى المخرج الأسنانى للصوت [t] ويمكن حصر هذا الفرق بين صوت [t] وصوت [t] آخر فى أبجدية صوتية مفصلة أو دقيقة .

وبرغم ذلك تقل أهمية هذا التفريق فى علم الأصوات الوظيفى فى الانجليزية عن التفريق بين صوت [t] عامة ، وأصوات [d] أو أصوات [b] على سبيل المثال ، وذلك لوجود سياقات دلالية تتعلق باستعمال صوت بعينه دون غيره من الأصوات الأخرى،وهذه الأصوات لا محالة أصوات ذات معان محددة بغض النظر عن الجهاز الصوتى لمن ينطقها ، لأنها التى تحدد معانى كلمات يربط tie ويموت die ويبيع buy ومن هذا المنطلق يمكننا بيان أن علم الأصوات

الوظيفي الذى يعني بالمجموعة التجريدية من الأصوات في اللغة يمكننا تمييزا المعنى فيما ننطق ونسمع من أصوات مادية حقيقية .

الوحدات الصوتية phonemes

كل صوت من الأصوات المميزة للمعاني في لغة ما يطلق عليه الوحده الصوتية phoneme وإذا أخذنا في الحسبان أساس الكتابة الأبجدية في الفصل الثاني ، فإننا بذلك نكون قد تعاملنا مع مفهوم الفونيم بوصفه الصوت الذى يمثله رمز واحد ، وبهذا المعنى فإن فونيم /t/ يعرف بأنه نوع من الأصوات ينضوى تحته كل الصور النطقية المتنوعة للصوت [t] ، ولاحظ أن الخطين المائلين يشيران إلى الفونيم ، مثل /t/ وهو قطعة تجريدية في مقابل القوسين المربعين اللذين يشيران إلى كل قطعة صوتية أو كل قطعة منتجة ماديا ومن أهم خصائص الفونيم هو أنه يعمل بالتقابل فلدينا الفونيمان /f/ و /v/ في الانجليزية لأنهما الأساس في التقابل الدلالي بين صيغ شحم Fat، وعاء vat أو رائع fine ، كرمة vine ، وخاصية التقابل هذه هي الاختبار العملي الأساسي لتحديد الفونيمات الموجودة في لغة ما فإذا استبدلنا صوتا في كلمة بآخر ، وتغير المعنى فإن الصوتين يمثلان فونيمين مختلفين وجداول الصوامت والصوائت في الفصل الخامس يمكن اعتبارها عرضا أساسيا لفونيمات الانجليزية .

والمصطلحات التي استعملت في بناء ذلك الجداول يمكن اعتبارها ملامح features تميز كل فونيم عما يليه .

وهذا يمكن تمييز فونيم /p/ على هذا النحو [- مجهور + شفوى + وقفى) وفونيم /k/ على هذا النحو [- مجهور + طبقى + وقفى] والتوافق هذين الصوتين في بعض الملامح فإنهما يوضعان في تصنيف طبيعي من الأصوات ، ويترتب على ذلك أن هذه الأصوات ذات الملامح المشتركة تسلك من حيث وظائف الأصوات

مسلكا مشابهاً ، والصوت الذى لا يشترك فى هذه الملامح لا محالة سيسلك مسلكا مختلفا ، فعلى سبيل المثال لفونيم /v/ الملامح التالية [+ مجهور + شفوى أسنانى + احتكاكى] ومن ثم لا يوضع فى تصنيف طبيعى مع فونيم /p/ ، /k/ ، وعلى الرغم من اعتبار عوامل أخرى ، فإن تحليل الملامح هذا يمكن أن يؤدى إلى توقع وجود سبب صوتى ملائم عن علة شيوع كلمات انجليزية تبدأ بـ /pl/ و /kl/ وعدم شيوع كلمات تبدأ بـ /vl/ فهل هناك مجموعات محددة من الملامح لازمة فى الصوت لكى يحل قبل فونيم /l/ ؟ إذا كان ذلك كذلك ، فإننا سنكون على الطريق لعمل اعتبار صوتى عن تتابعات صوتية فى اللغة .

• الثنائيات الصغرى والمجموعات Minimal pairs and sets

عندما نجد فى نحو bat ضربة عنيفة و pat ضربة خفيفة أنهما يتشابهان فى الصيغة ماعدا اختلافهما فى فونيم واحدفى الموضع نفسه ، فإن هاتين الكلمتين يطلق عليهما ثنائية صغرى minimal pair وبمعنى أدق فإنهما ثنائية صغرى فى وظائف أصوات اللغة الإنجليزية لأن العربية على سبيل المثال لاتتضمن هذا التقابل بين الصوتين ، ومن أمثلة الثنائيات الصغرى فى الإنجليزية site - side , bet - bat, fan - van وقد استعملت هذه الثنائيات كثيراً فى اختبارات الانجليزية بوصفها لغة ثانية لقياس قدرة الناطقين الأجانب على فهم التقابل الدلالى الناتج عن التقابل الصوتى الصغير .

وعندما تميز مجموعة من الكلمات عن غيرها وذلك بتغيير وحدة صوتية واحدة (دائماً فى المكان نفسه) ومن ثم تتكون مجموعة صغرى minimal set ، ولهذا فإن المجموعة الصغرى المبنية على أساس من فونيمات الصوائت فى الانجليزية تتضمن feat, fit, fat , fate , fought, foot وإذا كانت مؤسسة على الصوامت فإنها تتضمن big , pig , rig, fig, dig, wig.

ومن نتائج هذا النوع من التدريب بالفونيمات أننا نجد حقاً أنماطاً محددة من الازدواج الصوتي تتيحها اللغة ، ففي الانجليزية لانجد في المجموعة الصغرى السابقة صيغاً مثل lig أو vig ومن المعلوم أنهما ليستا من كلمات الإنجليزية بل ينظر إليهما على احتمال كونهما من كلمات الانجليزية ، وهذا يعني أن معرفتك الصوتية لأنماط الأصوات في كلمات الانجليزية يتيح لك أن تعامل مثل تلك الصيغ بوصفها صيغاً مقبولة إذا ما استعملت يوماً ما في المستقبل ، فهي تمثل فجوات عرضية accidental gaps في مفردات الانجليزية على الرغم من عدم وجود مناسبة لوجود صيغ مثل [fsɪg] أو [ŋig] ، أو حتى يحتمل وجودها ، لأنها تكسر ماينبغي أن يكون من قواعد وظائف الأصوات عن تتابع أو موضع فونيمات الإنجليزية .

التنوعات الصوتية والصور الصوتية: phones and allophones

لقد بات واضحاً أنه في حين يمثل الفونيم وحدة تجريدية من الصوت ، فهناك إدراك صوتي متنوع لكل فونيم ، ويطلق على هذه الوحدات الصوتية التنوعات الصوتية phones ، وقد أشار علماء الأصوات أن بالانجليزية فرقاً في النطق بين /i/ في كلمات seed و seen ، وفي الكلمة الثانية يؤثر الصامت الأنفي [n] على صوت [i] فيجعله أنفياً وتتمثل هذه الصفة الأنفية بشرطة أعلى الرمز [ĩ] في الأبجدية الصوتية الدقيقة فهناك صوتان على الأقل [i] ، و [ĩ] في الانجليزية يمثلان فونيما واحداً ويطلق على هذه المغايرات الصوتية الصور الصوتية allophones ويتضح الفرق بين الفونيمات والالوفونات بأنه بإحلال فونيم محل فونيم آخر تتغير دلالة الكلمة (كما يتغير النطق) ولكن بإحلال الألوفونات يتغير النطق وحده وتبقى الكلمة علىدلالتها نفسها وقد تتفق لغتان بالطبع في

التنوعات الصوتية أو القطع الصوتية ولكن يبقى لكل لغة نظامهـا ، ففـي الانجليزيـة يعد تأثير التأنيف على صائت صورة صوتية ، لأن هذا الصائت الأنفي لايمثل مقابلاً دلالياً للصوت الآخر ، في حين نجد أن بالفرنسية يستعمل [mɛ] لكلمـة واحـدة هـي mets وتعنـى الطبـق dish ، ويستعمل أيضـاً [mɛ̃] لكلمـة مختلفـة main وتعنى (يد) hand ، وكذلك [so] لكلمة seau وتعنى(دلـو) pail ، وفـي المقـابل [sõ] لكلمـة son وتعنـى sound ، فـالاختلاف فـي هـــذه الحالات يكمن حقاً في اختلاف الفونيمات .

المماثلة assimilation

يعد هذا المثال الذى سقناه آنفاً عن تأنيف الصائت فى الانجليزية شـاهداً جيـداً على عملية قياسية أخرى تتعلق بالفونيمات.

فعندما يتوالى فونيمان وتنتقل بعض خصائص أحدهما للآخر فإن هذه العمليـة يطلق عليها المماثلة assimilation وفيما يتصل بالعملية المادية للكلام فإنه قد يزعم زاعم أن هذه العملية القياسية ترتبط بسهولة النطـق فـى الكـلام اليومـى ، فيمكنك أن تنطـق /i/ و /ae/ دون أى أثر أنفـى ، ومـع ذلـك ففـى نحـو pin مسمار، pan حوض فإن توقـع تكويـن الصـامت الأنفـي الأخـير يسـهل الأمـر إذا ذهبت مقدماً إلى المخرج الأنفي مباشرة ويترتب على ذلك أن صوتي الصـائتين فـى هاتين الكلمتين سيرمز لهما في الأبجدية الصوتية الدقيقة [ĩ] ، [ǣ] وهذا ملمـح قياسي في أداء الناطقين بالانجليزية ، ومعنى أنه قياس فـى الحقيقـة ، هـو أنـه يمكـن صوغ قاعدة صوتية كالتالي : كل صائت يصبح أنفياً إذا تلاه مباشرة صامت أنفـى. وهذا النوع من عمليات المماثلة يحدث في سياقات متنوعة ،وهـذا ملاحـظ خاصـة في الحادثات العادية فيمكنك نطق كلمة can على هذا النحو [kæn] ولكنـك إذا قلت لشخص ما I can go فإن الصـوت الطبقـي (g) سيؤثر بالتـأكيد علـى

الصوت الأنفي السابق عليه فيصير طبقياً على هذا النحو [ŋ] بدلاً من مخرجه اللثوي [n] فالأشهر في نطق هذا النوع في العبارة هو [aykəŋ go] ومن الملاحظ تغير الصائت في can إلى [ə] مختلفاً عن قسيمه في نطق الكلمة المفردة [ae] ويطلق على صوت [ə] شوا schwa ويستعمل كثيراً في المحادثات عندما يقع صائت مختلف في كلمة مفردة ، وفي كثير من الكلمات التي تنطقها بعناية يقع نبر stress على الصائت في حين نجده في مجرى الحديث المعتاد يخلو من أي نبر ، فعلى سبيل المثال يمكنك نطق كلمة and وحدها على نحو [aend] ، ولكن في أداء العبارة you and me ستنطقها [ən]لامحالة على نحو [yuənmi] .

الحذف Elision :

يلاحظ في المثال السابق أنه في البيئة الصوتية التي يرد فيها الصامت الأنفي سابقاً أولاً حقاً فإن صوت [d] في and قد اختفى بكل يسر ، كما يحذف صوت [d] في العادة في نطق كلمة مثل friendship ، [frɛnʃip] وهذا الحذف للقطعة الصوتية في نطق كلمة مفردة يطلق عليه اصطلاح الحذف elision ، وفونيم / t / في نهاية الكلمة عادة مايحذف ومثال ذلك نطق [aespɛks] لكلمة aspects أو في [himʌsbi] لعبارة he must be ، فبالطبع يمكنك النطق بتؤده وأناة لعبارة we asked him ولكن عملية الحذف في الكلام المعتاد تؤدي إلى [wiaestim] والصائت عرضة للحذف كما في حشو [ɪntrɪst] لكلمة intrest أو في [kaebnɪt] لكلمة cabinet حجرة .

وهاتان العمليتان أعني المماثلة والحذف تحدثان في كلام كل ناطق وينبغي ألا ينظر إليهما على أنهما إسفاف أو تكاسل في الكلام ، وفي الحقيقة وبغض النظر

عن الأنماط القياسية للمماثلة والحذف المستعملة فى اللغة فإنها تحصل كثيرا فى أصوات الكلام الاصطناعى ، ونقطة البحث فى العمليات الصوتية (أجرى البحث هنا على عدد ضئيل) لاتكمن فى الوصول إلى مجموعة القواعد التى تحكم نطق اللغة ، بل تكمن فى محاولة فهم القياسات والأنماط التى ينضوى تحتها الاستعمال الحقيقى للأصوات فى اللغة.

الفصل السابع

الكلمات وعمليات بنائها

لقد راحت بسوء نية الكيميائيين ومتعاطي
طب الشعوذة ، ومخترعي المتفجرات الحديثة
... الخ يوازرهم في ذلك تعاطف طبقاتهم
الخاصة والمنقادين من العامة ، لواصقهم :
-ades و '-ides و ،-ates و، -ites
فابتكرت جدتنا كلمة terrorite كلمة
americanite لتوافق كلمة dynamite،
ويشعر الواحد منا كما لو كان يسدل الستار
على التاج العزيز غير اللائق Vaselin
مرهم فازلين نحو The rosalines
الصبغيات ، الزهريات the bloomines
والمشاشيات Fragelines
وال ــــــ the nos ulines
والاعتياد على هذه العمليات يتغير فجأة بالروائح
الفائقة للفصائل التي تميزها لاحقة مناسبة ، فهي
المواد الخام التي تنسج منها الأحلام ، ويذكرنا الصعق
الكهربي للشوم بأن خطانا على مدرج الحضارة سوف
تودي بنا الى الصعق المائي hydrocution وذلك اذا
سادت بالمصادفة النظرية القائلة بأن الرسم أفضل الأشياء.
موريس بلومفيلد (١٨٩٥)

تصور أن كلمة ما استعملت بوصفها مصطلحاعاما يشير الى كل شخص يعمل مساعداً فنيا في بعض المشروعات ولكن هذه الكلمة الجديدة somp فاءذا سألت صديقتك عن عملها في هذة الأيام ستجيبك oh, I, m a somp at

أو أنا مساعد في محطة الإذاعة المحلية alocal radio station وربما تسمع بعض تصريفات هذا المصطلح في المحادثة نحو:

Are somps well paid?oh, it's not bad. But glom
I can't imagine somping for the rest ofmy life

هل عمل المساعد مجز ،آه ليس سيئا ولكن لا أتخيل أن أظل طوال حياتي أعمل مساعدا ، وربما يظهر المصطلح في العناوين أو الإعلانات نحو:

The sompist Role in Broadcasting

الطريقة الفعالة للنشر ،أو المساعدة بوصفها وظيفة Sompism

ولب الموضوع في هذه الأمثلة هو أنه على الرغم من ،أنك لم تسمع بمصطلح somp من قبل، فليس ثمة صعوبة أمامك في فهم معاني الكلمات الأخرى الجديدة somps، و somping و sompist و sompism ، وهذا يعنى أنك قادر على أن تفهم سريعاً كلمة جديدة في لغتك وتدرك استعمال الصيغ المختلفة لتلك الكلمة الجديدة، وهذه القدرة تنشأ عن حقيقة وجود كثير من القياس في عمليات بناء الكلمات في لغتك، وفي الفصل هذا سنتعرض لبعض هذه العمليات التي تنشأ عنها مصطلحات جديدة .

عمليات بناء الكلمات : word-formation processes

يبدو إلى حد ما أن دراسة العمليات التي تؤدي إلى ظهور كلمات جديدة في لغة كالإنجليزية تتسم بالاطراد، وهذه البساطة الظاهرة تخفي تحتها عدداً من نقاط الخلاف، سنتناول بعضها في الفصل القادم، وبرغم الخلاف بين الدارسين في هذا النطاق فهناك بعض العمليات القياسية، وفي المباحث التالية سنلم بالمصطلحات الفنية المتعلقة بتلك العمليات مع ذكر الأمثلة الشائعة والتي هي ناتج تلك العمليات، وينبغي أن يوضع في الحسبان أن هذه العمليات ذات تأثير فعال في اللغة

لبعض الوقت وكثير من الكلمات فى حياتنا اليومية الآن كانت تعد فى وقت ما من اللحون المستهجنة في اللغة، ومن الصعوبة بمكان الآن، فهم ما أثير فى أوائل القرن التاسع عشر عن الابتكار التافه لكلمة مثل handbook ، أو الرعب الذى سيطر على صحيفة بلندن فى عام ١٩٠٩ عن استعمال كلمة جديدة هى الملاحة الجوية Aviation ، بل إن كثيراً من المصطلحات المتداولة حديثاً قد أثار صيحات احتجاج مماثلة، وفضلاً عن الاهتمام بالتأكيد على أن اللغة يعتريها الانحطاط، فإننا نفضل أن نعد التطور الثابت لمصطلحات جديدة، ولاستعمالات جديدة لمصطلحات قديمة علامة مؤكدة للحيوية والإبداعية فى الوسيلة التى بها تتشكل اللغة نتيجة لحاجات الناطقين بها، وتستعرض الآن هذه الوسائل .

الابتكار Coinage

من العمليات الأقل شيوعاً فى بناء الكلمات فى الإنجليزية وسيلة الابتكار coinage وتعنى اختراع مصطلحات جديدة لم تكن من قبل، والإبداع الخيالى لكلمة somp يعد مثالاً على ذلك، ومن الأمثلة على الابتكار كلمات مثل أسبرين aspirin ، ونيلون nylon التى اخترعت أسماءً تجارية، ومن الأمثلة الحديثة المألوفة كلينكس kleenex وزيروكس xerox التى بدأت أسماء تجارية مخترعة ثم ما لبثت أن صارت كلمات فى اللغة تتداولها الألسنة .

الاقتراض Borrowing

من أشهر مصادر الكلمات الجديدة فى الإنجليزية ما يطلق عليه الاقتراض borrowing وهو اقتباس كلمات من اللغات الأخرى وقد اتخذت الإنجليزية على مدى تاريخها عدداً هائلاً من الدخيل من الكلمات من اللغات الأخرى تتضمن الكحول alcohol (عربية)، و boss الرئيس (هولندية) والكرواسان

croissant (فرنسية)، و lilac (فارسية) نبات عطر الزهر، وبيانو piano (إيطالية)، والكعكة العقدية pretzel (ألمانية) والإنسان الآلى robot (تشيكية) والتايكون (زعيم قوى) tycoon (يابانية) واليوغورت yogurt (تركية) والحمار الوحشى zebra (لغة البانتو) .

وهناك من اللغات من يقترض المصطلحات من الإنجليزية كما هو ملاحظ فى استعمال اليابانيين suupaamaaketto (سوبر ماركت)، و rajio (راديو) أو أهل المجر عندما يتحدثون عن الرياضة sport والنادى klub ، وكرة القدم futbal أو الفرنسيين فى حديثهم عن مواقف السيارات le parking وعلى كأس من الويسكى le whisky ، وفى أثناء عطلة نهاية الأسبوع le weekend .

وهناك نوع خاص من الاقتراض يعرف بالترجمة الدخيلة أو (التطابق) calque وفى هذه العملية تترجم مباشرة عناصر كلمة إلى اللغة المقترضة ومن الأمثلة الجيدة على ذلك المصطلح الفرنسى ungratte-ciel التى تترجم حرفياً إلى (سحابة ناطحة) ويستعمل فى الإنجليزية للإشارة عادة إلى ناطحة السحاب، والكلمة الإنجليزية سوبرمان superman يتصور أنها دخيلة للكلمة الألمانية Übermensch حتى مصطلح loan-word نفسه يعتقد أنه نشأ عن الكلمة الألمانية lehnwort ، وفى هذه الأيام يأكل الناطقون بالأسبانية perros calientes (وهى حرفياً dogs hot) أو hot dog سندويتش سجق.

التركيب: Compouding

فى بعض تلك الأمثلة لاحظنا وجود توصيل لكلمتين منفصلتين لإنتاج صيغة واحدة، ولهذا التحمت lehn، و wort لتكوين lehnwort فى الألمانية، وعملية التوصيل هذه تعرف فنياً بالتركيب compounding، وهى شائعة فى لغات مثل

الألمانية والإنجليزية ولكنها غير شائعة في لغات مثل الفرنسية والأسبانية، ومن أوضح الأمثلة في الإنجليزية bookcase مكتبة، fingerprint بصمة الأصابع، و sunburn سفعة الشمس، و wallpaper ورق الحائط ومقبض الباب doorknob ومرجع wastebasket , textbook سلة المهملات و قاع الماء waterbed

وهذا المصدر المنتج لمصطلحات جديدة، معتمد في الإنجليزية والألمانية ويمكن وجوده في لغات بعيدة عنهما كلغة الهمونج Hmong في جنوب شرق آسيا التي تركب hwj (قدر) و kais (صنبور) لينتج hwjkais (غلاية الشاى)، وأما صيغ (popcrn = corn + flower)pajkws

زهرة + ذرة = فشار ، و hnab looj tes

(glove = hand + cover + bag)

حقيبة + غطاء + يد = قفاز ، فهي ابتكارات حديثة

النحت Blending

وهذا التركيب لصيغتين منفصلتين لإنتاج مصطلح واحد جديد موجود أيضاً في العملية التي يطلق عليها النحت blending ومع ذلك فالنحت على وجه الدقة يرتبط بدمج الجزء الأول من كلمة مع الجزء الأخير من الكلمة الأخرى، وفي بعض أجزاء من الولايات المتحدة يوجد منتج يستعمل يشبه الجازولين gasoline ولكنه مصنوع من الكحول alcohol ولهذا فالمصطلح المنحوت للإشارة إلى هذا المنتج هو جازوحول gasohol وإذا أردت أن تشير إلى التأثير المركب للدخان والضباب فلديك مصطلح smog ومن الأمثلة الشائعة الأخرى على النحت، (brunch (lunch / breakfast وموتيل motel (hotel /motor) و telecast (televisison + broadcast)ولعدة سنوات تطلع البريطانيون إلى

تصميم نفق tunnel تحت القنال الإنجليزى channel إلى فرنسا وقد أشارت الصحف إلى هذا المشروع باستعمال تعبير منحوت هو chunnel ومن أطرف الابتكارات الحديثة القائمة على عملية النحت خطة السياسة الاقتصادية للرئيس ريجان وهى Reaganomics الريجواقتصادية .

التقليص Clipping

يبدو الاختصار فى النحت أكثر وضوحاً فى عملية تعرف بالتقليص clipping ، وهى تحدث فى الكلمة ذات المقاطع المتعددة عندما تتقلص إلى صيغة مختصرة حتى فى الكلام العارض فمصطلح gasolin لا يزال يستعمل وإن كان بمعدل أقل من استعمال gas وهى الصيغة المتقلصة، ومن أشهر الأمثلة :

ad (advertisment إعلان) و fan (fanatic) متعصب، و bus حافلة، و plane طائرة، و معمل lab ، ورشح flu.*

الصياغة العكسية back formation

تعرف الصياغة العكسية backformation بأنها نوع خاص من عملية الاختصار وتتميز باختصار كلمة من نوع (عادة الاسم) لتكوين كلمة من نوع آخر (عادة الفعل)، وخير مثل على الصياغة العكسية هو العملية التى يستعمل فيها الاسم television أولاً ثم يتخلق منه، بعد ذلك الفعل televise، ومن الأمثلة الأخرى على الكلمات التى نتجت بهذه العملية : edit (من editor) ، و donate يعطى ،(من donation) عطاء و يختار opt (من option) و emote ينفعل (من emotion) و يتحمس enthuse (من enthusiasm حماسة)

---

* (هذه كلمات مختصرة من : influenza, laboratory, airoplane, autobus) (المترجم)

المغايرة conversion

وهو التغير في وظيفة الكلمة، فعلى سبيل المثال عندما يستعمل الاسم بوصفه فعلاً (دون ما اختصار) فإن هذا يعرف بالمغايرة **conversion** وهناك تسميات أخرى لهذه العملية مثل (تغير الفصيلة) **category change** والتحول الوظيفي **functional shift** وقد استعمل كثير من الكلمات مثل : ورق paper و**butter** زبد و **bottle** زجاجة ، **vacatoin** أجازة ، بوصفها أفعالاً كما في العبارات التالية:-

- **He's papering the bedroom walls**ركب ورق حائط غرفة النوم
- **Have you buttered the toast. ?**هل وضعت الزبد على الخبز؟
- **We bottled the home-brewlast night.** عبأنا الكحول المنزلي الليلة الماضية
- **They're vacationing in France .** يقضون الأجازة في فرنسا

وبفضل هذه العملية وخاصة في الإنجليزية الحديثة نتج كثير من الاستعمالات الجديدة الشائعة، كما تتضمن عملية التحول، تحول الأفعال إلى أسماء ، فالأفعال **guess** يخمن ، و **must** يجب ، و **spy** يتجسس تعد أصولاً للأسماء **aguess** تخمين، ووجوب **amust**، **aspy** جاسوس ، كما تتضمن العملية تحول الصفات إلى أفعال مثل **dirty** قذر ، **empty** فارغ، **total** كلي، **crazy** مجنون، **nasty** كريه، حيث تحول إلى الأفعال **todirty** يتلطخ ، **toempty** يفرغ، **tototal** يكمل، أو تتحول إلى أسماء نحو **acrazy** جنون، و **a nasty** سوء،وهناك صيغ أخرى مثل : **Up**، و **down** قد تتحول إلى أفعال كما في **They up the prices** رفعوا الأسعار أو **We down a few beers** قدمنا قليلاً من الشراب .

الاختصارات Acronyms

تصاغ بعض الكلمات الجديدة من الحروف الأساسية لمجموعة من كلمات أخرى وهذه المختصرات تتكون غالباً من حروف كبيرة Capital كما في NATO ، أو NASA أو UNESCO ولكن قد تفقد الحروف الكبيرة لكثرة استعمالها في الحديث اليومي كما في l aser الليزر (light amplification by stimulated emission of radiation (التكبير الضوئي بحث الانبعاث الإشعاعي

و radar الرادار (radio detecting and ranging) الكشف والتتبع الإشعاعي

و scuba (self contained under water breathing apparatus) جهاز التنفس الذاتي تحت الماء

وقد تسمع حديثاً عن asnafu. (وأصلها situation normal , all fouled up) والتي قد تعني الوقوع في هرج أو حيرة

الاشتقاق Derivation

لم نتعرض فيما سقناه آنفاً لأكثر عمليات بناء الكلمات شيوعاً في إنتاج الجديد من كلمات الإنجليزية، ويطلق على هذه العملية الاشتقاق deviration وتتحقق بواسطة عدد هائل من الزوائد الصغيرةbits في اللغة الإنجليزية والتي ليس لها تصنيف منفصل في المعاجم ويطلق على هذه الزوائد اسم اللواصق ومن الأمثلة القليلة على ذلك : -un ، و -mis ، و -pre، و -ful، less-و ish- ، و-ism ، و -ness التي تظهر في مثل الكلمات : unhappy غير سعيد، و misrepresent غير ممثل، و prejudg يسبق الحكم، و joyful مسرور ، و careless مهمل، و boyish صبياني، و terrorism إرهاب، و sadness حزن .

السوابق واللواحق Prefixes and suffixes

فى مجموعة الكلمات السابقة، يتضح أن بعض اللواصق يتصل بأول الكلمـة، (مثل -un) وهى تسمى السوابق، والأشكال الأخـرى مـن اللواصـق يتصـل بنهاية الكلمة، (مثل ish-) وهى تسمى اللواحق ،وكل الكلمات الإنجليزية التى صيغت بهذه الطريقة الاشتقاقية قد تستعمل السوابق أو اللواحق أو تستعمل كليهما، ولهـذا نكلمة mislead بها سابقة، وكلمة disrespectful بها سابقة ولاحقـة، وأمـا كلمة foolishness فتشتمل على لاحقتين.

الأحشاء Infixes

هناك نوع ثالث من اللواصق لا يوجد عـادة فـى الإنجليزيـة ولكنـه شـائع فـى بعض اللغات الأخرى ويطلق عليه الحشـو وكمـا يبـدو مـن المصطلـح فهـو لاصقـة مركوزة داخل كلمة أخرى، ومن الممكـن أن نجـد المبدأ العـام فعـالاً فـى تعبـيرات بعينها،تصدر أحياناً عن انفعال الناطقين بالانجليزية فى ظـروف سـارة أو ظـروف صعبـــة مثـــل Abso goddam lutely, Halleboodylujah, unfuuckingbelie vable ويمكننا اعتبار هذه الصيغ نوعاً خاصـاً مـن الحشـو، ومع ذلك فهناك مجموعة أفضل من الأمثلة تطرحها لغة الكـامو Kamhmu وهـى لغة فى جنوب شرق آسيا وهذه الأمثلة مقتبسة من مريفيلد وآخرين (١٩٦٢ م)

(a drill) see - smee (to drill) يثقب

(a chisel) toh - tmoh (to chisel) ينحت

(aspoon) hiip - hmiip (to eat with aspoon) يأكل بالملعقة

(a thing with which to tie) hoom - hmoom (totie) يربط

ويلاحظ في ذلك النمط القياسي حيث يركز الحشو -rn- في داخل الفعل تكوين الاسم المقابل، وإذا كان هذا النمط ظاهرة في اللغة وعلمت أن الصيغة Krnap كلمة في لغة الكامو وتعني (ملقط) فيمكنك استنتاج الفعل المقابل لها (يلتقط بملقط) ولاشك أن تكون Kap.

تعدد العمليات Multiple Processes

على الرغم من تركيزنا على كل عملية من عمليات بناء الكلمات على حدة فبإمكاننا سبر قوة أكثر من عملية تؤثر على نتاج كلمة بعينها فعلى سبيل المثال مصطلح deli وهو تعبير شائع في الإنجليزية الأمريكية دخلها نتيجة عملية الاقتراض الأولى من delicatessen (من الألمانية) ثم طرأ التقلص على الصيغة المقترضة، وإذا سمعت شخصاً يشكو أن : مشكلات المشروع أخذت تتضاعف بسرعة

Problems of with Project have snow balled

فإن المصطلح الأخير مثال على التركيب حيث تركب snow (الثلج) مع ball (كرة) لتكوين الاسم snow ball (كرة الثلج) ثم طرأ على هذا الاسم عملية المغايرة conversion إلى فعل ،كما أن الصيغ التي تبدأ مختصرة قد تطرأ عليها عمليات أخرى ومثال ذلك استعمال lase فعلاً المأخوذ بالصياغة العكسية عن laser الناشئة بالاختصار .

أما عن التعبير waspish attitudes موقف واسبيش فإن صيغة WASP اختصار (White Anglo-saxon Protestant) البروتستانت البيض من أصل أنجلوسكسوني .

وقد فقدت الصيغة حروفها الكبيرة وطرأت عليها عملية الاشتقاق فاتصلت بها لاحقة .

وحياة كثير من هذه الصيغ قصيرة وربما كان المحك العام المقبول لوصول كلمات ذات صياغة حديثة في اللغة هو إبرازها منشورة في معجم، وبرغم هذا فلا يخلو ذلك من اعتراض بعض الناس، ومثال ذلك عندما أصدر نوح ويبستر معجمه الأول في عام ١٨٠٦ م فقد انتقد لذكره كلمات مثل advocate يدافع، و test يختبر بوصفها فعلين ولتضمن المعجم مثل هذه الكلمات الدارجة : advisory استشاري و presidential رئاسي، ولقد كان نوح يتمتع بحس أقوى من ناقديه، ودليل ذلك أن ما أتبته من صيغ حديدة في اللغة دامت على مدى الأيام.

الفصل الثامن

البنية

يفضي تأملنا لغتنا بإنصاف إلى شواهد
لا تحصى تدل على أن الكلام لا ينشأ
عن قياس يأتينا من السماء، ولا يتنزل
علينا في حالة انسجام وسلام، ولكن تشجه
الضرورة، وتوسعه الأحداث، ومن ثم فهو
مجموعة أجزاء مختلفة ضمها بعضاً إلى بعض
الإهمال أو التكلف أو التعلم أو الجهل .

صمويل جونسون (١٧٤٧ م) .

لقد تعرضنا خلال الفصل السابق لوصف عمليات بناء الكلمات كما لو كانت الوحدة المسماة (كلمة) صيغة مطردة ويسهل تمييزها .

ويبدو هذا معقولاً بالنظر إلى نص مكتوب بالإنجليزية ذلك لأن (الكلمات) في النص بكل الوضوح هي مجموعة الأشياء المتميزة بالأسود المفصولة عن بعضها بمسافات كبيرة، ومما يؤسف له فهناك مشاكل عدة تنتج عن استعمال هذه الملاحظة بوصفها أساس محاولة لوصف اللغة عامة، والاشكال اللغوية للفرد خاصة.

البنية Morphology

نجد في لغات كثيرة أن ما يبدو أنه صيغ مفردة يتبين اشتماله على عدد كبير من عناصر (أشباه الكلمات) فعلى سبيل المثال في اللغة السواحلية (المنتشرة بشرق أفريقيا) فإن صيغة **Nitakupenda** يمكن أن يمثلها في الإنجليزية عبارة مثل : **I will love you** والآن هل الصيغة السواحلية كلمة مفردة ؟ إذا كانت كلمة فإنها على ما يبدو تتكون من عدد من العناصر التي تعد في الإنجليزية (كلمات) منفصلة، ويمكن تمثيل هذا التقابل البسيط على النحو التالي :

ni - ta - ku - penda
"I" "will " "you " " love "

وعلى ما يبدو فإن هذه (الكلمة) السواحلية تختلف شيئاً ما عما نعهده في الكلمة الإنجليزية، ومن ثم فمن الواضح وجود بعض التشابه بين اللغتين فيما تشابه من عناصر الرسالة التي قد توجد فيهما، وربما كان من الأفضل في النظر إلى الصيغ اللغوية في اللغات المختلفة استعمال ملمح (عناصر) في الرسالة بدلاً من الاعتماد على تمييز الكلمات، ونمط التدريب الذي سقناه مثال على بحث الصيغ في اللغة، وهو ما يعرف عامة بعلم البنية، وهذا المصطلح الذي يعني حرفياً دراسة الصيغ قد استعمل أصلاً في علم الأحياء، ولكن على سبيل التحديد من منتصف القرن التاسع عشر، استعمل هذا المصطلح لوصف ذلك النوع من البحث الذي يحلل كل تلك العناصر التي تستعملها اللغة، فما نطلق عليه اسم (عناصر) في شكل رسالة لغوية يعرف فنياً بالمورفيمات.

المورفيمات Morphemes

لن نضطر للنظر في لغات أخرى كالسواحلية لنكتشف أن الصيغ الكلمية قد تكون من عدد من العناصر، فإنه بإمكاننا ملاحظة أن الصيغ الكلمية في الإنجليزية نحو : **talks** ، و **talker** ، و **talked** ، و **talking** تكون لا محالة من عنصر واحد هو **talk** ومن عدد من عناصر أخرى مثل : **s-** ، و **er-** ، و **ed-** ، و **-ing** وهذه العناصر جميعها يطلق عليها مورفيمات، ويعرف المورفيم بأنه أصغر وحدة لها معنى أو أصغر وحدة لها وظيفة نحوية، ولنضرب لك بعض المثل لتوضيح التعريف فنحن نقول بأن كلمة **reopened** في الجملة :

The police reopened the in vestigation

تكون من ثلاثة مورفيمات : أولها الوحدة الدلالية الصغرى **open** والثانية الوحدة الدلالية الصغرى **re-** (وتعني " مرة أخرى ")، والثالثة الوحدة الصغرى

ذات الوظيفة النحوية وهى ed- (التى تشير إلى الزمن الماضى)، وكذلك كلمة tourists تتضمن ثلاثة مورفيمات؛ ففيها الوحدة الدلالية الصغرى tour والوحدة الدلالية الصغرى الثانية هي ist - (وتعنى الفاعل لشئ ما)والوحدة الصغرى ذات الوظيفة النحوية هى s- (وتشير إلى الجمع) .

المورفيمات الحرة والمقيدة :- Free and bound morphemes

من المثالين السابقين يمكننا التفرقة بوضوح بين نوعين من المورفيمات وهما المورفيمات الحرة التى تمثل بنفسها كلمات مستقلة نحو : open، و tour والمورفيمات المقيدة التى لا يمكن أن تستقل بنفسها، بل تتصل بصيغة أخرى نحو : re-، و ist- ، وed- ، و s- ولاحظ أن هذه المجموعة الأخيرة هى ما سبق أن أشرنا إليه فى الفصل السابع باللواصق .

ومن ثم فكل لواصق الإنجليزية مورفيمات مقيدة، فى حين تعد المورفيمات الحرة فى الإنجليزية بمجموعة الصيغ الكلمية المستقلة، وعندما تستعمل بوصفها مورفيمات مقيدة فإن الصيغة الكلمية الأساسية فيها تعرف فنياً بالأصل stem وعلى سبيل المثل :

undressed			*carelessness*		
un- prefix (bound)	*dress* stem (free)	*-ed* suffix (bound)	*care* stem (free)	*-less* suffix (bound)	*-ness* suffix (bound)

وينبغى أن نلاحظ أن إشارتنا هذه تبسيط إلى حد ما للحقائق الصرفية فى الإنجليزية، فهناك كثير من كلمات الإنجليزية لا يبدو فيها العنصر الذى يعد أصلاً

stem مورفيماً حراً، ففي كلمات مثل receive ، و reduce ، و repeat تلاحظ المورفيم المقيد -re ولكن العناصر -ceive ، و -duce ، و -peat ليست بالطبع مورفيمات حرة ولا يزال يوجد عدم اتفاق على التمييز الصحيح لهذه العناصر وقد تصادف تنوعاً من مصطلحات فنية تستعمل للإشارة إليها حيث تعينك على سهولة التمييز بين صيغ مثل -ceive ، و -duce بوصفهما دعامتين مقيدتين أو صيغ مثل dress، و care بوصفهما دعامتين حرتين .

المورفيمات الحرة Free morphemes

ينقسم ما أسميناه بالمورفيمات الحرة قسمين :

القسم الأول هو مجموعة الأسماء العادية والصفات والأفعال التي نرى أنها تحمل (مضمون) الرسائل التي نبعثها ، ويطلق على المورفيمات الحرة هذه المورفيمات المعجمية، ومن أمثلتها : , sincere , boy, man , ho use yellow , long, sad , tiger , break , follow, look , open

والقسم الثاني من المورفيمات الحرة هو المورفيمات الوظيفية ومن أمثلتها : and و but، when، because ، on ، near ، above ، in، the ، that ، it وتتكون هذه المجموعة في معظمها من الكلمات الوظيفية في اللغة مثل الروابط ، وحروف الجر ، والأدوات والضمائر .

المورفيمات المقيدة Bound morphemes

يمكن تقسيم مجموعة اللواصق التي تندرج تحت القسم المقيد إلى قسمين الأول فيهما قد أشرنا إليه في الفصل السابع وهو المورفيمات الاشتقاقية، وتستعمل لبناء كلمات جديدة في اللغة ،وتستعمل غالباً لتكوين كلمات في فصيلة نحوية مختلفة عن الأصل stem ، ومن ثم فاتصال المورفيم الاشتقاقي -ness يغير الصفة good حسن، إلى الاسم goodness الحسن وتتضمن قائمة المورفيمات

الاشتقاقية لواحق مثل ish- فى foolish أحمق، و ly- فى badly ، و ment-
فى payment ، كما يتضمن سوابق مثل re- أو pre- ، و ex-، و dis- ، و
Co- ، و un- وغير ذلك كثير . والقسم الثاني من المورفيمات المفيدة يتضمن ما
نسميه المورفيمات الإعرابية inflectional فلا تستعمل لإنتاج كلمات جديدة
فى اللغة ولكنها تحدد جهة الوظيفة النحوية للكلمة فتستعمل لبيان ما إذا كانت
الكلمة مفرداً أو جمعاً، فى الزمن الماضى أم فى غير ذلك، فى صيغة التفضيل أم فى
صيغة الملكية ومن أمثلة المورفيمات الإعرابية inflectional المؤثرة ما نجده فى
استعمال ed- لتحويل jump إلى صيغة الزمن الماضى jumped ، واستعمال -
s لتحويل كلمة boy إلى الجمع boys ، ومن الأمثلة الأخرى على ذلك ing-
، و s- ، و er- ، و est- ، و s'- مورفيمات إعرابية inflections فى
عبارات :

Myrna is singing ميرنا تغنى She is smaller,she sings هى أصغر و
the smallest و بيت ميرنا Myran's house

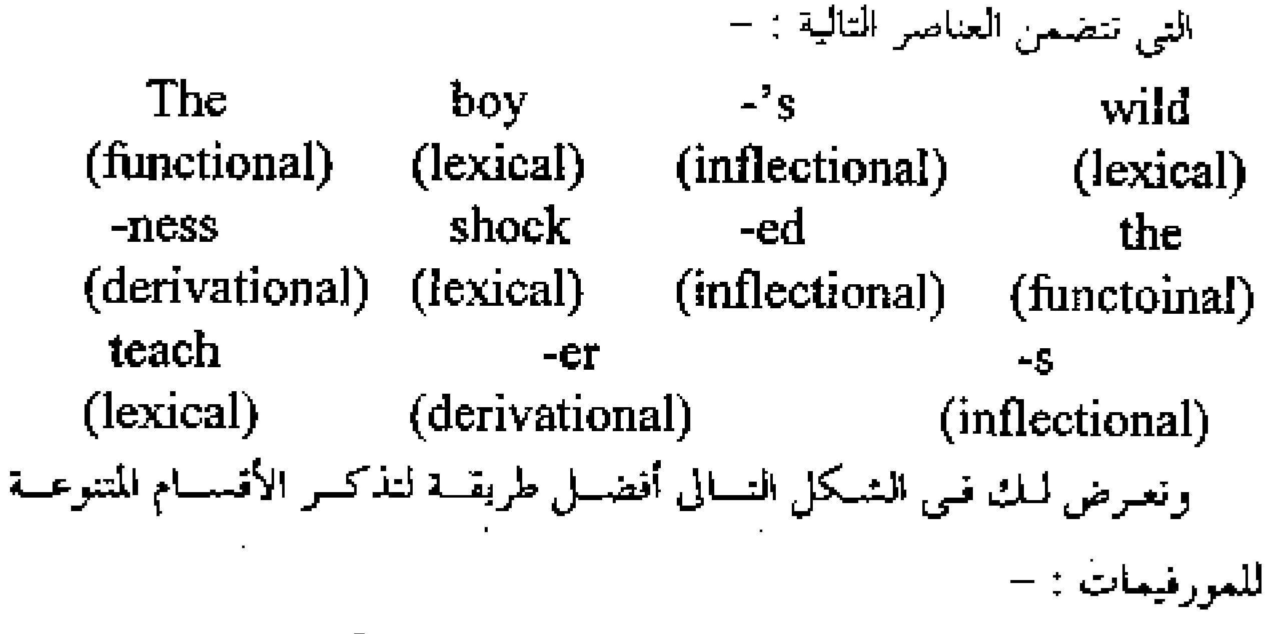
ويلاحظ فى الإنجليزية أن المورفيمات الإعرابية inflections لواحق .

دراسة البنية Morphlogical description

واعتماداً على كل هذه المصطلحات لمختلف أنواع المورفيمات فبإمكانك الآن
استعراض معظم جمل الإنجليزية وبيان عناصرها كما فى مثال الجملة الإنجليزية .

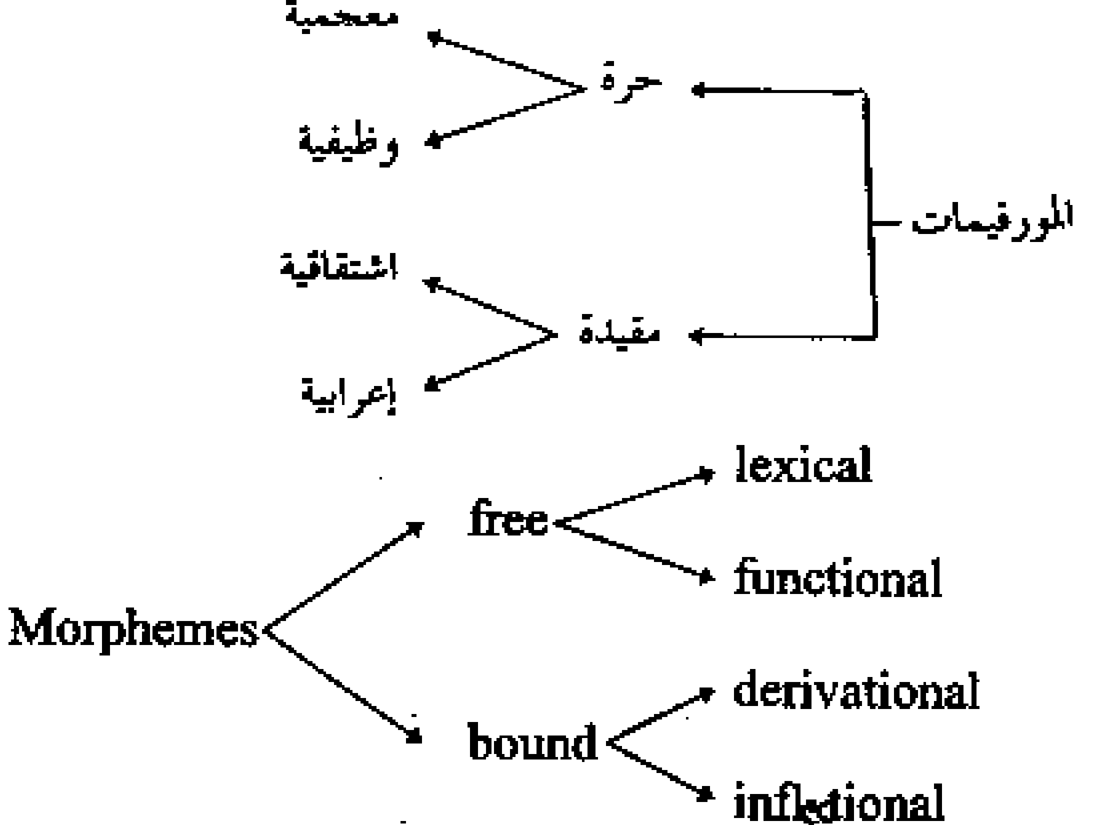
The boy's wildness shocked th teachers

التي تتضمن العناصر التالية : -



The	boy	-'s	wild
(functional)	(lexical)	(inflectional)	(lexical)
-ness	shock	-ed	the
(derivational)	(lexical)	(inflectional)	(functoinal)
teach	-er		-s
(lexical)	(derivational)		(inflectional)

ونعرض لك في الشكل التالي أفضل طريقة لتذكر الأقسام المتنوعة للمورفيمات : -



problems in morphological description مشكلات في دراسة البنية :

الشكل المحكم السابق ذكره قد يجنب عدداً من المشكلات القائمة في تحليل البنية في الإنجليزية، فلم تتجاوز ضرب أمثلة من كلمات الإنجليزية التي يسهل فيها تمييز مختلف المورفيمات كل عنصر على حدة، ومن ثم فالمورفيم الإعرابي s-يتصل

بـ cat لتصير جمعاً cats فما المورفيم الإعرابي الذى يجعل sheep جمعاً لـ sheep، أو men جمعاً لـ man؟ وتساؤل مماثل يتعلق بالمورفيم الإعرابي الذى يجعل went ماضياً لـ go ، وتساؤل عن اشتقاق صيغة مثل legal ، فلو كان -al لاحقة اشتقاقية . كما فى صيغة مثل : institutional ، فما هو الأصل ؟ لا، إنه ليس leg.

هذه القضايا المشكلة، وغيرها كثير، مما يظهر فى تحليل مختلف اللغات، لم يصل اللغويون إلى حل لها، وحلول هذه المشكلات أوضح فى بعض الحالات عن بعض، فالعلاقة بين law و legal هو انعكاس للتأثير التاريخى للغات أخرى على الصيغ الكلمية الإنجليزية فالصيغة الحديثة law ناتجة عن اقتراض الإنجليزية القديمة من النرويجية القديمة old norse منذ ما يزيد على الف عام والصيغة الحديثة legal ناتجة عن اقتراض من الصيغة اللاتينية legalis (القانون) ويترتب على هذه عدم وجود علاقة اشتقاقية بين الصيغتين فى الإنجليزية، ولا بين الاسم mouth (وهى صيغة إنجليزية قديمة) والصفة oral (وهى اقتراض من اللاتينية) فمن الواضح أن عدداً هائلاً من الصيغ الإنجليزية تدين بأنماطها الصرفية للغات كاللاتينية واليونانية، ويترتب على ذلك أن الوصف الدقيق للبنية الإنجليزية ينبغى أن يضع فى حسابه كلاً من التأثيرات التاريخية وتأثير العناصر المقترضة.

الوحدات الصرفية والصور الصوتية Morphs and allomorphes

لا يزال حل المشاكل الأخرى معقداً فمن وسائل معالجة الاختلافات فى المورفيمات الإعرابية أن يفترض تغير فى قواعد المعرفة الصرفية، ولأجل هذا تتخذ مجاز بعض العمليات التى أشرنا إليها فى علم وظائف الأصوات (الفصل السادس) فإذا اعتبرنا أن الأصوات هى الصيغ الحقيقية المستخدمة فى التعرف على الفونيمات

فبإمكاننا الزعم بأن الوحدات الصرفية هي الصيغ الحقيقية المستخدمة في التعرف على المورفيمات، ومن ثم فإن صيغة cat قطة، وحدة صرفية مفردة تدل على مورفيم معجمي، والصيغة cats تتكون من وحدتين صرفيتين تدل إحداهما على مورفيم معجمي وتدل الأخرى على مورفيم إعرابي (جمع)، وكما سبق أن أشرنا عن وجود ألوفونات لفونيم بعينه، فكذلك يمكننا التعرف على ألومورفات (صور صرفية) لمورفيم بعينة، ولنضرب لك المثل بمورفيم الجمع ومن الملاحظ أنه يتصل بعدد من المورفيمات المعجمية لإنتاج أبنية مثل cat + plural ، sheep + plural ، man + plural فالصيغ الحقيقية للوحدات الصرفية الناتجة عن مورفيم مفرد (جمع) ستختلف ، فهي إذن كلها صور صرفية للمورفيم الواحد وهناك اقتراح على سبيل المثال أن أحد مغايرات الجمع هو الوحدة الصرفية صفر وصيغة جمع sheep هي في الحقيقة sheep + ، ولهذا يمكن اعتبار الصيغ التي يطلق عليها شاذة من الجموع وأزمنة الماضي في الإنجليزية على أن لها قواعد صرفية خاصة، ومن ثم فإن man + plural ، أو go + past كما تحلل على مستوى المورفيم فتعتبر men ، و went على مستوى الوحدات الصرفية morphs

اللغات الأخرى

لا يخلو المنهج التحليلي هذا من نقد خاصة عندما يطبق على لغات أخرى، ومن ثم فغياب النظام التحليلي المقنع لا ينبغي أن يثبط عزيمتنا عن استكشاف واعتبار بعض الملامح الصرفية للغات الأخرى، حيث يبدو أن بعض الأنماط قد وصفت بمصطلحات الفصائل الأساسية التي سبقت الإشارة إليها، والمثال الأول فيما يلي من الإنجليزية والمثال الثاني من الأزتكية .

Stem	Derivational	Inflectional
DARK	+ *-EN* ('make')	+ *-ED* ('past') = *DARKENED*
MIC ('die')	+ *TIA* ('cause to')	+ *-S* ('future') = *MICTIAS* ('will kill')

وتقع أنماط مختلفة في لغات أخرى ولنتأمل بعض المعلومات المقتبسة عن الأمثلة التي قدمها أصلاً جليسون (١٩٥٥ م) ونحاول البحث عما يتميز من ملامح صرفية ، والعينة الأولى من الكانورية kanuri وهي إحدى لغات نيجيريا .

Kanuri

امتياز	nəmkarite	karite - ممتاز
كبر	nəm kura	Kura - كبير
صغر	nəmgana	gan a - صغير
سوء	nəmdibi	dibi - سيئ

من هذه المجموعة نزعم أن السابقة – nəm مورفيم اشتقاقي يستعمل لاشتقاق الأسماء من الصفات واكتشافها لملمح صرفي قياسي من هذا النوع يعيننا على التنبؤ عندما نكون بصدد صيغ أخرى في اللغة فعلى سبيل المثال، إذا كانت الكلمة الكانورية التي تعبر عن الطول هي nəmkurgu فإنه من المؤكد عقلاً أن (طويل) هي كلمة kurgu.

كما تستعمل اللغات المختلفة وسائل مختلفة لإنتاج علامات إعرابية على الصيغ ، وإليك بعض الأمثلة من لغة الغاندا ، وهي إحدى لغات أوغندا .

Ganda

دكاترة	abasawo	omusawo - دكتور
نساء	abakazi	omukazi - إمرأة
بنات	abawala	omuwala - بنت
وارثون	abasika (heirs)	(heir) omusika - وارث

من هذه العينة المحدودة، يمكننا ملاحظة وجود سابقة إعرابية هي -omu تستعمل مع الأسماء المفردة، وسابقة إعرابية مختلفة هي -aba تستعمل مع جموع هذه الأسماء، فإذا قيل لك أن abalen zi جمع في لغة الغاندا ويعني أولاد فبإمكانك تحديد صيغة المفرد التي تعني (ولد) ألا وهي omulenzi .

والمعلومات التالية من لغة إلوكانو وهي لغة فلبينية توضح بجلاء وسيلة مختلفة كل الاختلاف عن تعيين الجموع :

Ilocano

رؤوس ulúlo - úlo رأس

طرق daldálan - dálan طريق

حيوات bibíag - bíag حياة

نباتات mulmúla - múla نبات

وفي هذه الأمثلة يلاحظ تكرار الجزء الأول من صيغة المفرد فإذا كان الجزء الاول من المفرد -bi فإن الجمع يبدأ بالصيغة المكررة -bibi ويطلق على هذه العملية مصطلح التضعيف redublication وتستعمل لغات متعددة وسيلة التكرار بوصفها وسيلة لعلامة إعرابية inflectional marking .

ونظراً للتباين الواضح بين صيغ الجموع وصيغ المفرد في لغة إلوكانو، فبإمكانك معرفة أن صيغة الجمع taltálon وتعني (حقول) ولك أن تستنتج صيغة المفرد (حقل)، وباتباع النمط السابق فإن الصيغة ستكون tálon.

وأخيراً إليك بعض المعلومات التي قدمتها ليزا بحويل التي تتحدث التاجالوجية، وهي من لغات الفلبين :

Tagalog

يكتب sulat	ينادى tawag	يقرأ basa
اكتب **sumulat**	نادى **tumawag**	إقرأ **bumasa**
سيكتب **susulat**	سينادى **tatawag**	سيقرأ **babasa**

فإذا افترضنا أن الصيغة الأولى في كل مجموعة من نوع الأصول فإنه من الملاحظ في الصيغة الثانية في كل مجموعة وجود العنصر **um-** الذي أدخل بعد الصامت الأول، فهو لا محالة مثال على الحشو، وفي الصيغة الثالثة من كل مجموعة يلاحظ أن التغير في تلك الصيغ في كل حالة تكرار المقطع الأول، ولهذا فتعيين مرجع المستقبل في اللغة التاجالوجية يتحقق بالتضعيف، فإذا علمت أن كلمة **lapit** فعل يعني يأتي هنا) في التاجالوجية فكيف تتوقع تعبير (تعال هنا) وتعبير (سيأتي هنا)، ما رأيك في **luma pit** ، و **lalapit** .

الفصل التاسع

العبارات و الجمل

(القواعد)

ما أشقى ليلة من يقض

مضجعه عروس شكلاً و طبعاً حذني

يا الهي (إذا كان ذلك قدري)

فلا منطق بحلم و لا تاريخ يسمو

إلا أن تكون حاداً أحمق ذليلاً

لقد أبغضت زوجة من أجلها دخلت المدرسة

من يتسلق شجرة القواعد يدرك بدقة

أين ينمو الاسم و الفعل و الحرف.

جون دريدن ، لغة الصبا السادسة (١٦٩٣)

لقد استعرضنا مستويين من مستويات الدراسة الوصفية للغة ، فقد تعرضنا للتعبيرات اللغوية بوصفها سلسلة من الأصوات تتمثل صوتياً مثل

ʒ əLʌk i b⊃y Z

مجهور احتكاكي ← مهموس و قفي ← مزدوج

و باء مكاننا أخذ التعبير اللغوي نفسه ووصفه في سلسلة من المورفيمات مثل:

the	luck	y	boy	s
↓	↓	↓	↓	↓
وظيفي	معجمي	اشتقاقي	معجمي	إعرابي

و بهذا الوصف يمكن تحديد كل كلمات اللغة فيما يتعلق ببنيتها الصوتية و الصرفية .

القواعد Grammer

برغم ما سبق فلم نتعرض للحقيقة القائلة بأن تلك الكلمات يمكن أن تنتظم في محدود من الأنماط، فنحن نعرف أن العبارة the lucky boys جزء صحيح من الانجليزية و لكن العبارتين التاليتين: * lucKy boys the

و * boys the lucKy

من غير الصحيح .

(لقد و ضعت نجمة بجانب كل تركيب شاذ ، و هي و سيلة متعارف عليها conventional لبيان أن التركيب شاذ أو غير صحيح نحوياً)

و لهذا فنحن في حاجة إلى و سيلة لتحديد العبارات و الجمل صالحة لبيان كل التراكيب الصحيحة نحوياً و تكشف عن كل التراكيب الشاذة مع العلم أن هذا الاعتبار يشملنا في دراستنا للقواعد Grammer ، و تجدر الإشارة أن هذا المصطلح يغلب استعماله في تناول عدد من الظواهر المختلفة .

أنواع القواعد types of Grammer

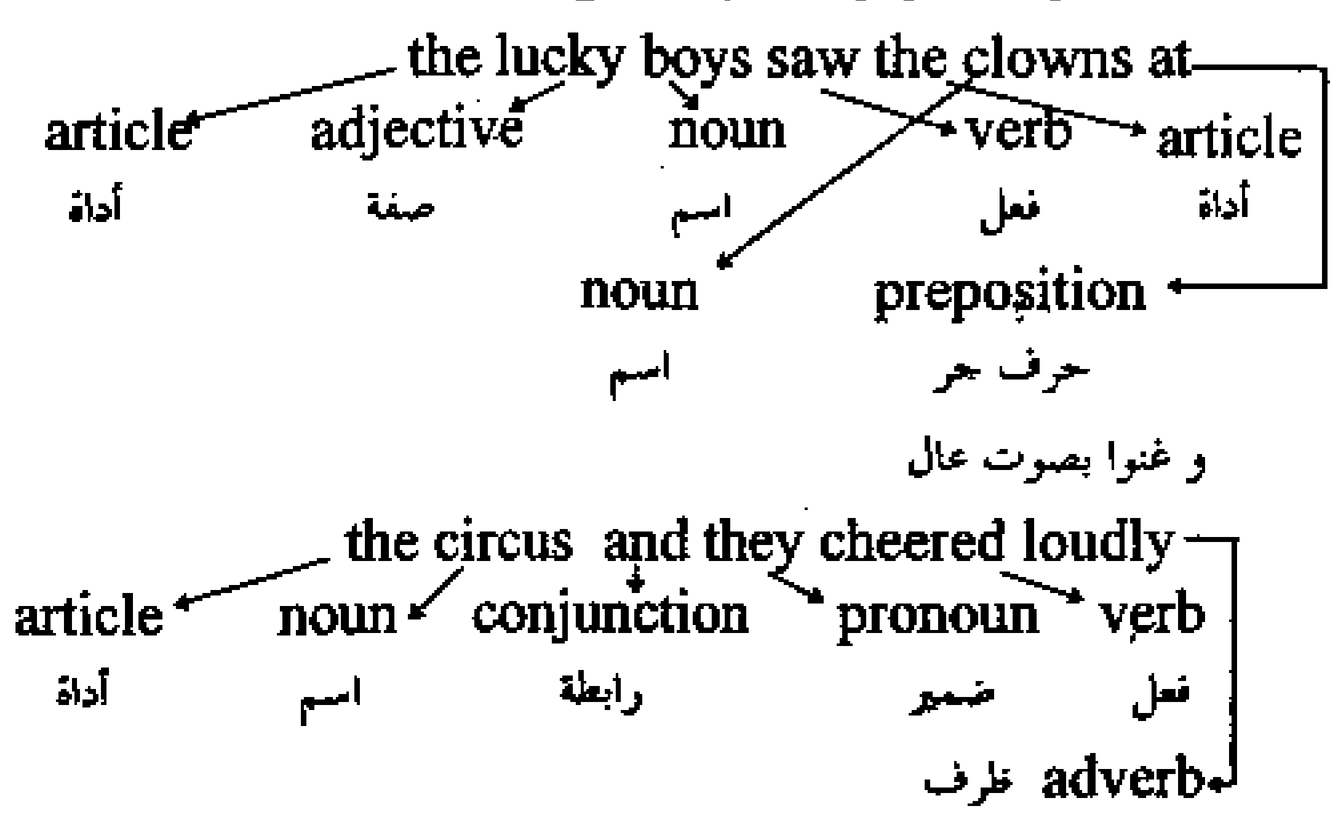
من الواضح أن لكل متكلم باللغة نوعاً من (القواعد العقلية)و هي صورة من المعرفة اللغوية الجوانية تعمل على إنتاج تعبيرات البنى الصحيحة في تلك اللغة و إدراكها ، و هذه القواعد لاشعورية و ليست ناتجة عن أي تعليم ، و المفهوم الثاني للقواعد المختلف كل الاختلاف يتضمن ما يمكن أن نطلق عليه الخلق اللغوى linguistic etiquette و هو تمييزاًولي التراكيب أو أفضلها في الاستعمال اللغوى ،و النظرة الثالثة للقواعد تتضمن دراسة تراكيب اللغة و تحليلها شاخصين عادة إلى و صف قواعد الانجليزية مثلاً و تمييزها عن قواعد اللغة الروسية أو اللغة الفرنسية أو أية لغة أخرى ،و هناك في الحقيقة طرق أخرى لاستعمال مصطلح (القواعد) و إذا أخذنا في الحسبان هذه المفاهيم الثلاثة يمكننا القول عامة بأن

المفهوم الأول هو الأهم لدى علماء النفس لأنه يتناول ما يجرى في عقول الناس ،و أن المفهوم الثاني مهم لعالم الاجتماع لأنه يتعلق بالمواقف الاجتماعية للناس و قيمهم في حين نجد المفهوم الثالث في صميم اهتمام اللغويين لأنه يتعلق بطبيعة اللغة و فى الغالب و بعيداً عن الناطقين باللغة و دراسة القواعد بالمعنى المحدود و هو دراسة أبنية الكلام فى اللغة و لهذا الاهتمام تراث تليد.

أقسام الكلام :- the parts ofspeech

لقد صرت تألف كثيراً من المصطلحات المستعملة في دراسة النحو و خاصة مصطلحات أقسام الكلام كما يتضح من هذه الجملة

شاهد الأولاد المحظوظون ، المهرجين ، فى السيرك



القواعد التقليدية traditional grammer

مثل هذه المصطلحات المستعملة في تصنيف الفصائل النحوية للكلمات فى الجمل تعود إلى القواعد التقليدية التي استخدمت أصولها فى وصف لغات كلاسيكية كاللاتينية و اليونانية ،و نظراً لوجود الوصف النحوى الوافى لهاتين

اللغتين القديمتين فمن الملائم اقتباس الفصائل الموجودة من هـذا الوصف و تطبيقها ، على تحليل لغات كا لانجليزية و بعد كل هذا فإن اللاتينية و اليونانية كانتا لغتين للدراسة ،و الدين ،و الفلسفة و المعرفة ،و من ثم اعتبرت قواعد هاتين اللغتين أفضل قواعد.

-الفصائل التقليدية traditional categories

بالإضافة إلى المصطلحات المستعملة فى أقسام الكلام فإن التحليل النحوى التقليدى يستعمل أيضا فصائل أخرى عديدة تتضمن (العدد) ،و (الشخص)،و (الزمن) ،و (الصوت)،و (الجنس)، و يمكن دراسة هذه الفصائل بمعزل عن غيرها، و لكن يتضح دورها في و صف تركيب اللغة أكثر ما يتضح عند اعتبارها من خلال مصطلحى التطابق concord أو التوافق agreement فعلى سبيل المثال نقول إن الفعل likes يتوافق مع الاسم boy فى الجملة the boy likes his dog . و هذا التوافق يتأسس من ناحية على فصيلة العدد أى ما إذا كان الاسم مفرداً أو جمعاً، كما يتأسس أيضاً على فصيلة الشخص التى تشمل تمييز الشخص الأول (المتكلم) و الشخصى الثانى (المخاطب) و الشخص الثالث (الغائب)و الصيغ المختلفة لضمائر الإنجليزية توصف عادة بمصطلحى الشخص و العدد ، حيث نجد فيها الشخص الأول المفرد (I) و للشخص الثانى المفرد (you) و للشخص الثالث المفرد (he- she- it) و هكذا ، و من ثم نجد فى الجملة، يحب الولد كلبه the boy likes his dog

اسماً هو boy و هو للشخص الثالث المفرد ،و فعلاً هو likes يتفق مع الاسم.

و بالإضافة إلى ذلك فإن صيغة الفعل ينبغى أن توصف بمصطلحات فصيلة أخرى ألا وهى الزمن ،و فى هذه الحالة فإن الفعل فى الزمن الحالى و التى تختلف

صيغته عن صيغـة الزمـن المـاضي (نحو liked) كما أن الجملة فـي حالـة البنـاء للمعلوم و ليس في حالة البناء للمجهول كمثل صورة هذه الجملة

الولد محبوب لكلبه The boy is liked by his dog

و الفصيلة الأخيرة هي فصيلـة النـوع التي تستعمل لبيـان التوافق بين boy في المثال السابق و his، ينبغي في الإنجليزية أن نبين هـذه العلاقة بمفهوم الجنس الطبيعي الناشئ في الغالب من التميز البيولوجي بين الذكر والأنثـى ، فـالتوافق بين boy، و his يقـوم علـى تمييـز الإنجليـزى بـين مرجـع مـادل علـى مذكـر (he - his) و مرجع مادل على مؤنث (she- her) و مرجع ما لا جنس لـه ،أو حيوانات عندما يكون جنس الحيوان لا تعلق له irrelivent (it- its)

و يختلف هـذا التمييـز البيولوجـي كـل الاختـلاف عن التمييز الشائع في اللغات التي تستعمل الجنس النحوى ، و في هـذا المفهوم تقسـم الأسماء على حسب جنسها، و طبقاً لذلك تتخذ الأدوات و الصفات صـوراً مختلفـة تتناسب مع نوع الاسم، ففي الأسبانية على سبيل المثال نوعان من الجنـس النحـوى هما المذكر و المؤنث و يتبين ذلك في نحو: el sol (الشـمس)،و la luna (القمر) على الترتيب .

وتستعمل الألمانية ثلاثـة من الجنس النحوى , المذكـر نحـو dermond (القمر) ,والمؤنث diesonne (الشمس) والمحايد dasfeuer (النار) و تجدر الإشارة إلى أن تنوع أشكال الأدوات فـي كـل من الأسبانية و الألمانية على سبيل المثال يقـابل تنوعـات فـي نـوع جنـس الأسماء ، كما أن تمييز فصيلة الجنس لا تعلق له بالتمييز الجنسي البيولوجي , فالفتـاة الصغيرة أنثى بيولوجيا ولكن الاسم الألمـاني dasMächen متعـادل نحويـاً ,و الكلمـة الفرنسية lelivre (الكتاب) مذكر نحوياً,ولكننا لانعد الكتب مذكرة بيولوجياً.

ومن ثم فالفصيلة النحوية للجنس تفيد في دراسة عدد من اللغات(بما فيها اللاتينية)و لكنها قد لا تلائم الإنجليزية خاصة .

التحليل التقليدى traditional analysis

إن مفهوم "الملاءمة" للفصائل التحليلية لا يكون دائماً معتبراً ففى كتب القواعد التراثية تتقدم غالباً الجداول التالية للغة الانجليزية و قد صممت على شاكلة جداول مماثلة من قواعد اللغة اللاتينية و تظهر تصريفات الفعل اللاتيني amare (يحب)على الجانب الأيمن .

Present tense, active voice	First person, singular	*I love*	*amo*
	Second person, singular	*you love*	*amas*
	Third person, singular	*he loves*	*amat*
	First person, plural	*we love*	*amamus*
	Second person, plural	*you love*	*amatis*
	Third person, plural	*they love*	*amant*

و يلاحظ أن تصريفات الفعل اللاتيني تختلف حسب فصيلة الشخص و فصيلة العدد، في حين نجد التصريفات الإنجليزية كما هي لم تتغير إلا في صيغة واحدة، و من ثم فمن المعقول فى دراسة لغة كاللاتنية لاستعمال كل هذه الفصائل الوصفية لتمييز تصريفات الأفعال، و يبدو إذن أنه نظام و صفي محكم بالنسبة للغة الإنجليزية، و مع ذلك فتأثير اللاتينية يتجاوز حدود الجداول الوصفية .

المنهج المعيارى The prespictive approach

أن تكيف الجداول النحوية (للأسماء و الأفعال مثلاً) لتصنيف كلمات فى الجمل الانجليزية شيء ،و أن تزعم أن تركيب الجمل الإنجليزية ينبغى أن يماثل جمل اللاتينية فهذا شيء مختلف كل الاختلاف ،ذلك أن هذا منهج اتبعه بعض النحاة

غالباً فى القرن الثامن عشر فى انجلترا،حيث صاغوا مجموعة من القواعد للاستعمال الصحيح أو السليم للإنجليزية ، و هذه النظرة للقواعد بوصفها مجموعة من القواعد للاستعمال للغة لا تزال سائدة حتى اليوم ،و أفضل ما تعرف به المنهج المعيارى The prespective approach و من الأمثلة المشهورة للقواعد المعيارية فى جمل الإنجليزية ما يلى:-

(1) You must not split an infinitive .

لا يصح أن تشطر المصدر

(2) You mustn't end a sentence with apreposition.

لا يصح أن تنتهى الجملة بحرف جر .

و بالطبع هناك أمثلة كثيرة حاول أجيال من المعلمين إلزام طلابهم بها من خلال التصويبات كما يلى:-

I ~~will~~ visit my uncle at Easter.
shall

سأزور خالى فى عيد الفصح

John is taller then ~~me~~
I.

جون أطول منى .

و فى الواقع قد يكون من المفيد فى تعلم الفرد أن يكون على وعى بهذا الذوق اللغوى أو الأستعمال السليم للغة ، فإذا كان تقدير مجتمع social expectation أن الكاتب الجيد هو الذى يلتزم بهذه القواعد المعيارية ، لزم من ذلك مؤاخذة اجتماعية social judgment لمن لا يلتزم من ضعاف التعليم بهذه القواعد .

و مع ذلك فينبغى أن يوضع فى الحسبان الأصول المحتملة لهذه القواعد و بحث ما إذا كان تطبيقها ملائماً للغة الأنجليزية و لنتأمل مثال :

you mustn't.splitan infintive

لا يجوز أن تشطر المصدر

مصدر الكابتن كيرك Kaptain kirk infinitive

للمصدر في الانجليزية صيغة to + the verb

الفعل و قبله to نحو to go و يمكن استعماله مع الظرف مثل boldly ، و لهذا ففي بداية برنامج تليفزيوني عن حياة المشاهير Televised star Trek episode .

كان كابتن كيرك يستعمل عبارة to boldly go و هذا مثال على انشطار المصدر و لا شك أن معلم اللغة الأنجليزية لكابتن كيرك قد علمه أن يقول To go boldly ، و لو كان كابتن كيرك فلكياً روحانياً يتحدث اللاتينية فإن عليه أن يستعمل لفظ ire (يذهب to go)،و لفظ audacter (boldly) ، و عندما يقول الآن ire audacter في اللاتينية ،فلن يجد كابتن كيركوس الفرصة لشطر المصدر (ire) ذلك لأن مصادر اللاتينية كلمات مفردة لا تقبل الانشطار. ولهذا فمن الملائم في قواعد اللاتينية أن نقول بأنه لا يمكنك شطر المصدر ،و لكن هل من المناسب تطبيق هذه الفكرة على اللغة الانجليزية حيث لا يتكون المصدر من كلمة واحدة بل من كلمتين to ،go ؟فإذا دأب الناطقون و الكاتبون بالانجليزية على إنتاج صيغ مثل: To boldly go ، To solemnly swear ،

فإنه من الأفضل القول بوجود تراكيب في الانجليزية تختلف عنها في اللاتينية بدلاً من القول بأن صيغ الانجليزية رديئة لأنها تكسر قاعدة افتراضية في القواعد اللاتينية

المنهج الوصفى Descriptive approach

قد يفيد استعمال الوصف النحوى المحكم للغة اللاتينية فى الاسترشاد و نحو دراسة بعض اللغات (كا لإيطالية أو الأسبانية) وقد يكون قليل النفع للغات أخرى (كا لانجليزية) وقد لا يفيد بالمرة إن أردت و صف لغات غير أوربية و قد اتضحت هذه النقطة الأخيرة لهؤلاء اللغويين الذين أرادوا وصف اللغات الهندية الأمريكية الشمالية فى نهاية القرن التاسع عشر فالفصائل والقواعد التى كانت ملائمة لقواعد اللاتينية لم تكن مناسبة للغات الهندية قيد الدراسة وقد جرى العرف خلال القرن الحالى على الأخذ بمنهج مختلف فالباحث أو الباحثة يجمع عينات من اللغة موضع عنايته ويحاول وصف التراكيب القياسية فى اللغة حسب استعمالها وليس على حسب وجه ينبغى أن تستعمل على أساسه ، وهذا ما يطلق عليه المنهج الوصفى وهو أساس المحاولات الحديثة لبيان خصائص تراكيب اللغات المختلفة .

التحليل البنيوى structural analysis

يعد التحليل البنيوى فرعاً عن المنهج الوصفى واهتمامه الرئيس ينصب على توزيع التصريفات (مثل المورفيمات) فى اللغة والطريقة المستعملة تتضمن استعمال (هياكل الاختبار) التى يمكن أن تكون جملاً تشتمل على فراغات مثل :

تحدث الـ ــــــــ كثيراً من الضوضاء

The ______ makes a lot of noise .

بالأمس سمعت **I heard a ______ yesterday**

فهناك عدد هائل من الصيغ يمكن أن تملأ هذه الفراغات لإنتاج جمل سليمة نحوياً فى اللغة الإنجليزية (مثل حمار ، سيارة ، كلب ، راديو ، طفل .... إلخ) ولذلك يمكننا القول أنه لصلاحية كل هذه الصيغ لهيكل الاختبار نفسه فإنها جميعاً

أمثلة على الفصيلة الواحدة . والتسمية التى أطلقناها على هذه الفصيلة النحوية بالطبع هى (اسم) ومع ذلك فهناك صيغ كثيرة لا ينطبق عليها الهيكل الاختبارى السابق ومن أمثلة ذلك Kathy ، it ، The dog ، a car وهكذا ، وتحتاج فى هذه الصيغ لهياكل اختبار مختلفة مثل :

______ makes a lot of noise .

I heard ______ yes terday .

فما يناسب هيكل الاختبار هذا Kathy و Margaret Thatcher و it والكلب The dog ، سيارة قديمة an old car ، و الأستاذ ذو اللكنة الأسكتلندية The profess or with The scottish accent

وغير ذلك كثير ، ومرة أخرى نرى أن هذه الصيغ أمثلة على الفصيلة النحوية الواحدة ، والتسمية الشائعة لهذه الفصيلة هى (عبارة اسمية) وفى مكنتك وصف جوانب (على الأقل بعض منها) من أبنية الجمل فى اللغة وذلك عن طريق تطوير مجموعة من هياكل الاختبار من هذا النوع والكشف عن الصيغ الصالحة لملء الفراغات فيها .

تحليل المكونات المباشرة Immediate constituent analysis

من المناهج الوصفية ما يطلق عليه تحليل المكونات المباشرة ، وقد صممت الطريقة المستعملة فى هذا المنهج لتبين كيف تتجمع المكونات الصغرى (أو الأجزاء) فى الجملة لتكون مكونات كبرى ، وفى الجمل التالية يمكننا تحديد ثمانى مكونات (على مستوى الكلمة) :-

Her father brought ashotgun to the wedding.

أحضر أبوها فى الزفاف بندقية

كيف تتجمع تلك المكونات معاً فتصير مكونات على مستوى العبارة ؛

هل يكون من المناسب أن تتجمع الكلمات كما يلي :-

brought a ,father brought, shot gun to ,to the ?

وليس من الطبيعي أن ننظر إلى هذه التجميعات على أنها عبارات في الإنجليزية بل نقول بالأحرى أن تلك المكونات أشباه العبارات هي تجميعات من الأنواع التالية :- عبارة اسمية نحو :-

The wedding, بندقية a shotgun , أبوهاHer father الزفاف .

وعبارة حرفية نحو : To the wedding في الزفاف

وعبارة فعلية نحو : brought a shotgun

ويمكن تمثيل هذا التحليل لمكونات تركيب الجملة في أشكال متنوعة ، وفيما يلي أحد هذه الأشكال الذى يبين بوضوح توزيع المكونات على مستويات مختلفة

Her	father	brought	a	shotgun	to	the	wedding

ويمكن استخدام هذا الشكل لبيان أنواع الصيغ التي يحل بعضها محل بعض في مستويات مختلفة من تركيب المكونات .

Her The	father man	brought saw	a the	shotgun thief	to in	the a	wedding car
Sam		took	Anne		to	Paris	
He		came			here		

الجمل ذات التصنيفات والأقواس
labeled and bracketed sentences

لقد صمم نوع بديل من الأشكال لبيان كيف تميز المكونات في تركيب الجملة من خلال أقواس التطبيقات ، فأما الخطوة الأولى فتتمثل في وضع قوسين (قوس على جانب) حول كل مكون ، ثم إضافة المزيد من الأقواس حول كل تجمع من المكونات ، مثل :- تبع الكلب الولد

[[[The] [dog]] [[followed] [[the] [boy]]]]

وبهذه العملية تبين المكونات المختلفة للجملة على مستوى الكلمة نحو (the) وعلى مستوى العبارة نحو (the boy) - وعلى مستوى الجملة نحو (the dog followed the boy) ويمكننا بالطبع تصنيف كل مكون بمصطلح نحوي مثل :

أداة ("article) ، Art ") واسم ("N" noun)

وعبارة اسمية ("NP" Noun phrase) وفعل ("V" =verb)

وعبارة فعلية ("vp" (=verb phrase ، وجملة (= sentence) "S"

وفي الشكل التالي وضعت هذه التسميات إلى جانب كل قوس يعين بداية المكون ، و النتيجة هي تحليل تصنيفي ذو أقواس لمكونات تركيب الجملة .

$[_S [_{NP} [_{Art} \text{The}] [_N \text{dog}]] [_{VP} [_V \text{followed}] [_{NP} [_{Art} \text{the}] [_N \text{boy}]]]]$

ولايقتصر هذا النوع من التحليل على وصف الجمل الانجليزيـة و لنـأخذ جملـة عينة من لغة ذات تركيب تختلف كل الاختلاف عن الانجليزية ثم نطبق عليها نـوع التحليل نفسه .

جملة غيلية Agaelic sentence

فيما يلي جملة من اللغة الغيلية الاسكتلندية وترجمتها

the boy saw the black dog

شاهد الولد الكلب الأسود

Chunnaic an gille an cu dubh
"saw" "the " "boy" "the" dog" "black"

ومن أوضح الفروق بين تركيب هذه الجملة الغيليـة و مايقابلهـا فـى الانجليزيـة هو مجيء الفعل فى بداية الجملة .

ومن الفروق اللافتة أيضاً مجيء الصفة عند الاستعمال تالية للاسم لاسابقة عليه ، ويمكن تمثيل هذه الملاحظات التركيبية فى الشكل التالى :

[[Chunnaic]V [[an]Art [gille]N]NP [[an]Art [cu]N [dubh]Adj]NP]S

وبالطبع ليس مـن هـدف هـذا النـوع مـن التحليـل إظهـار قدرتنـا علـى رسـم الأشكال المعقد لأرهاق أصـدقائنا ، بل الهدف هو التوضيح من خـلال الشـكل لمـا نتصوره من تركيب للجمـل النحوية فـى اللغـة ، كمـا أنـه يعيننـا علـى أن نصـف بوضـوح كيف تتضام جمل الانجليزيـة معاً فـى شـكل تجمـع عبـارات هـى بدورهـا تجميعات من الكلمات ، ويمكننا بعد ذلـك أن نتجـه إلى وصـف ممـاثل لجمـل فـى لغات أخرى كالغيلية أو الفرنسية أو الأسبانية أو غير ذلك وأن نتأمل مـايوجد مـن فروق تركيبية ، كما أنه على المستوى العملى يعيننا على فهـم علـة إصـدار المعلـم

الأسبانى للغة الانجليزية لعبارة مثل the wine white*(بدلاً من the white wine النبيذ الأبيض مستعملا هيئة تركيبية من المكونات تقبلها الأسبانية ، ولا تقبلها الانجليزية .

الفصل العاشر

التراكيب

بعد محاضرة لوليام جيمس عن الكونيات
و تركيب النظام الشمسي بادرته سيدة
مسنة قائلة أن فكرته عن دوران الأرض
حول الشمس خاطئة.
قالت السيدة العجوز "لدى نظرية أفضل".
سألها جيمس بأدب " و ما هي يا سيدتي ؟ ".
" أننا نعيش على قشرة أرض
على ظهر سلحفاة عملاقة".
– سأل جيمس" يا سيدتي إذاصحت نظريتك
فعلى أى شيء تقف هذه السلحفاة ؟"
– ردت السيدة العجوز " سيدى جيمس
أنت رجل في غاية الذكاء ، و سؤالك
هذا في غاية الحسن ، و لكن لدى الإجابة
، عليه، و هي أن السلحفاة الأولى تقف
على ظهر الثانية الأكبر منها التي تقف
مباشرة تحتها "
– واصل جيمس سؤاله بإصرار "و لكن على
أى شيء تقف السلحفاة الثانية " و هنا
اندفعت السيدة العجوز بزهوة النصر

قائلة " سيدى جيمس لا فائدة ، إنها
سلاحف ممتدة إلى أسفل على طول الطريق "

(عن ج . ر . روس ١٩٦٧)

لقد انتقلنا خلال الفصل السابق من استعراض الفصائل النحوية ، العامة و العلاقات ، إلى مناهج خاصة لوصف تركيب العبارات و الجمل فإذا ركزنا على التركيب و ترتيب الأجزاء داخل الجملة ، فإننا بصدد ما يعرف فى الاصطلاح بعلم نظم اللغة (النحو) syntax ، و تعود كلمة SYNTAX إلى أصل يونانى و تعنى حرفيا التآلف أو الترتيب، و فى المناهج الباكرة لوصف علم النظم كما رأينا فى الفصل التاسع، كانت هناك محاولة لابتكار تحليل دقيق عن تتابع أو (ترتيب) العناصر فى التركيب الخطى للجملة ، فبينما ظل هذا هدفا رئيسيا فى الوصف التركيبى، إذا بدراسة حديثة فى علم النظم تتخذ منهجا مخالفا فيما يتعلق بما نلاحظه من ترتيب فى تركيب الجمل .

النحو التوليدى GENERATIVE GRAMMER

منذ الخمسينيات و انطلاقا من جهود اللغوى الأمريكى نعوم تشومسكى والمحاولات تبذل لإنتاج نوع من النحو ذى نظام صريح من المعايير التى تحدد أى التجمعات من العناصر الأساسية ينتج فى الجمل التامة (و نركز هنا على كلمة " محاولات" و ذلك لعدم وجود قواعد محكمة من هذا النوع أو من نوع آخر) ، و نظام القواعد الصريح هذا كما يفترض شائع فى أنواع القواعد المستعملة فى الرياضيات، و نجد مقولة محددة قديمة لتشومسكى فى أول عمل كبير له ، يطرح هذه الفكرة القائمة على أساس رياضىّ " سأعتبر اللغة مجموعة من الجمل (محدودة أو غير محدودة) (تشومسكى ١٩٥٧ ، ص١٣) .

و هـذه النظريـة الرياضيـة تعـين علـى تفسـير معنـى المصطلـح " توليـدى" GENERATIVE الذى يستعمل فى وصف هذا النوع من النحو فمـن خـلال المعادلة الجبرية 3X + 2Y بإمكانك أن تعطى X ,Y أى قيمـة لأى عـدد صحيـح ثم يمكن لهذه المعادلة الجبريـة البسـيطة أن تولـد generate مجموعـة لا نهائيـة مـن القيم وذلك باتباع القواعد الرياضيـة البسـيطة فحينمـا تكـون x = ٥ ، y = ١٠ فإن الناتج هو ٣٥ ، و حينما تكون x = ٢ ، y = ١ فإن الناتج هو ٨.

و سوف تنتج هذه النتائج مباشرة بتطبيق القواعد التعويضية، و تتولد المجموعـة اللانهائية من مثل هذه النتائج بإجراء القواعـد الشـكلية الصريحة explicity formal rules فإذا كانت الجمل فى اللغة تمثل مجموعة قابلة للمقارنـة ، فـلا بـد مـن وجود قواعد صريحة تؤدى إلى هذه الجمل ،و هذه المجموعـة مـن القواعـد الصريحة هو ما يطلق عليه النحو التوليدى .

بعض خصائص القواعد some propesties of grammer

و للنحو من هذا النوع عـدد مـن الخصـائص يمكـن وصفهـا فـى المصطلحـات التالية ، فالنحو سيولد كل أبنية التراكيب الصحيحة (مثل : الجمل) فـى اللغة و لا يوفق فى توليد أى تراكيب شاذة ، و سيكون لهذا النحو عدد نهائى (محدود) من القواعد ، ولكنه قادر على توليد عدد لا نهائى مـن الـتراكيب الصحيحة و بهـذه الطريقة تكمن إنتاجية اللغة فى النحو (The creation of totallynovel, yet grammatical , sentences)

(أى إبداع الجديد من الجمل الصحيحة نحوياً)

و قواعـد هـذا النحـو تتطلـب الصفـة الحاسمـة التسلسـل أو التتـابع Recursiveness و يعنى القدرة على التطبيق أكثر من مـرة فـى توليـد تركيـب ،فعلى سبيل المثال ،و أيا كـانت القـاعدة التـى تـؤدى إلى تكويـن الـتركيب That

الذى طارد القطة فى الجملة : هـذا هـو الكلـب الـذى طـارد chased the cat القطة This is the dog that chased the cat فإنه يمكن تطبيقها لتكويـن That killed the rat و أى تركيب مماثل آخر يكمـل الجملـة(هـذا هـو الكلـب الذى طارد القطة التى قتلت الفأر)

This is the dog that chased the cat that killed the rat . . .

. . . . و فى المقام الأول لا نهاية للتسلسل الذى يؤدى إلى تكوين نسخ من هذه الجملة و على النحو أن ينهـض بهـذه الحقيقـة، (لا يختص التسلسـل بوصف تركيب الجملة ، إنه جزء أسـاس من فكرة السـيدة العجوز عن دور السلاحف فى البناء الكونى، كما بالاقتباس فى مطلع هـذا الفصل) كمـا ينبغى أن يكون هذا النحو قادراً على بيان أساس ظاهرتين أخريين :-

الأولى :- كيف تختلف فى الظاهر بعض الجمل و بينها و شائج حميمة ؟

الثانية :- كيف تتشابه فى الظاهر بعض الجمل مع أنهـا فـى الحقيقـة مختلفـة ؟

نحن بحاجة فى هذه النقاط لبعض الشواهد.

***البنية العميقة و البنية السـطحية Deep and surface structure**

من الأمثلة على جملتين ظاهراً مختلفتين قولنا

Charlie broke the window and the window was broken by charlie

كسـر شـارل النـافذة ، كسـرت النـافذة بواسـطة شـارل، ففـى المصطلحـات التقليدية الجملة الأولى مبنية للمعلوم و الثانية مبنيـة للمجهـول و يمكـن القـول بـأن الفرق بينهما هو اختلاف فى بنيتهمـا السـطحية أى الصيغـة النحوية التـى اتخذاهـا بوصفهما من جمل حقيقية فى الانجليزية ، و هذه الفرق فى الشكل الظاهرى يخفـى تحته علاقة و طيدة بين الجملتين ، قد يتماثلان على مستوى عميق إلى حدما و هـذا المستوى الباطنى حيث يمكن تمثيل المكونات الأساسية المشتركة بين الجملتـين يطلـق عليـه البنيـة العميقـة Deep structure فالبنيـة العميقـة مسـتوى تجريـدى لهيئـة

التركيب تتمثل فيه كل العناصر المحددة لتأويل التركيب و لهذا ينبغى أن يكون النحو قادراً على بيان كيف لتمثيل تجريدى تحتى مفرد أن يصبح بنى سطحية مختلفة .

*** غموض التركيب Strutural ambiguity**

فيما يتعلق بالنقطة الثانية التى سبقت

الإشارة إليها ، نفترض أن لدينا نوعين مختلفين من البنى العميقة يتناولان من ناحية تلك الحقيقة القائلة (لدى آن مظلة و قد ضربت رجلاً بها) و من ناحية أخرى أن (آن ضربت رجلاً و كان الرجل يحمل مظلة)،و الآن يمكن بالفعل التعبير عن هذين المعنيين المختلفين ببنية سطحية واحدة هى :

ضربت آن رجلاً بمظلة Annie whacked a man With an umbrella

و هى جملة غامضة فى تركيبها ،فلها تأويلان تحتيان مختلفان حيث يمكن تمثيلهما فى البنية العميقة بطريقتين مختلفتين . و قد تكون العبارات أيضاً غامضة فى تركيبها، كما فى مثل العبارة

The hatred of the killers بغض القتلة ، حيث يحتمل فى البنية العميقة أن يكره شخص القتلة أو أن القتلة يكرهون شخصاً ما فينبغى على النحو أن يكون قادراً على التمييز التركيبى بين هذين التمثيلين التحتيين .

*** مناهج مختلفة Different approaches**

لقد استعرضنا بعض المتطلبات اللازمة للوصف التركيبى للغة ، و مع ذلك فهذا النطاق من البحث اللغوى بلغ من شهرته أن أدى إلى مناهج مختلفة لإنتاج ذلك الوصف ، فالقضايا المعنية بذلك و حدها ، تركيبية فى المقام الأول عند بعض الباحثين ، بمعنى أن تصف التركيب بقطع النظر عن اعتبارات المعنى ،و أما بالنسبة

للآخرين فعنصر المعنى هو الأساس ،و في بعض الإصدارات الأخيرة عن النحو التوليدى تغلب على مستوى البنية التحتية بصورة أساسية (المعنى) أو التأويل الدلالي الذى يتحدد بشكل بنائي أو تركيبي في التحقق السطحى Realization (و سنوضح القضايا الدلالية تفصيلاً في الفصل ١١)و من سوء الحظ فإن كل شئ يتعلق بتحليل النحو التوليدى غالباً ما يثير الجدل ،و لا تزال المناهج المختلفة قائمة بين الذين يزعمون أنهم يحللون اللغة بنهج النحو التوليدى ،و من بين هؤلاء كثير ممن ينتقد النظام بأكمله .

و بدلاً من إثارة الجدل ، فلنتأمل بعض الملامح الأساسية للمنهج التحليلى الأصلى ،و ما يفترض فيها من عمل ،و نحن بحاجة أولاً إلى معرفة الرموز مباشرة.

* الرموز المستعملة في دراسةالتراكيب

Symbols used in syntactic description

لقد قدمنا بعض الرموز (في الفصل التاسع) التي يسهل فهمها كل السهولة بوصفها اختصارات للفصائل النحوية المشار إليها، و من أمثلة ذلك جملة "" S (sentence)

اسم(N (=Noum)(أداة Article -) (Art) و هكذا ،و نحن بحاجة لإضافة ثلاثة رموز يشيع استعمالها .

و أول هذه الرموز ما يكون على شكل سهم ← و يعنى (يتكون من)

و سيرد في التخطيط التالي :-

أداة و اسم Art N ← Np عبارة اسمية

و ببساطة هي وسيلة و جيزة للتعبير عن عبارة اسمية (نحو الكتاب The book)تتكون من أداة (نحو:ال The)و اسم (نحو : كتاب book)

و ثاني ما يستعمل من الرموز يرد في شكل هلالين أو قوسين دائريين ( )- و مهما يقع داخل هذين القوسين فإنه يعامل بوصفه مكوناً اختيارياً، و يتضح ذلك من خلال مثال ،فقد تصف شيئاً كا لكتاب the book أو الكتاب الأخضر the green book و يمكن القول بأن العبارتين مثالان على فصيلة العبارة الاسمية ،و لكي تستعمل عبارة اسمية في الانجليزية فلابد من أداة (أل The)و اسم (كتاب Book)و لكن إدخال و صف (أخضر green) فهو أمر اختيارى لا إلزامى ،و يمكن بيان هذا الجانب من التركيب الانجليزى بالوسيلة التالية :-

NP →Art (Adj) N

و هذه الإشارة الوجيزة تعبر عن فكرة أن العبارة الاسمية تتكون من أداة إجبارية و اسم إجبارى و لكن قد تتضمن صفة في مكان بعينه، و هذه الصفة اختيارية .

و ثالث ما يستعمل من الرموز ما يرد في شكل حاصرتين أو قوسين معقوفين { }-و تعنى أن تختار عنصراً واحداً مما يشتمل عليه القوسان فيستعملان عند الاختيار من مكونين أو أكثر ،و مثال ذلك ما سبق أن أشرنا إليه في الفصل التاسع أن العبارة الاسمية قد يتنوع التعبير بها مثل المرأة The woman (أداة واسم Art N) أو هي (ضمير pronoun) أو كاتي Kathy (اسم علم) ،و بالطبع يمكن كتابة ثلاث قواعد منفصلة كما هو مبين أسفل جهه اليسار ،و لكن من الأبلغ أن نكتب قاعدة واحدة كما هو مبين أسفل جهه اليمين و تشتمل بالضبط على المعلومات نفسها

عبارة اسمية NP { أداة + اسم Art N / ضمير Pronoun / علم Proper noum }	عبارة اسمية NP Art N أداة + اسم
	عبارة اسمية NP Pronoun ضمير
	عبارة اسمية NP Proper nou علم

ومن المهم التذكير بأنه على الرغم من وجود ثلاثة مكونات فى القوسين المعقوفين ، فلا اختيار إلاالواحد منها فى أى مناسبة .

والآن نقدم قائمة رموز و اختصارات يشيع وجودها فى الوصف التركيبي :

S. sentence جملة

PN	Propernoun	اسم علم
Art	article	أداة
NP	nounphrase	عبارة اسمية
N	noun	اسم
V	verb	فعل
Adv	adverb	ظرف
VP	verb phrase	عبارة فعلية
Pro	pronoun	ضمير
Adj	adjective	صفة
Prep	preposition	حرف جر
PP	prepositional phrase	عبارة حرفية

* = ungrammatical sequence تركيب غير صحيح نحوياً

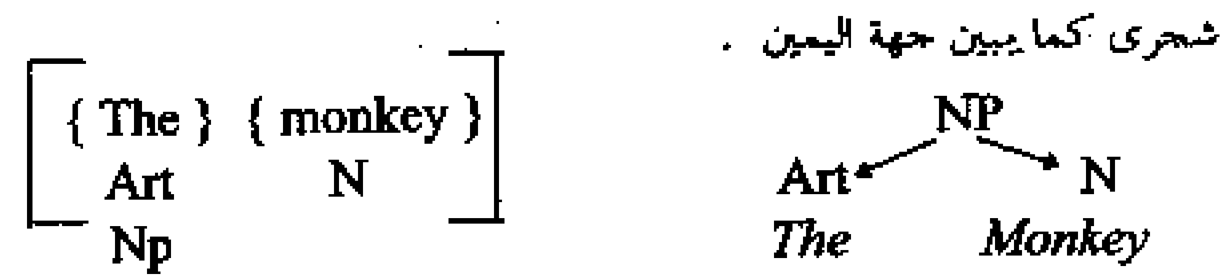
→ = consistsof يتكون من

( ) = optional constituent مكون اختيارى

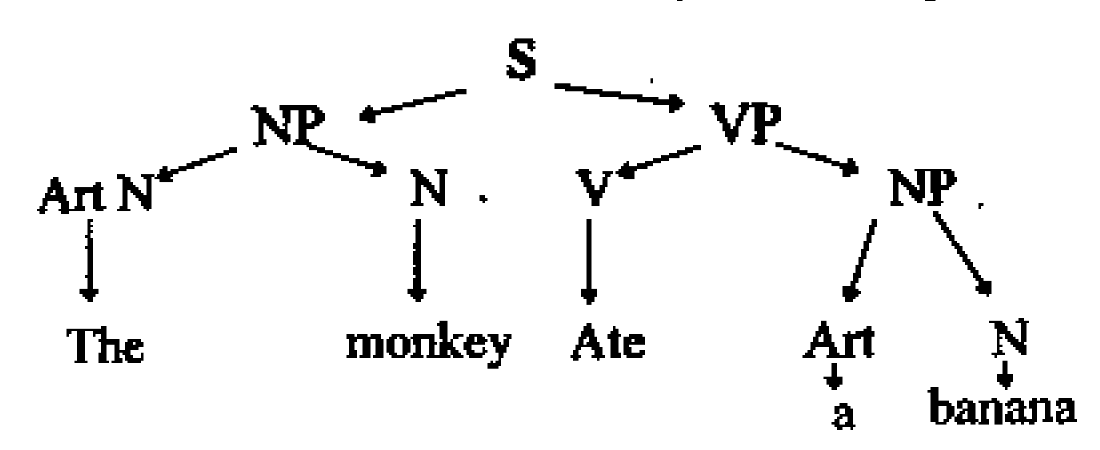
{ } = one and only one of these constituents must beselected يختار أحد المكونات لا غير .

* أشكال التصنيف الشجرى Labeled tree diagrams

لقد استعرضنا فى الفصل التاسع و سائل وصف تركيب الجمل التى تركزت أساساً على التتابع الخطى للمكونات ،و بالطبع يمكن بيان التتابع نفسه بوسيلة أكثر إيضاحاً فى شكل هرمى ،و لهذا فبدلاً من التصنيف أو و ضع المكونات فى أقواس كما هو مبين أسفل جهة اليسار ،يمكننا عرض المعلومات نفسها فى شكل تخطيط شجرى كما يبين جهة اليمين .



و هذا النوع من التمثيل بالتخطيط الشجرى يحوى المعلومات النحوية كلها الموجودة فى التحليلات الاخرى ،و لكنه يبين أيضاً بصورة أوضح وجود مستويات مختلفة فى التحليل ،حيث يوجد مستوى من التحليل يتمثل فيه مكون مثل العبارة الاسمية NP ،ويوجد مستوى أدنى يتمثل فيه مكون مثل الاسم N ،وإليك الآن تخطيط شجرى لجملة بأكملها.



فإذا بدأت بقمة التخطيط الشجرى هذا، فإنك ستبدأ بالجملة (s) ثم تتفرع الجملة إلى مكونين (عبارة اسمية و عبارة فعلية Npand vp) ثم يتبع ذلك تفرع

العبارة الاسمية Np إلى مكونين (أداة Art ،و اسم N)و في النهاية نختار كلمة واحدة تناسب Art (الThe)وكلمة أخرى تناسب الاسم N (قردmonkey)

*** قواعد تركيب العبارة Phrase structure rules**

يمكن النظر إلى شكل التخطيط الشجرى بوسيلتين مختلفتين ،إحداهما أن نتعامل معه بوصفه تمثيلاً ثابتاً لتركيب الجملة في أسفل التخطيط ،و يمكن افتراض أن للجملة الواحدة في الانجليزية تخطيطاً شجرياً من هذا النوع يمكن رسمه و النظرة الأخرى هو أن نتعامل مع التخطيط بوصفه شكلاً متحركاً (ديناميكياً dynamic)و هذا يعني أنه يمثل وسيلة "توليد" ليس لجملة واحدة بل لعدد هائل من الجمل ذوات التركيب المماثل ،وهذه النظرة البديلة مغرية للغاية لأنها تمكننا من توليد عددها هائل من الجمل بقليل من القواعد لا غير، ويطلق عادة على هذه القواعد، قواعد تركيب العبارة و تقدم معلومات التخطيط الشجرى في شكل بديل ،و من ثم فبدلاً من شكل التخطيط أسفل جهة اليسار ،يمكن استعمال التمثيل أسفل جهة اليمين:

S → Np vp (tree) $S \rightarrow NP\ vp$

و تقرأ القاعدة إذن على هذا النحو : (تتكون الجملة من عبارة اسمية يتبعها عبارة فعلية)و إلى جانب هذا النوع من القواعد التي تولد التراكيب فلدينا أيضاً القواعد المعجمية Lexical rules التي تحدد الكلمات التي ينبغي استعمالها للمكونات مثل الاسم N ،ومثال ذلك:

N → { boy ولد - girl فتاة - dog كلب . . . . }

و يعني هذا أن الاسم N سيكتب ولد boy أو فتاةgirl ،أو كلب dog و يمكننا استنباط مجموعة بسيطة للغاية (و ناقصة بالضرورة) من قواعد تركيب العبارة تستعمل في توليد عدد هائل من الجمل

$S \rightarrow NP\ vp$

$NP \rightarrow \begin{Bmatrix} Art\ (Adj)\ N \\ PN \end{Bmatrix}$

$vp \rightarrow v\ NP\ (PP)\ (Adv)$

$pp \rightarrow prep\ NP$

N → {boy - girl - horse}

pN → {George - Myrna }

Art → {a - the }

Adj → {small - crazy }

V → {saw - Followed - helped}

prep → {with - near}

Adv → {yesterday - recently}

و تولد هذه القواعد الجمل الصحيحة نحوياً كما فى الأمثلة التالية من ١ – ٧ ولكنها لا تولد الجمل غير الصحيحة نحوياً كما فى الأمثلة من ٨– ١٠ :

1- The girl Followed the boy — تبعت الفتاة الولد .

2- A boy helped the horse — ساعد ولد الحصان .

3- The horse saw a girl شاهد الحصان فتاة

4- Myrna helped George recently — أخيراً ساعدت ميرنا جورج

5- George saw a horse yesterday — أمس شاهد جورج حصاناً

6- Asmall horse Follo wed Myrna — تبع حصان ميرنا

أخيراً شاهد الولد الصغير جورج و معه حصان مجنون .

7- The small boy saw George with a crazy horse recently

8- *Boy the Myrna saw

9- *Helped a girl

10- *Small horse with girl

* قواعد التحويل Transformational rules

إحدى مشكلات قواعد تركيب العبارة هذه هي أنها ستولد جميع الجمل بترتيب ثابت لمكوناتها ،و مثال ذلك أن الظروف ستأتي دوماً في نهايات الجمل إذا اتبعنا القواعد التي شرحناها تواً، و هذا يصلح لتوليد الجمل الأولى فيما يلي و لكن كيف نحصل على الجملة الثانية ؟

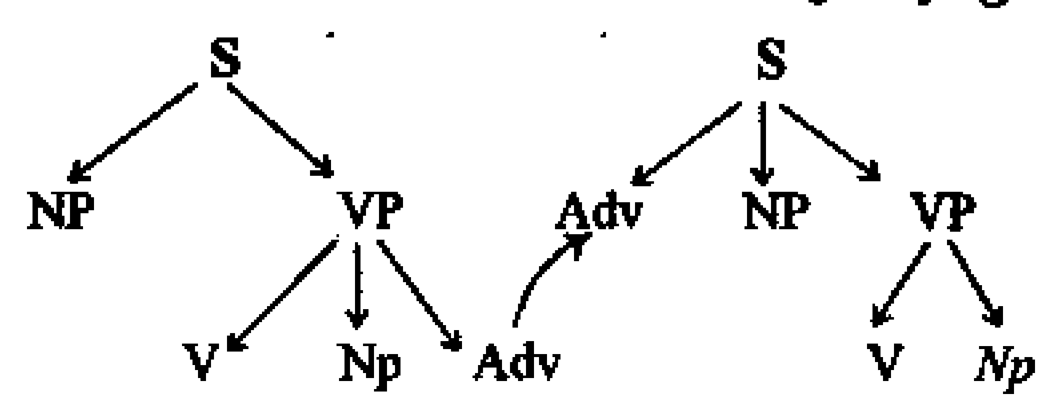
جورج ساعد ميرنا أمس

(1) Georg helped Myrna yesterday

أمس جورج ساعد ميرنا

(2) Yesterday George helep Myrna

و لإنجاز هذه الحركة للمكونات ،فإننا بحاجة إلى مجموعة قواعد تغير أو تحرك المكونات في التراكيب ،و هي مشتقة من قواعد تركيب العبارة و تسمى هذه القواعد، قواعد التحويل Transformational rules و عملها في الأساس هو أخذ فرع من الشجرة من جزء من التخطيط الشجري و توصيله بجزء آخر ،و هاك مثالاًعلى حركة تحويلية



جورج ساعد ميرنا أمس (George helped Myrna yesterday)

أمس جورج ساعد ميرنا(Yesterday George helped Myrna)

و بالطبع يمكننا تحديد أى المكونات يمكن تحريكها ،و موضع حركتها ،و المكان الذى ستنتقل إليه .

و من ألطف الخلافات التي تستدعى قواعد التحويل ما يتضمن تحريك عنصر صغير جداً فى تركيب الجملة الانجليزية ،و نلاحظ أن الجملتين التاليتين من الجمل الشائعة :-

(i)Doris picked up the magazine.
(ii)Doris picked the magazine up.

و تشتمل هاتان الجملتان على مركب جزيئى فعلى(فعل يتناول verb - pick ،جزئ particlr - up) و من الواضح أن الجزئ يمكن فصله عن الفعل و تحليل تركيب المكونات كما فى الفصل التاسع يلقى بعض الصعوبة فى التكيف مع هذا النوع من التركيب ،و يمكن لتحليل تركيب العبارة أن يأتى بتخطيطين شجريين مختلفين ،و من ثم تدرك بالحدس أن هاتين الجملتين جاءتا و لابد من مصدر تحتى واحد .

و لنفترض مصدراً واحداً لتخطيط شجرى ينتج سلسلة من العناصر مثل :

NP V particle Np

عبارة اسمية جزىء فعل عبارة اسمية

وفى مثل هذه الظروف ، لنفترض التحويل الاختيارى المسمى (حركة الجزىء) الذى يتناول الوصف التركيبي هذا ويؤدى إلى التغير التركيبى وهو:

NP V NP Particle

جزىء عبارة أسمية فعل عبارة اسمية

وباستعمال قاعدة التحويل البسيطة هذه نكون قد قدمنا وسيلة لتوضيح العلاقة بين تركيبى الجملتين (i) ، (ii) سابقاً بوصفهما تنوعين سطحيين لبنية تحتية

واحدة،و قد لايبدو ذلك كثيراً ولكن هذا النـوع من التحليـل التحويلى قـد حـل عدداً من المشكلات العويصة في الوصف النحوى .

وبالطبع هناك الكثير مما يقال فى النحو التحويلى والمناهج الأخرى فى الوصف النحوى (لقد مسسـنا مسـاً رفيقـاً البنـى السـطحية) وعلـى أية حـال ، فبعـد أن أوضحنا بعض القضايا الأساسية فى الوصف النحوى للغة ، ينبغى علينـا الانتقـال ، كما فعل النحاة التوليديون على ما ثبت تاريخاً ، لبحث مكانة المعنـى فـى الوصـف اللغوى ،وهذا يقودنا إلى دراسة دور علم الدلالة semantics .

الفصل الحادى عشر

الدلالةو البراجماتية

تحكى قصة حقيقية أن إحـــدى راقصـــات التجرد
strip-tease كتبت إلى لغـــوى أمريـــكى
مشهـــور تسأله عـــن كلـــمة بدلاً مـــن
(strip -tease) بسبب معناها الخاطـــىء
وقالت (أرجو أن يساعدعلم الدلالة ضعـــاف
اللغة من أعضاء مهنتى) واقترح اللغوى المشهور الذى
يجيد اللغات الكلاسيكية،كلمة المتجردة ecdysiast
فرانـــك بالمر (١٩٨١)
التجـــرد (الانسلاخ) هو زوال أوسقوط الغطاء
أو الإهــــاب الخارجي عن الثعابين أو القشريات ٠
معجم راندوم هاوس (١٩٦٦) ٠

يهتم علم الدلالة والبراجماتية بجوانب المعنى في اللغة ،وعامة ، فإن علم الدلالة يعنى:بوصف الكلمة و معنى الجملة , و تعنى البراجماتية بتحديد مقصد المتكلم ٠

*لا العناية الإلهية ولا همبتى دومتى

Neither Godnor Humpty Dumpty

قبل البحث في هذين النطاقين ، ينبغى توضيح جوانب المعنى المراد دراستها ، فلايمكننا افتراض وجود علاقة دلالية من العناية الإلهية بين الكلمة في اللغة وشئ في الكون , وليس من الصحيح أن نعرف معنى كلمة كرسى chair لاشتمالها على علاقة طبيعية من العناية الإلهية مع الشئ الذى تجلس عليه ،و لأجل فهم تلك الفكرة فعليك أن تفترض أن الرب يتحدث الانجليزية ،وأن ألفاظاً مثل chaise (فرنسى) ،و stuhl (ألمانى) و sedia(إيطالى) في بعض معانيها وسائل غير طبيعية للإشارة إلى الشئ نفسه ,و بدلاً من ذلك

فالمنهج المعقول يقودنا إلى اعتبار كلمة كرسى chair مصطلح اعتباطى (أى ليس له علاقة طبيعية بالشئ الذى يشير إليه) ولكن جرى العرف بين الناطقين بالانجليزية استعمال هذا اللفظ للإشارة إلى ذلك الشئ الذى نجلس عليه .

وهذا المغزى لمعنى الكلمات القائم على العرف داخل اللغة يقودنا أيضاً إلى رفض فكرة معنى الكلمة , التى تنسب لهومتى دومتى فى كتاب لويس كارول " خلال النظارة through the looking Glass "

قال هومتى دومتى بنبرة ساخرة عندما أستعمل كلمة فإننى أعنى ما أشاء من معنى ، لا أكثر ولا أقل " .

وفى عموم التطبيق فإن هذا القول بالتأكيد وصف مشوش عن لغة الإنسان ، فهل يمكن حقاً لشخص أن يقول: البطيخ أزرق the melon is blue ويعنى بذلك أن ذلك الكرسى مريح thatchairis comfortable قد ينطبق ذلك فى سياق خاص ربما كان فكاهياً ولكن القصد أن نجعل الكلمات تعنى ما نختاره من معنى بصفة شخصية،لايمكن أن يكون ملمحاً عاماً فى المعنى اللغوى .

*المعنى الأساسى فى مقابل المعنى الترابطى
conceptual versus associative meaning

إن مانصفه فى علم الدلالة هى تلك الجوانب من المعنى العرفى التى تزعم التوصل إليها بكلمات اللغة و جملها ، ومن الفروق التى تجدر الإشارة إليها فى وصف المعنى أنه عندما يبحث اللغويون معانى الكلمات فى اللغة ، فإنهم بالطبع يولون اهتماهم بتحديد المعنى الأساسى conceptual ،و يقل اهتمامهم بالمعنى الترابطى أو الأسلوبى للكلمات ، ويشمل المعنى الأساسى المكونات الأساسية المهمة للمعنى التى يتوصل إليها بالاستعمال الحرفى للكلمة ، فبعض الجوانب

الأساسية لكلمة مثل إبرة needle في الانجليزية قد تتضمن رفيعة ، حادة ، من الصلب ، آلة ، وتعد هذه المكونات جزءاً من المعنى الأساسي للإبرة ، وعلى أية حال قد تجد تداعيات أو ظلالاً دلالية connotations تتصل بكلمة مثل إبرة تؤدى للتفكير في " مؤلمة " (painful) كلما تعرضت لهذه الكلمة " ولا يعد هذا التداعي جزءاً من المعنى الأساسي للإبرة ، و بالطريقة نفسها يمكنك تحديد تداعى عبارة low calorie عند استعمالها وصفاً لمنتج كأن تقول (صالح لك) ولكننا لانريد إدراج هذا التداعى فى المعنى الأساسي للعبارة ، و بالطبع فالشعراء وأصحاب الإعلانات في غاية الاهتمام باستعمال مصطلحات بطريقة تبرز متداعى المعانى، ويدرس بعض اللغويين بالفعل هذا الجانب من استعمال اللغة ،ومهما يكن من أمر فإننا سنعتني في هذا الفصل بمصطلحات المعنى الذهنى .

الملامح الدلالية semantic features

كيف يساعدنا المنهج الدلالى فى فهم شيء عن طبيعة اللغة ؟ من ناحية يكون نافعاً بوصفه وسيلة للاعتناء بالشذوذ oddness الذى نلمسه عند قراءتنا جملاً انجليزية كما فيما يلى :-

The hamburger ate the man — الهمبور جرا كل الرجل

My cat studied linguistics — درست قطتى علم اللغة

Atable was listening to some music — تستمع منضدة لبعض الموسيقى

لاحظ أن الشذوذ فى هذه الجمل لا يأتيها من قبل التركيب النحوى ، فهى جمل صحيحة التركيب طبقاً لبعض القواعد التركيبية الأساسية لتكوين الجمل الانجليزية ، (كما فى الفصل ١٠) فلدينا جمل سليمة التكوين .

The hamburger ate the man
NP V NP

فهذه الجملة صحيحة نحوياً ولكنها شاذة دلالياً ولأن جملة أكل الرجل الهمبورجر the man ate the hamburger هي المقبولة كل القبول فما مصدر الشذوذ الذى نصادفه؟

وثمة إجابة تتعلق بمكونات المعنى الذهنى للاسم همبورجر hamburger الذى يختلف دلالياً عن مكونات الاسم man الرجل ،خاصة عند استعمال هذين الاسمين فاعلين للفعل أكل ateفأنواع الأسماء التى يمكن أن تقع فاعلاً للفعل أكل ate يلزم أن تشير إلى كائنات قادرة على الأكل ، والاسم همبورجر bamburger لايتمتع بهذه الصفة (ويتمتع بها الإنسان) وهذا هو سر شذوذ الجملة الأولى آنفاً.

و فى الواقع يمكننا تعميم هذه الملاحظة بمحاولة تحديد المكون الحاسم فى المعنى الذى يلزم الاسم لكى يستعمل فاعلاً للفعل أكل ate ، و قد يكون هذا المكون عاماً مثل(كائن حى animate being) ، ثم نستعمله لوصف جزء من معنى الكلمات إما + حى animate + (= يشير إلى كائن حى) و إما - حى animate - (= لا يشير إلى كائن حى).

و هذه العملية وسيلة لتحليل المعنى بما يتصل بالملامح الدلالية فملامح مثل + حى animate + ،- حى animate -+ إنسان human + ، - إنسان human - ، + مذكر male + - مذكر male - على سبيل المثال تعامل على أنها الملامح الأساسية التى تميز معانى كل كلمة فى اللغة عن غيرها من الكلمات فإذا طولبت ببيان الملامح المميزة الحاسمة فى معنى مجموعة من كلمات

الانجليزية (منضدة table ، بقرة cow ، فتاة girl ، امرأة woman ، ولد boy ، رجل man) ففي مقدورك أن تنفعل باستعمال التخطيط التالي

	table	cow	girl	woman	boy	man
	منضدة	بقرة	فتاة	امرأة	ولد	رجل
animate حي	–	+	+	+	+	+
human إنسان	–	–	+	+	+	+
male مذكر	–	–	–	–	+	+
adult بالغ	–	+	–	+	–	+

من مثل تحليل الملامح هذا ، يمكنك القول أن جزءً على الأقل من المعنى الأساسي لكلمة ولد boy في الانجليزية تتضمن المكونات (+ إنسان + مذكر – بالغ) ، كما يمكنك تحديد المكون الذي يلزم بالضرورة لاسم لكي يظهر فاعلاً لفعل مدعماً التحليل النحوي بالملامح الدلالية :

The $\overline{\text{N(+human)}}$ is reading a book

إذن يمدنا هذا المنهج بالقدرة على تخمين الأسماء التي تجعل الجملة السابقة شاذة ، و مثال ذلك :منضدة Table ،أو شجرة Tree ،أو كلب dog لأنها جميعاً ذات ملمح (–إنسان human –)

العلاقات المعجمية lexical relations

لا يخلو المنهج الذي سبق شرحه من مشكلات ،و ذلك لوجود كثير من الكلمات في اللغة تعاني من صعوبة تحديد مكونات معانيها ،فإذا حاولت على سبيل المثال أن تفكر في المكونات أو الملامح التي تستعملها لتمييز الأسماء: نصيحة advice، و تهديدThreat ،و تحذيرwarning فإنك تكون قد اقتربت من تصور المشكلة ،و يكمن جزء من المشكلة في المنهج الذي يتضمن أن كلمات

اللغة بمثابة أو عبية تحمل فى داخلها أجزاء المعنى ،و ليس هذا بالطبع الوسيلة الوحيدة للتفكير فى معانى الكلمات فى لغتنا ،فإذا سئلت مثلاً عن معنى كلمة يخفى Conceal ستجيب بيسر أنها ترادف كلمة يخبىءhide ،أو تفسر معنى shallow ضحل، بأنها ضد عميق ،أو تبين معنى نرجسdaffodil بأنه نوع من الزهور ،و لاتكون بذلك قد حددت معنى الكلمة من خلال ملامح مكوناتها بل من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى ، و تستعمل هذه الطريقه أيضا فى الوصف الدلالى للغات و تعد تحليلا للعلاقات المعجمية ، وفى المباحث التالية سنلم بأنواع العلاقات المعجمية الظاهرة عادة :

الترادف synonymy

الترادف عبارة عن صيغتين أو أكثر مع الاشتراك فى المعنى نفسه و غالبا وليس دائما ما يحل بعضها محل بعض فى الجمل ،و من أمثلة الترادف الأزواج التالية :

broad - wide واسع ، **hide - conceal** يخفى ، **almost - nearly** غالبا ، **cab - taxi** سياره أجرة **liberty - freedom** حرية - **answer- reply** إجابة .

و مما تجدر الإشارة إليه أن فكرة التساوى فى المعنى المقصودة فى الترادف ليست بالضرورة تساوياً كلياً ، فهناك مناسبات يكون لفظ معين أنسب لاستعماله فى جملة ، فى حين يكون مرادفه شاذاً و مثال ذلك كلمة إجابة **answer** المناسبة فى جملة :

karen had only one answer correct on the test

لكارن إجابة واحدة صحيحة فى الامتحان ، و مرادفه القريب رد **reply** شاذ .

المطابقة – الطباق Antonymy

يطلق على الكلمتين المتضادتين في المعنى مصطلح الطباق Antonymy و من أشهر هذه الطباقات الأزواج التالية : سريع – بطيء quick - slow كبير وصغير big - small ، طويل و قصير long - short ، مسن و شاب old - young ،فوق و تحت above - below ، مذكر ومؤنث male - female ، حي وميت alive -dead و عادة ما تنقسم الأضداد إلى نوعين : متفاوت ، و غير متفاوت فمن أمثلة المتفاوت التضاد . كبير و صغير big - small حيث يستعمل في (أساليب التفضيل) أكبر من bigger than و أصغر من smaller than .

و نفي أحد أفراد التضاد لا يعني بالضرورة ثبوت التضاد الآخر ، فعلى سبيل المثال ، إذا قلت بان الكلب ليس مسناً فهذا لا يعني أنه صغير السن ، أما الطباقات غير المتفاوتة و يطلق عليها(الأزواج المتامة) فلا تستعمل في أساليب التفضيل (فلا يقال أموت و لا أكثر موتاً) و نفي أحد أفراد التضاد يعني بالضرورة ثبوت التضاد الآخر ، و مثال ذلك :

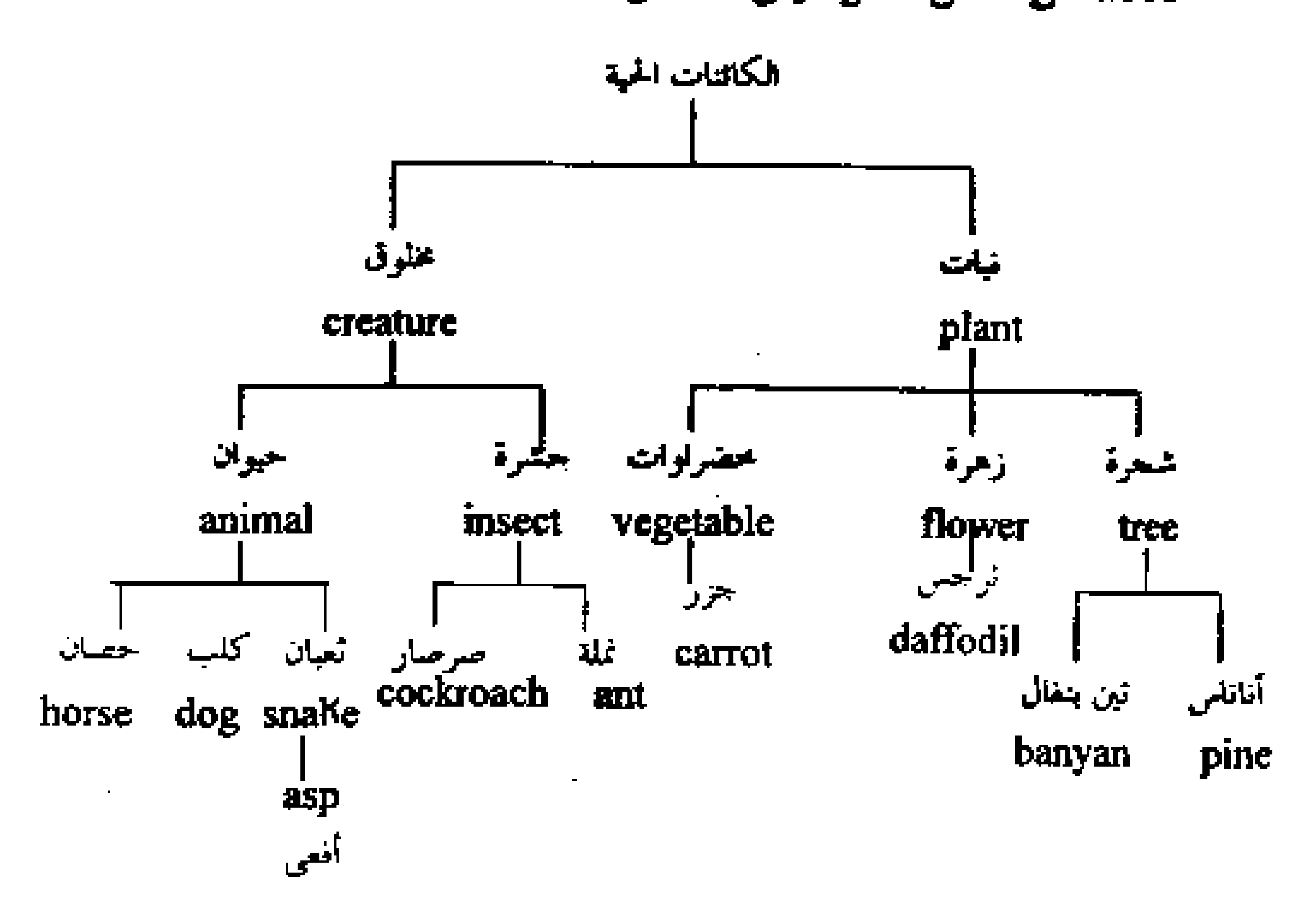
ليس ذلك الشخص ميتا	that person is not dead
فهذا يعني أنه حي	that person is alive

التضمن hyponymy

عندما يندرج معني صيغة في معني صيغة أخرى فإن العلاقه تسمى التضمن و من أقرب الأمثلة على ذلك الأزواج : النرجس والزهرة - daffodil flower ، و الكلب والحيوان dog - animal ، والبودل(كلب ذكر كثيف الشعر أجعده) و الكلب poodle - dog، و جزر و خضروات ، و تين

البنغال و شجرة ، و مفهوم التضمن هنا هو أن أي شيء يسمى نرجس daffodil فإنه بالضرورة زهرة ، فمعنى زهرة متضمن في معنى نرجس daffodil أو أن النرجس daffodil تضمن للزهرة .

و عندما نتعرض لعلاقات التضمن فإننا في المقام الأول ننظر إلى معاني الكلمات إلى حد ما في علاقة هرمية ، و يمكنك في الحقيقة تمثيل العلاقات بين كلمات مثل : حيوان animal ، و نملة ant ،و أفعى asp ، و تين البنغال banyan، و جزر carrot ، وصرصار cock roach ، و مخلوق creature ، و نرجس daffodil ، وكلب dog، وزهرة flower ، و حصان horse ، و حشرة inseet ، و كائنات حية ، و أناناس pine، و نبات plant، و ثعبان snake ،و شجرة tree ، و خضروات vegetable في شكل هرمي كما يلي :



و من هذا التخطيط يمكن القول إن الحصان horse تضمن لحيوان animal أو أن النملة ant تضمن لحشرة ، كما يمكن القول أن العناصر التي تندرج تحت مصطلح علوى واحد تسمى تضامين مشتركة ، ولهذا فالحصان و الكلب تضمنان ، و المصطلح العلوى لهما هو حيوان .

و تثير علاقة التضمن فكرة (النوع) كما في تعريفك لكلمة نحو: الأفعى نوع من الثعبان و الغالب أن الشيء الوحيد الذى يعرفه بعض الناس عن معني كلمة في اللغه هو التضمن لشيء آخر ، فقد لا تعرف شيئاً عن الأفعى asp أكثر من أنه نوع من الثعبان .

الجناس و التشارك و الاشتراك اللفظى

homophony , homonymy and polys e my

هذه ثلاثة مصطلحات ليست واسعة الانتشار تستعمل في بيان العلاقات بين الكلمات في اللغة ، و أولها هو الجناس homophony و هو أن تختلف كلمتان أو أكثر في الكتابة و تتفق في النطق و من الأمثلة على ذلك : عار *bare* *bear* يحمل ، لحم meat و يقابل meet ، و دقيق flour وزهرة flower، و يقشر pail و شاحب pale ، و ينشر saw و أيضاً so .

أما مصطلح التشارك homonymy فيستعمل للدلالة على تعدد المعاني المتباعدة للكلمة الواحدة و من أمثلته الضفة(للنهر) bank ، و مؤسسة مالية bank ، و تلميذ (في مدرسة) pupil ، و حدقة (في العين) pupil ، و الشامه (في الجلد) mole ، وحيوان صغير mole و لا يغلبن على بالك أن نوعى ال bank لهما معنيان قريبان فالألفاظ المتشاركة كلمات لها معان متباعدة كل البعد و لكنها التقت في الصيغه نفسها .

أما تلاقى المعانى فى نفس الصيغة فهو ما يعرف فنياً بالإشتراك اللفظى polysemy الذى يعرف بأنه الصيغه (مكتوبة أو منطوقة)ذات المعانى القريبة المتوائمة ، و من أمثلة ذلك كلمه رأس head التى تستعمل للإشارة إلى الشىء الذى يقع فى أعلى جسمك ، وعلى قمة زجاجة الخمر ، و على قمة الدولة أو القسم ،و من ذلك أيضاً كلمة foot (للشخص أو للسرير أو للجبل)و كلمة يجرى run (للشخص ، للماء ، للألوان)

و لا يتضح دائما الفرق بين التشارك و المشترك اللفظى و يمكن تلمس الفرق فى المداخل المعجمية النموذجية للكلمات ، فإذا كان لكلمة معان متعددة (مشترك لفظى)فإن لها مدخلاً واحداً ذاقائمة بالمعانى المختلفة للكلمة و إذا كان هناك كلمتان متشاركتان homonyms فسيكون لهما مدخلان منفصلان ، و يمكنك التأكد من معجمك ،فربما وجدت المعانى المختلفة لكلمات مثل رأس head ،ويحصل get ،ويجرى run ،ووجه face ،وقدم foot تعامل على أنها من المشترك اللفظى polysemy فى حين تعامل كلمات مثل mail ،وbank ،و sole ،و mole على أنها من التشارك .

وبالطبع فهذه العلاقات المعجمية الأخيرة ، هى الأساس لكثير من ألفاظ الكلمات وخاصة التى تستعمل للتأثير الفكاهى humorous ،فذات مرة استغلت شركة فلسبورى للدقيق ، الجناس homophony للترويج لنوع brand من الدقيق بشعار slogan : Every body kneadsit كل شخص يعجنه واذا استطعت التوصل لحل هذا اللغز :

Why are trees often mistaken for dogs ?

لماذا يخطئ المطاردون الشجر ؟

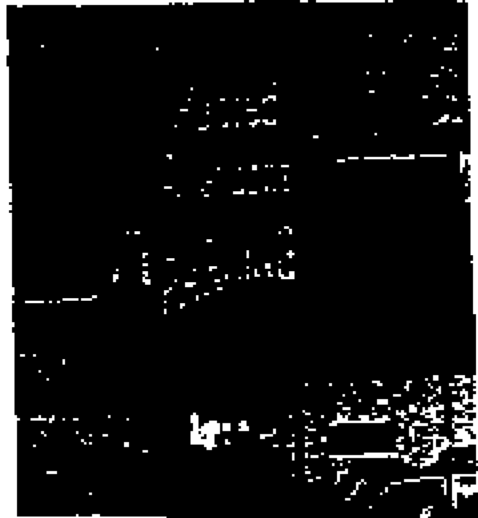
فستلم فى إجابتك باستعمال التشارك وهى : بسبب دباغها because of their bark

هذا يشبه لغز لماذا لا يزرع التين في الأرجنتين ؟ لأنها من دول أمريكا اللاتينية

تفسير مقاصد الكلام Intepreting what speakers mean

لقد ركزنا فيما مضى على المعنى فى اللغة الناتج من معانى الكلمات،ومع ذلك فهناك جوانب أخرى في المعنى لاتستنبط مطلقاً من معانى ما نستعمله من الكلمات فى العبارات والجمل ، فعندما نقرأ أو نسمع قدراً من اللغة فإننا بطبيعة الحال لانحاول فهم ماتعنيه الكلمات فحسب ،بل فهم مايقصده كاتب تلك الكلمات أو قائلها ،ودراسة "المعنى المقصود للمتكلم" هو ما يعرف بالبراجماتية وإذا مررت بجوار موقف للسيارات فستجد لافتة كالتى فى الصورة التالية ،

وأنت تعلم الآن معاني هذه الكلمات ،كما تعلم ما تعنيه اللافتة بأكملها ،وبالطبع فإنك لاتفكر فى أن اللافتة عبارة عن إعلان عن مكان تودع فيه (دليلك الساخن) (أن تأخذ دليلاً،و تسخنه ،وهذا هو المكان الذى تودعه فيه) أو تنظر إليها على أنها تشير إلى مكان صورة حيث يقوم بالإيداع أدلاء مسخنون ،و قد تسمح الكلمات بهذه التفسيرات ،و لكنك بطبيعة الحال تفهم أنه بإمكانك إيداع سيارتك فى هذا المكان ، فهو مساحة دافئة ،و فيه دليل يعتنى بالسيارة فكيف تقرر أن اللافتة تعنى ذلك ؟ (لاحظ أن اللافتة لم تتضمن كلمة سيارة) ما عليك إلا أن تستعمل معانى الكلمات مجتمعة ، فى السياق الذى وضعت فيه ، ثم تحاول الوصول إلى ماكان يود كاتب اللافتة توصيله إليك فمقصد المتكلم أو الكاتب عنصر مهم . وإليك مثال آخر من إعلان صحفي ،و لاتفكر فيما تعنيه الكلمات



فحسب ولكن فكر أيضاً فيما يقصده صاحب الاعلان: FALL BABY SALE

في السياق العادى لمجتمعنا الحاضر ، نفترض أن هذا المحل لا يتاجر فى بيع صغار الأطفال ،و لكن هذا إعلان عن بيع ملابس أطفال ،و لم تظهر فى الاعلان كلمة ملابس Clothes ولكن التفسير العادى هو أن صاحب الاعلان قصد

إفهامنا أنه إعلان تخفيضات على ملابس الأطفال ، لاعلى الأطفال فى حقيقة الأمر

السياق Co ntext

في مناقشتنا للمثالين السابقين أكدنا على دور السياق ،و بالطبع هناك أنواع مختلفة من السياق ، أحدها مايعرف بالسياق اللغوى Linguistic context أو النص المساعد ،ويعرف النص المساعد للكلمة بأنه مجموعة الكلمات الأخرى المستعملة في نفس العبارة أو الجملة ولهذا النص المساعد الذى يحيط الكلام تأثير قوى على تفكيرنا في معنى الكلمة ، فقد سبق أن أشرنا إلى أن كلمة bank من التشارك وهى صيغة لها أكثر من معنى ، فكيف نعلم عادة المعنى المقصود فى جملة بعينها ؟ ندرك ذلك عادة على أساس من السياق اللغوى ، فإذا استعملت كلمة bank في جملة، مع كلمات باهظ steep ،و زائد النمو overgrown فلا مشكلة في تحديد معنى كلمة bank ،وكذلك عندما نسمع شخصاً يقول إنه ذاهب إلى البنك ليصرف شيكاً ، فإننا نعلم من السياق اللغوى المعنى الذى يقصده من كلمة bank ، كما ندرك عامة معانى الكلمات على أساس من سياق آخر يعرف بالسياق المادى Physical context ، فإنك إذا شاهدت كلمة BANK على جدار مبنى فى مدينة ، فإن السياق المادى سيؤثر على تفسيرك ، ففهمنا لكثير مما نقرأ ونسمع مرتبط بالزمان والمكان اللذين يتعلقان بالألفاظ اللغوية

الألفاظ الإشارية Deictic expressions.

مع مزيد التواؤم ، فإن من ألفاظ اللغة ما لا يفسر إلا بمعرفة السياق المادى للمتكلم و السياق المادى على وجه الخصوص وهذه الكلمات مثل : هنا here ،و هناك there ،و هـذا this ،وذلك that ،و الآن now ،و بعد ذلك then ،وأمس yesterday بالإضافة إلى معظم الضمائر مثل أنا I،وأنت you ،وhim (ضمير المفعول للغائب) و her (ضمير المفعول للغائبة) them (ضمير المفعول للغائبين أو الغائبات) وبعض جمل الانجليزية من المستحيل بالفعلvirtually فهمها دون معرفة القائل ،وعمن يتحدث ومكان الحديث وزمانه ،وذلك مثل : عليهم جميعاً فعل ذلك غداً لأنهم الآن غائبون

They' ll have to do that tomorrow
Because they aren't here now

وبعيداً عن السياق ،فهذه الجملة فى غاية الغموض ، حيث تشتمل على عدد كبير من الألفاظ الإشارية (هم ، ذلك ، هنا ، غداً، الآن) التى تعتمد فى تفسيرها على السياق المادى المباشر الذى قيلت فيه وتعد هذه الألفاظ أمثلة واضحة على جوانب من اللغة لاتفهم إلا فى ضوء ما يقصده المتكلم ، فإن قالت قائلة (أود العمل هنا I like working here) فهل تقصد (فى هذا المكتب) أو(فى هذا المبنى) ، أو(فى هذا الجزء من المدينة) ، أو (فى هذا البلد) أو تقصد شيئاً آخر غير ذلك ، فكلمة مثل here هنا لفظ إشارى (وسيلة إشارية فى اللغة) لا يفسر إلاعلى حسب الموقع الذى قصدت القائلة الإشارة إليه .

الافتراض المسبق Presupposition

عندما تستعمل المتحدثة لفظاً إشارياً مثل here هنا فى ظروف عادية ، فإنها تتعامل مع فرض مسبق أن السامع يعلم المكان الذى تقصده ،وعامة ما يصمم

المتحدثون دائماً رسائلهم اللغوية على أساس افتراضات عما يعلمه السامعون ،وبالطبع تخطيء هذه الافتراضات ،ولكن تتضمن كثيراً مما نقوله في استعمالنا اليومي للغة ، فما يفترضه القائل أنه صحيح أو يعلمه السامع يعرف بالافتراض المسبق Presupposition ، فإذا أخبرك أحد بأن أخاك في انتظارك بالخارج

Your brother is waiting outside for you

فإنه يتضح لك افتراض مسبق أن لك أخاً ،وإذا سئلت: لماذا وصلت متأخراً ؟ فهناك افتراض مسبق أنك بالفعل وصلت متأخراً ،وإذا سئلت السؤال التالي:

متى أوقفت تدخين السيجار ؟

When did you stop smoking cigars ?

فسيتبين لك افتراضان مسبقان :-

فمن خلال هذا السؤال يفترض السائل أنك تعودت تدخين السيجار ،وأنك لم تدخن منذ مدة قصيرة ومثل هذه الأسئلة بافتراضاتها الكامنة فيها وسائل مفيدة للمحققين interrogators ورجال النيابة triallawers فإذا سئل المتهم defendant من قبل المحقق prosecutor

على أية حال ياسير سميث أين اشتريت الكوكايين ؟

Okey , Mr smith , where did you buy the Cocaine ?

والإفتراض المسبق هو أن السيد سميث في الواقع قد اشترى الكوكايين فإن أجاب هو ببساطة على الشق المكاني من السؤال بتحديد موقع فإنه بذلك يؤكد على صحة الافتراض المسبق .

ومن الاختبارات التي تستعمل للتأكد من الافتراضات المسبقة التي تتضمنها الجمل ، نفي جملة ذات افتراض مسبق معين ثم ننظر في مدى بقائه صحيحاً بعد ذلك ،و مثال ذلك جملة سيارتي ربك My car is wreck

وفي حالة النفي للجملة تصبح سيارتي ليست ريك My car is not wreck

لاحظ أنه على الرغم من تضاد الجملتين يبقى الافتراض المسبق صحيحاً في كليهما وهو : لديّ سيارة I have a car

مناحي الكلام speech acts

لقد استعرضنا بعض سبل تفسير معاني الجمل في ضوء ما يقصده قائلها ، أما الحقيقة التي ينبغي توضيحها فهي أننا عادة مانعرف ما ينتويه القائل منا أن نلم به (أونفس وظيفة مايقوله) من كلامه ،وعموماً فإننا ندرك عادة نوع الأسلوب الذي يؤديه المتكلم عند أدائه لجملة ،و يغطي استعمال مصطلح مناحي الكلام " الأساليب " مثل: الترجي ،و الأمر ،والسؤال و الإخبار إنها بالضبط الحالة التي تستعمل فيها الصيغ اللغوية التالية في الوظائف التالية (توصف الصيغ بالتحليل النحوي للغة ووصف مناحيها كما تبدو العبارات في استعمال الناس للغة)

Functions المناحي	Forms
استفهام Question	Did you eat the food ? هل تناولت الطعام؟
أمر (رجاء) command(request)	Eat the food (please) تناول الطعام (من فضلك)
خبر (جملة خبرية) statement	You ate the food أكلت الطعام

وعندما تستعمل تركيب صيغة مثل هل هو؟ ?did he أو هل هم؟ Are they? أوهل تستطيع؟ ? can you للسؤال فإن هذا يعرف بالمنحى المباشر للكلام ،فعلى سبيل المثال : عندما لايعلم المتكلم شيئاً ويسأل السامع ليعلمه فإنه يؤدى بالضبط منحى كلامياً مباشراً من النوع التالي :

هل تستطيع ركوب الدراجة ؟ Can you ride a bicycle ?

والآن قارن هذه العبارة بعبارة :أعطني الملح من فضلك Can you pass the salt?

هل يمكن أخذ الملح ؟ففى هذا المثال الثانى لاتفهم العبارة على أنها سؤال عن القدرة على فعل شيء ، ففى الحقيقة لاتتعامل بالمرة مع هذا بوصفه سؤالاً، بل بوصفه رجاءً وتؤدى الحدث بالترجى ،،ويتمثل هذا الترجى فى التركيب النحوى المرتبط بالسؤال ويعرف مثل هذا المثال بالحدث الكلامى غير المباشر فمتى استعملت تراكيب المجموعة السابقة لتؤدى وظائف أخرى سوى المبينة قرين كل منها فإن النتيجة منحى كلامى غير مباشر ،و للعبارة التالية تركيب يختص عادة بالجملة الخبرية .

تركت الباب مفتوحاً You left the door open

فإن قيلت هذه الجملة لشخص دخل لتوه حجرتك (والجو بارد جداً فى الخارج) فسوف تفهم على أنك لاتخبر ،بل ترجو ، فأنت ترجو بطريقة غير مباشرة أن يغلق الشخص الباب ،و بهذه الطريقة تعد مثالاً آخر على منحنى كلامى غير مباشر .

ومن الممكن بالطبع حدوث مواقف فكاهية نتيجة تغافل شخص عن إدراك المنحى الكلامى غير المباشر لشخص آخر وإليك المشهد التالى.:

أتى زائر لمدينة حاملاً حقيبته، يتلفت يمنة ويسرة استوقف أحد المارة قائلاً :

الزائر : معذرة، هل تعرف عنوان فندق الأمبسادور.؟

عابر السبيل : آه، بالتأكيد، أعرف مكانه (ثم واصل سيره) وفى هذا المشهد يستعمل الزائر تركيباً يخص الاستفهام (هل تعرف؟ ? Do you know) ويجيب عابر السبيل حرفياً على السؤال (....I know) وبدلاً من تلبية الرجاء رد عابر السبيل على السؤال فعامل المنحنى الكلامى غير المباشر كما لو كان مباشراً (حقيقة).

وربما كان التفريق القاطع بين استعمال هذين النوعين من مناحي الكلام قائماً على حقيقة مفادها أن الطلب غير المباشر أو الترجي ببساطة يؤدى في مجتمعنا بطريقة فيها من التهذيب والأدب ما ليس في الطلب المباشر، وتعد قدرتنا على تبين غرض مناحي الكلام مثالاً آخر على عملية التأويل التي تعتمد على المعنى الذى يقصده المتحدثون، وفي الفصل التالي نلقى الضوء على جوانب أخرى من هذه العملية .

الفصل الثاني عشر

تحليل الخطاب

من المسلم به أن الفن الحديث للترقيم الذي له بالتأكيد أصوله ، الذي درسه وأحكمه المحدثون لايؤخذ من الكلام ولكن تنظمه في الغالب قواعد النحو التي درسوها ، بمعنى أن أقساماً معينة من الكلام ترتب معاً ،و أقساماً أخرى تفصل بوقفات ، على حسب التركيب النحوي دون الإشارة غالباً لمواضع السكت في الخطاب .

توماس شريدان (١٧٨١)

ينشأ عن دراسة اللغة بعض المسائل المهمة فيما يتعلق بطريقة استعمال اللغة بقطع النظر عن مكوناتها ولقد استعرضنا بعضاً من تلك المسائل عند تناولنا للبراجماتية في الفصل السابق وبحثنا بالفعل كيف أن مستخدمي اللغة هم القادرون على تفسير مقاصد غيرهم من مستخدمي اللغة ، وبمزيد من البحث ومعرفة كيف أننا بوصفنا مستخدمين للغة نلم بما نقرأ من نصوص ،و نفهم مقاصد الكلام مهما يكن ،و نميز الموضوع المترابط في مقابل الموضوع المختلط أو غير المتناغم ، كما نشارك مشاركة إيجابية في ذلك النشاط المعقد " المحادثة " إن هذا كله هو ما يعرف بتحليل الخطاب .

تفسير الخطاب Interpreting discourse

عند تركيزنا على دراسة لغة بعينها ، نعنى بالتمثيل الدقيق للصيغ و التراكيب المستعملة في تلك اللغة ،و على أية حال فقدرتنا على استعمال اللغة تتجاوز مجرد تمييز الصحيح من الشاذ من الصيغ و التراكيب ومن خلال عنوان جريدة Trains collide , two die تصادم قطارين ، موت شخصين .

يمكننا أن نستنبط ونفهم أن بين العبارتين علاقة سببية و من خلال ما نجده على نوافذ المحلات صيغاً مثل :

No shoes , no service

نفهم علاقة شرطية بين العبارتين (إذا لم تكن منتعلاً ، فلن تتلقى أى خدمة) وأكثر من ذلك يمكننا أن نلم بأمثلة من النصوص الإنجليزية المكتوبة بلغة تكسر كثيراً من قواعد اللغة الإنجليزية ، وفيما يلى مثال من مقالة لطالب سعودى يتعلم الانجليزية تشتمل على الأخطاء بكل أنواعها ،و مع ذلك يمكننا أن نفهم :

مدينتى My town

MY TOWN

My natal was in a small town, very close to Riyadh capital of Saudi Arabia. The distant betweeen my town and Riyadh 7 miles exactly. The name of this Almasani that means in English Factories. It takes this name from the peopl's carrer. In my childhood I remmeber the people live. It was very simple, most the people was farmer.

وهذا المثال يلقى الضوء على نقطة مهمة تتعلق بتعاملنا مع لغة تشتمل على صيغ ملحونة فبدلاً من مجرد رفض النص الملحون ، نحاول أن نتفهمه بمعنى أن نحاول الوصول لتفسير معقول لما يقصده الكاتب (يزعم معظم الناس أنهم يفهمون كل الفهم لنص مدينتى" My town"وأهم العناصر التى تعنى بها دراسة الخطاب

هو أن تفهم (وأن تُفْهَم أيضاً) وأن تصل إلى تفسير ، ولكى نصل إلى تفسير ونجعل رسائلنا واضحة سنعتمد بالتأكيد على مانعرف عن الصيغة اللغوية والتركيب ،و لكننا بوصفنا مستخدمين للغة فإن معلوماتنا تتجاوز ذلك.

الترابط Cohesion

نعلم على سبيل المثال أن للنصوص تركيباً معيناً يعتمد على عوامل تختلف كل الاختلاف عن تلك العوامل اللازمة لتركيب جملة مفردة ويدرس بعض هذه العوامل تحت مصطلح الترابط Cohsion أو الروابط و العلائق بداخل النصوص ،و يمكن تبين بعض أنواع العلائق الترابطية فى النص التالى :

اشترى والدى سيارة لنكولن مكشوفة من كل بنس قدر على تدبيره ،و تعد هذه السيارة الآن ثروة ثمينة وبرغم ذلك فقد باعها لسداد مصروفات تعليمى بالكلية ،و كنت أرجو أن تكون لى هذه السيارة .

وقد أدت الضمائر هنا إلى نشأة روابط نزعم أنها تتضمن المرجع للناس نفسها والأشياء عينها من خلال:

(الأب– هو – هو – هو) my - my وأنا ، لنكولن ،هى ، و توجد روابط معجمية مثل لنكولن مكشوفة ، تلك السيارة المكشوفة و الروابط العامة التى تنشأ عن بعض المصطلحات التى تشترك فى جزء عام من المعنى (مثل النقود) ابتاع – ادخار – بنس – ثروة – باع – دفع ، (ومثل الزمن) ذات مرة – الآن – أحياناً، كما يوجد رابط يحددالعلاقة بين ما سيأتى وما قيل سابقاً ، فكل أزمنة الأفعال فى الجمل الأربع الأولى فى الماضى ، مما أوجد علاقة بين تلك الأحداث، كما أن الزمن الحالى للجملة الأخيرة يشير إلى وقت مغاير.

وتحليل عناصر الربط هذه داخل النص يعطينا فكرة عن كيفية نسج الكتاب لما يتتوون قوله،و تعد هذه العوامل مهمة فى حكمنا على عمل بجودة الكتابة أو رداءتها ،و مما تجدر الإشارة إليه أن معايير التركيب المترابط تختلف من لغة لأخرى ،و تمثل أحد مصادر الصعوبة فى ترجمة النصوص .

ومع ذلك فالترابط نفسه قد لا يكفى لتكون لنا قدرة على فهم مـاتقرأ ، فمن السهولة بمكان أن تنشيء نصاً محكماً به كثير من روابط الجمل ولكن يصعب معها تفسيرا لنص ، لاحظ أن النص التالى به روابط مثل :

لنكولن - السيارة ، أحمر - ذلك اللون ،

her - she ، خطابات -خطاب وهكذا .

اشترى والدى ، سيارة لنكولن مكشوفة ، سيارة البوليس حمراء .

وذلك اللون غير مناسب لها ،و هي تتكون من ثلاثة خطابات ومع ذلك فالخطاب ليس أسرع من مكالمة هاتفية .

يتضح من هذا المثال أن التلاحم Conne ctedness الذى لمسناه في تفسير النصوص المعتادة لا يعتمد أساساً على الروابط بين الكلمات فلا بد من عامل آخر يجعلنا نميز النصوص المترابطة الحاوية للمعانى من تلك التي لا معنى لها ، و يعرف هذا العامل بالتناغم coherence .

التناغم coherence

يتضح مفهوم التناغم بأنه شيء موجود فى الناس لا فى اللغة فالناس هم الذين يحددون معنى ما يقرأون و ما يسمعون ، فهم يحاولون الوصول لتفسير ينسجم مع خبرتهم بالكون ، و فى الواقع لا تمثل قدرتنا على تفهم ما نقرأ إلا جزءاً يسيراً من قدرتنا العامة على تفهم ما ندركه وما نكتسبه فى الحياة ، فأنت واجد عند قراءتك

للنص السابق أنك تحاول أن يتطابق النص مع بعض المواقف أو الخبرات التي تلائم التفاصيل كلها ، وإذا أطلت التعامل معه فستجد في الواقع وسيلة لضم كل تلك العناصر المفككة في تفسير واحد متناغم ، و لأجل ذلك يلزمك أن تملأ كثيراً من الفراغات التي بالنص ، و يلزمك أن تنشيء علاقات دلالية لا توجد في ظاهر الكلمات و الجمل ، و ليست هذه العملية مقصورة على محاولة فهم النصوص الشاذة و يبدو بطريقة أو بأخرى أنها تلزم في تفسيرنا لكل خطاب ومن المؤكد وجودها في تفسير الحادثة العارضة و دائماً ما نشارك فيما نتفاعل فيه من محادثات حيث أن كثيراً من المقصود لا يبدو في ظاهر القول ، و ربما كانت هي السهولة التي بها يحصل تفهمنا عادة لمقاصد الآخرين و هي التي تجعل هذه العملية المعقدة بأكملها غير ملحوظة بالمرة ، و إليك مثال جيد عن ويدوسون (١٩٧٨) :

نانسي : تليفون that is the telephone .

رون : أنا بالحمام . I'm in the bath

نانسي : وهو كذلك . O.K

ومن المؤكد ألا يوجد روابط تلاحم في هذه القطعة من الخطاب فكيف يمكن لهؤلاء الناس أن يتفهموا مايقول الآخرون ؟ إنهم بالفعل يفيدون مما يتاح من معلومات في الجمل المنطوقة ولكن لابد من وجود شيء آخر يتضمنه التفسير وقد بات مقترحاً أن تعبيرات هذا النوع تفهم فهماً صحيحاً في إطار المتعارف عليه من أعمال صادرة عن المتحدثين فيما بينهم من تفاعلات ،و بناءً على المفاهيم المنبثقة عن دراسة أحداث الكلام (كما في الفصل الحادي عشر) فيمكننا تحديد تلك المحادثة الوجيزة بالطريقة التالية :-

تطلب نانسي من رون أن يقوم بعمل ، ولكن يبدى رون سبباً لعدم استطاعته تلبية هذا الطلب ولذلك تتولى نانسي القيام بالعمل بدلاً منه فإذا كان ذلك تحليلاً

معقولاً لما كان في المحادثة ، فيتبين أن على مستخدمي اللغة الإلمام بصورة واسعة بدور التفاعل في المحادثة ذلك التفاعل ليس مجرد معرفة لغوية ، ولقد بات الوصول إلى دراسة جوانب تلك المعرفة من صميم البحث من قبل أعداد متزايدة من محللي الخطاب .

أحداث الكلام speech events

عند بحثنا عما يقع في المناقشة أو أي حدث كلامي آخر (مثل المناظرة و المقابلة وأنواع أخرى من المناقشات) ندرك سريعاً وجود اختلافات عديدة بين مايقوله الناس وما يفعلونه في مختلف الظروف ، ولكي نبدأ بدراسة مصدر ذلك الاختلاف ، فعلينا أن نضع في الحسبان عدداً من العوامل ، فعلى سبيل المثال علينا أن نحدد دور كل من المتكلم والسامع أو السامعين وعلاقاتهم وكأن يكونوا أصدقاء أو غرباء أو صغاراً أو كباراً ، أو من مركز متكافيء أو غير متكافيء وهكذا ، وسيكون لكل هذه العوامل الأثر الكبير على ما يقال و على كيفية القول ، وعلينا دراسة موضوع المحادثة وظروفها أو سياقها و سوف نناقش تفصيلاً بعض تأثيرات هذه العوامل على طريقة استعمال اللغة في الفصل العشرين ، و حتى بعد دراستنا لكل هذه العوامل ، ستبقى عند نقطة عدم تحليل التركيب الحقيقي للمحادثة نفسها ، و بوصفنا مستخدمين للغة في إطار ثقافة معينة فلدينا معرفة شاسعة عن أداء المحادثة .

تفاعل المحادثة Conversation interaction

يمكن تعريف المحادثة في الانجليزية ببساطة بأنها نشاط يتداول الحديث فيه شخصان أو أكثر من الناس و طبقاً لهذا التعريف فإن شخصاً واحداً يتحدث في وقت وتتخلل فترة صمت بين شخص وآخر (ولا يصدق ذلك في ثقافات أخرى

) فإن حاول أكثر من شخص التحدث في وقت واحد فإن أحدهم عادة ما يتوقف كما في المثال التالي ، حيث يتوقف A حتى ينتهي B .

أ . ألم تعلم أيـ

ب. ولكن سيكون هناك الساعة الثانية

أ . نعم ولكنك علمت إلى أين ذهب .

(والرمز يستعمل عرفاً للإشارة إلى موضع تداخل الحديث) وفي الغالب ما ينتظر المتحدثون حتى ينتهي أحدهم من حديثه ، عادة بالوصول إلى نقطة ختام ،و للمتحدثين وسائل عدة في إنهاء دورهم في الكلام ، كتوجيه سؤال مثلاً أو بالسكت في نهاية تركيب نحوي تام مثل عبارة أو جملة ، كما أن المشاركين يشيرون إلى رغبتهم في أخذ دورهم في الكلام بوسائل عدة ، كأن يبدأوا بعمل أصوات قصيرة عادة ما تتكرر مقاطعين من يتكلم ،و يستعمل غالباً حركات الجسم أو تعبيرات الوجه لبيان أن عندهم شيئاً يودون قوله .

وقد أوضحت الأبحاث في هذه الناحية من الخطاب توقعات متنوعة لأسلوب المحادثة ودرجات مختلفة من المشاركة في تفاعل المحادثة ،و تعد بعض هذه الدرجات المصدر لما يطلقه المتحدثون من (المقاطعة) (إذا أخذ متحدث يتكلم مقاطعاً متحدثاً آخر) أو الحياء (إذا ظل أحدهم منتظراً فرصة للحديث دون جدوى) ويوصف المتحدثون بأنهم مقاطعون أو ذو وحياء على حسب نوع المحادثة التي يشاركون فيها) ومن الدرجات الشائعة التي يستعملها أصحاب النفس الطويل أو الذين اعتادوا الخطابة holding thefloor (كالمحاضرين والساسة)

ما يتأسس على تجنب حدوث نقطة التمام الطبيعية ،و قد اعتدنا جميعاً على استعمال هذه الدرجة إلى حدما ، عادة ما تكون في مواقف نعمل فيها على بذل قصارى جهدنا لقول ما يقال بالفعل ، فإذا كان التوقع الطبيعي هو أن نقاط التمام

تتحدد بنهاية جملة أو بسكت ، فإن من وسائل الاحتفاظ بدورك فى الكلام هو تجنب حصول هذين المؤشرين معاً أى عدم السكت فى نهاية الجمل ، بل حافظ على استمرار جملك باستعمال الروابط مثل و،و بعد ذلك ،و لهذا ،و لكن ،و أن تجعل سكتاتك فى مواضع لا تكتمل فيها مقولتك ،و يحسن بك أن تملأ هذه السكتات بعلامات تردد مثل Ah , uh , em , er

لاحظ فى المثال التالى مواضع السكتات ، قبل الأفعال وبعدها بدلاً من وضعها فى نهاية الجمل :

أ . ذلك هو مطعمهم المفضل لأنهم .... يستمتعون بالطعام الفرنسي وعندما كانوا .... في فرنسا لم يصدقوا .... أنك تعلم أن لديهم .... وجبات أفضل في البيت .

وفي المثال التالى يصدر المتحدث ا سكتات ملأى بعد أن فقد دوره أولاً بعد ترددقصير .

أ – عظيم كان الفيلم حقا ... } لم يكن كما كان حسناً فى ...

ب– متى حصد

أ – أعني الآخر .. إم .. أن أفلامه الأخيرة كانت أكثر ... إر حقاً أكثر فى الأسلوب الروما نتيكي وأنها كانت أكثر وأكثر منه حين كان ... تعرف ... إم الأحسن فى الأداء .

ب – فمتى إذن عمل ذلك الفيلم ؟

ولا ينبغي أن ينظر إلى هذه المواقف في حد ذاتها على أنها غير مرغوب فيها أو بها استبداد .

فأنت واجدها فى محادثات معظم الناس وتعد من حيث دلالتها جزءاً من حيوية المناقشة ،و تعتبر هذه المؤشرات المهذبة وسائل لتنظيم اتجاهاتنا ولتباحث

العمل الصعب في التواصل الاجتماعي عن طريق اللغة ،و في الحقيقة فإن من أهم مظاهر خطاب المحادثة عامة التشارك وتعد هذه الملاحظة في الحقيقة أساس المحادثة .

مبدأ التشارك The co - operative principle

من المفترض ضمناً في معظم المحادثات المتبادلة أن المشاركين في الواقع يشارك بعضهم بعضاً ويلتزم هذا الأساس الذى يضاف إلى الأسس الأربعة Four maxims التي نتوقعها ،و قد سبق أن أشار إليها جريس (١٩٧٥) ويعرف مبدأ التشارك فيما يلي :

(شارك في المحادثة بالقدر المطلوب في الوقت الملائم بما يقبل من غرض أو اتجاه لتبادل الحديث المشغول به) ويدعم هذا المبدأ أربعة أسس هي :

الكلمة : لتكن مشاركتك مفيدة بالقدر المطلوب دون زيادة أو نقصان .

الكيف : لاتتفوه بما تعتقد بطلانه ، أو بما يعوزك الدليل عليه .

الموضوعية : كن موضوعياً

الطريقة : كن واضحاً وموجزاً ومرتباً .

ومن المؤكد بالمناسبة أننا نلم بتبادل المحادثة في غيبة مبدأ التشارك ،و مع ذلك فهذا الوصف العام للتوقعات العادية في المحادثات تعين على تفسير عدد من الملامح القياسية لطرائق تعبير الناس عن الأشياء ، فعلى سبيل المثال فإن بعض التعبيرات الشائعة مثل : عظيم ، لنختصر قصة طويلة ،و لا أود أن أشغلك بكل التفصيلات ، تعد مؤشرات للوعي بمبدأ الكم ،و يكمن بعض الوعي بأهمية مبدأ الكيف وراء الوسيلة التي نبدأ بها بعض مشاركات محادثاتنا بتعبيرات مثل :

حسب معلوماتي ،و الآن ، صوبني إن أخطأت ،و لست متأكداً كل التأكد ولكن ..... وغالباً ما نحتاط في كلامنا لنشير إلى أن ما نقرره هو مانفكر فيه أو ما

نشعر به (لاما نعرفه) وأنه ممكن أو محتمل (ليس بالتأكيد) وقد يقع أو يجوز (لا يجب) ومن ثم فإن الفرق بين قولك : جون مريض ،و قولك :

أظن أنه من الممكن أن يكون جون مريضاً هو أنه في العبارة الأولى سيتوفر لدينا انطباع واضح عن مضمون الخبر .

وبمراعاة مبدأ التشارك سيكون من الوضوح بمكان كيف أن أجوبة معينة لأسئلتنا تبدو في الظاهر غير ملائمة ،و يمكن في الواقع تفسيرها ،و إليك هذه القطعة من محادثة :-

كارول : هل ستأتي الحفلة هذه الليلة ؟

لورا : لدى امتحان في الغد .

في الظاهر لا تبدو عبارة لورا إجابة على سؤال كارول فلم تجب لورا بنعم أولا ،و مع ذلك فإن كارول يفسر العبارة على معنى النفي (لا) أو (يحتمل لا) ، كيف تقيم هذه المقدرة على تفهم معنى من جملة تعني حرفياً شيئاً آخر ؟ ويبدو أنه يعتمد على الأقل على استنتاج أن لورا موضوعية relevant ،و ذات إفادة Inf ormative (لتلم بهذه النقطة ، تخيل رد فعل كارول إذا ما قالت لورا له شيئاً مثل : " الزهور حمراء ، تعرف") وبناءً على أن الإجابات تشتمل معلومات موضوعية ، فإن كارول سيفهم أن (امتحان في الغد) يستلزم عرفاً (مذاكرة هذه الليلة) وأن (مذاكرة هذه الليلة) تعارض (حفلة هذه الليلة) ،و لهذا فليست إجابة لورا مجرد تعبير عن أنشطة في الغد ، بل تحوى فيها التضمن Implicature (وهو معنى توصيل إضافي) الذي يتعلق بأنشطة هذه الليلة .

ومن اللافت للنظر أنه لكي تصف تضمن المحادثة في عبارة لورا سنعود إلى بعد معرفي (عن الامتحانات ،و المذاكرة و الاحتفال) التي لابد أن يشارك بها

المتحادثون ،و الوسائل التي نستعمل فيها البعد المعرفي للوصول إلى تفسيرات للخطاب محل اهتمام كثير من البحوث الحديثة .

البعد المعرفي BacKground knowledge

إن أفضل مثال على عمليات استعمال البعد المعرفي قد عرضه سانفورد وجارود (١٩٨١) حيث يبدأ مثالهما بهاتين الجملتين :-

كان جون في طريقه إلى المدرسة يوم الجمعة الماضي .

كان قلقاً حقاً بشأن درس الرياضات .

لقد أفاد معظم الذين طلب منهم أن يقرأوا هاتين الجملتين أنهم حسبوا جون تلميذاً بالمدرسة ،و لأن هذا القدر من المعلومات لم يذكر مباشرة في النص فإنه يعرف بالاستدلال Inference .

وأما الاستدلالات الأخرى لقراء آخرين فكانت أن جون كان يمشي أو أنه كان راكباً الحافلة ،و يتضح انبثاق هذه الاستدلالات مما تعارفنا عليه من معلومات في ثقافتنا ، فيما يتعلق بالذهاب للمدرسة ،و لم يفكر أحد من القراء في أن جون كان يسبح أو كان يركب القارب على الرغم من أن ذلك من التفسيرات الممكنة بالفعل .

و من الجوانب المهمة لما قيل من استدلالات هو أنها تعامل بوصفها تفسيرات محتملة أو ممكنة ، عادة ما يتجنبها القراء إذا لم يسعفهم مزيد من المعلومات ، و الجملة التالية في النص على النحو التالي :-

في الأسبوع الماضي لم يكن قادراً على السيطرة على الفصل .

للإلمام بهذه الجملة قرر معظم القراء أن جون في الواقع مدرس و أنه غير سعيد ، و قرر كثيرون أنه يحتمل أن يكون سائقاً سيارة إلى المدرسة ، ثم تأتي الجملة التالية :-

ليس من العدل من مدرس الرياضيات أن يحمله المسئولية . و فجأة يعود جون إلى وضعه طالباً بالمدرسة مع تجنب استدلال " مدرس " ، و تشتمل الجملة الأخيرة على مفاجأة :

و بعد كل ذلك ، فليس ذلك من واجبات بواب .

و يعد بالطبع هذا النوع من النصوص و طريقة تقديمه ، جملة واحدة في كل مرة ، نصاً مصنوعاً ، و تمدنا التدريبات ببعض المعرفة عن الوسائل التي بها نبني تفسيرات ما نقرأ باستعمال معلومات أكثر بكثير مما تتضمنه الكلمات في الصفحة ، و هذا يعني أننا نستنبط فحوى النص ، بناءً على توقعاتنا لما يحدث عادةً ، و في محاولة لوصف هذه الظاهرة يستعمل كثير من الباحثين مفهوم التخطيط Schemata ، و يعرف التخطيط بأنه ما نتعارف عليه من أبنية المعلومات الكامنة في الذاكرة و التي تنشط تحت ظروف مختلفة في تفسير ما نصادفه ، و بوضوح، لنا تخطيطات مختلفة عن المطعم نستعملها حتماً في تفسير جانب من الخطاب كما يلي :-

في محاولة لعدم التغيب طويلاً عن المكتب ، ذهبت أنديرا إلى أقرب مطعم ، فجلست و طلبت (ساندويتش) ، و كان المطعم مزدحما كل الازدحام ، و لكن الخدمة كانت سريعة ، و بعودتها سريعاً ثانية لعملها تركت عنها انطباعاً طيباً .

بناءً على تخطيط (المطعم) في مقدورنا أن نعدد أشياء عن المشهد و الأحداث التي ذكرت بإيجاز في هذا النص القصير فعلى سبيل المثال ، على الرغم من أن النص لم يشتمل على هذه المعلومات فيمكننا أن نزعم أن أنديرا فتحت باباً لتدخل المطعم و كانت هناك مناضد ، و أنها أكلت الساندوتش ، ثم دفعت ثمنه ، و هكذا ، و تقليب هذه المعلومات في محاولة الناس لتذكر النص دليل آخر على وجود

التخطيط ، و هو أيضاً مؤشر جيد إلى أن فهمنا لما نقرأ لا ينشأ مباشرة عن الكلمات و الجمل في الصفحة و لكن ينشأ عما نبدعه في عقولنا من تفسير لما نقرأ

و قد كان لهذه النظرية عن طبيعة فهم الخطاب تأثير كبير في الجهود المتعلقة بمحاولات استعمال الحاسبات الآلية في معالجة مادة اللغات الطبيعية ، و نظراً لما استقر من أن الوسيلة التي نتواصل بها عن طريق اللغة تتأسس على كم هائل من أبعاد معرفية افتراضية ليست عن اللغة فحسب ، بل عن وضع العالم ، فقد نشأت مشكلة أساسية و هي كيفية تغذية الحاسبات بهذه المعرفة ، و بحث هذا المجال هو موضوع الفصل التالي .

الفصل الثالث عشر

اللغة و الآلات

ذات ليلة حالكة عثر ضابط على سكران
، قد جثا على ركبته يبحث عن شيء ما
في ضوء مصباح ،و قد أخبر الضابط أنه
يبحث عن مفاتيحه التي ذكر أنه فقدها "
هناك " مشيراً إلى الظلام ، فسأله الضابط
" إذا كنت قد فقدت المفاتيح هناك ،
فلماذا تبحث عنها في ضوء الشارع
فأجابه السكران : " لأن الضوء هنا قوى
منتشر " وذلك ما يسلكه العلم أيضاً .

جوزيف و ويزنبوم (١٩٧٦)

في عام ١٧٣٨ ، أنتج جاك دي فوكانسون بطة آلية بارعة كانت تقوم بعجيب الحركات فتشرب الماء وتتناول الحبوب التي تهضمها ثم تخرجها بواسطة عملية كيميائية مدهشة ،و بعض الأنابيب المعقدة في معدتها ،و هذه الأعجوبة الميكانيكية ما هي إلا مثال واحد في سلسلة طويلة من (الآلات) ، التي أبدعها الإنسان ليحاكي بها الكائنات الحية ،و الممتع في آلة فوكانسون أنها تحاكي الهضم دون أن تكون نسخة طبق الأصل من الجهاز الهضمي ،و تعد محاولة للتعامل مع المتاح من التقنيات لإبداع نموذج لبعض العمليات الداخلية في البطة ،و لاحظ أن ذلك مجرد نموذج وليس صورة طبق الأصل ،و هذه نقطة مهمة فليس هدف الكثير من هذه المحاولات أن يقلد دقائق عملية داخلية و لكن أن تصل إلى نتيجة لاتفرقها عن النتيجة التي تحصل عليها من الشيء الحقيقي،وعلى كل الاعتبارات فإن تخرج البطة بعر كما لو كان حقيقياً وعلى الرغم من ذلك فإن النتيجة التي نحن بصددها

ناشئة عن معالجة آلة للغة طبيعية ، أو بمعنى أدق حاسوب ،و من الضروري التأكيد على أنها لغة (طبيعية) (مثل الانجليزية) لا لغة اصطناعية (مثل الفورتران) ويعود ذلك إلى مقدرة الإنسان على استعمال اللغة القابلة للنمذجة .

تصنيع الكلام Speech synthesis

من السمات الأساسية في اللغة الطبيعية القابلة للنمذجة ، المخارج الحقيقية لأصوات الكلام ،و النماذج الأولى للآلات الناطقة كانت في المقام الأول أجهزة تحاكي آلياً أداء الجهاز الصوتي للإنسان وقد تبع ذلك كثير من المحاولات الحديثة لتخليق الكلام الكترونياً وهو ما يعرف (بتصنيع الكلام) وقد يبدو ذلك سهلاً للوهلة الأولى ، فما عليك إلا أن تحدد مجموعة الفونيمات في الانجليزية ، ثم بالإعادة الكترونيا لإنتاج خصائص هذه الأصوات الفيزيائية ثم اختر تلك الفونيمات التي تكون نطق كلمة ثم أدر الكلمة ،و بينما نلاحظ صعوبة هذا ،و ليس بالسهولة التي يعرضها هذا الوصف المقتضب ،فإن الكلام الاصطناعي قد تنتج حقاً بهذه الطريقة ، ولكن بأصوات مرتعشة و قد أنتجت آلات تحلل الخصائص الفيزيائية الأساسية للكلمات المنطوقة (ليست أصواتاً مفردة)ثم تخزن المعلومات النطقية على مستوى الكلمة ، وفي أماكن عدة من الولايات المتحدة ،عندما تستعلم عن معلومات مباشرة عن رقم هاتف فإن الرقم المنطوق(سبعة أرقام)الذي تسمعه مثال لمنتج صناعي لمجموعة من سبع كلمات.

وعلى أي حال ،ففي محاولة لمزيد من التقدم في هذه الاتجاه لإنتاج عبارات وجمل من الكلام الاصطناعي ،فإن على الباحثين أن يضعوا في الحسبان عدة عوامل سوى نطق كلمات مفردة ،كما يشمل ذلك مراعاة التنغيم والسكت على سبيل المثال ، بالإضافة إلى قواعد التركيب اللازمة لتكوين جمل اللغة الطبيعية كما ينبغي

الاعتناء بمراعاة العمليات الطبيعية كالمماثلة والترخيم (كما في فصل ٦)وجاءت نتائج الأبحاث في هذا المجال، حيث طورت نماذج أكثر تعقيداً لإنتاج الكلام، وتحقق الكلام الاصطناعي بأصوات طبيعية للغاية ، وبرغم النجاح الهائل لتطوير تصنيع الكلام ،فإن ذلك يقف عند حد إنتاج نموذج لمخارج الكلام، وليس نموذجاً للتحدث فإن نشاط الإنسان في التحدث يتضمن شيئاً يقال ،وليس مجرد وسيلة لقوله ،ووجود شئ يقال يعود إلى العمليات العقلية للإنسان ، ومحاولة نمذجة هذه العلاقة يستلزم نمذجة الذكاء .

الذكاء الاصطناعي Artificial intelligence

إن البحث في نماذج السلوك الذكي وتطويره يندرج عامة في مجال (الذكاء الاصطناعي) Artificial intelligentce (AI) والذى يعرف بأنه "العلم الذى يجعل الآلة تؤدى أشياء بقدر الذكاء الذى يؤديها به الإنسان " (منسكاى ١٩٦٨)ويشمل هذا المجال عدداً هائلاً من الموضوعات (مثل حل المشكلات،ممارسة الألعاب، الإدراك البصرى) ولكن مع اعتبار إنتاج اللغة وفهمها مجالاً رئيساً للبحث ، وبينما يعد إنتاج حاسب آلى يقوم بدور المحادث هدفاً محدداً ، فقد تكرست معظم الأبحاث لتطوير نماذج تتوافق مع التفاعل اللغوى الحادث في وحدة الحاسبات ،ويترتب على ذلك أن وصف المحادثات في هذا المجال يشير بالتحديد إلى الحوار المكتوب فضلاً عن المنطوق .

دوال الإعراب parsers

من أهم التطورات في منهج الذكاء الاصطناعى نحو التعامل مع لغة طبيعية كاللغة الانجليزية ،إنتاج وسيلة لإعراب الجمل الانجليزية ، وهذا في الأساس عملية تعامل من اليسار إلى اليمين مع دفق الجملة الانجليزية ، لخلق تحليل للتركيب

النحوى ، وتوقع لما يلى من عناصر ،وقد تطور عدد من مختلف أنواع دوال الإعراب ولكن الوصف السريع لأحد الأنواع الأساسية ، يوضح العمليات المهمة اللازمة لتحليل جملة بسيطة ، مثل ركل الولد الكرة ، وتبدأ دالة الإعراب بتعيين موقع الجملة في دفق سلسلة الأشكال اللغوية ، ثم بتوقع أن المكون الرئيس الأول هو العبارة الاسمية ،وأول عنصر فيها هو(أل) الذى يتحقق منه فى المعاجم ليتطابق مع فصيلة " الأداة " (العنصر الأول المتوقع فى عبارة اسمية) ثم بعد هذا التحديد فإن دالة الإعراب تتوقع احتمال أن يكون العنصر التالى يطابق فصيلة "الصفة"وبالتحقق من كلمة (ولد) يتبين أنها ليست صفة ، فيتحقق منها على مستوى الفصيلة التالية المتوقعة وهى (الاسم) فيتبين صحة ذلك ، وهنا يكمل تمييز العبارة الاسمية (الذىيعين التسمية الوظيفية "الفاعل") ثم تواصل دالة الإعراب قدماً لتتحقق من المكون التالى باحثة عن كلمة تطابق فصيلة (الفعل) وهكذا ،وكما تعين دالة الإعراب الفصائل النحوية لعناصر المنظومة اللغوية ، فإنها تأخذ فى إنتاج تحليل دلالى ،فالفعل (ركل) هو الحدث والعبارة الاسمية التى تتلوه (الكرة) هى مفعول الحدث ، وهذا النموذج الذى هو فى غاية البساطة عن دور دالة الإعراب ، يوضح كيف أن الحاسب الآلى بنحو محدود ، ومعجم ، وبمجموعة عمليات يمكنه إنتاج وصف لغوى لبعض الجمل البسيطة التى يستقبلها .

وعلى أية حال فهذا النوع من التحليل يعد بدائياً للغاية وخطوة أولى فى عملية فهم الجملة ،ولأجل المضى قدماً ،فإن الآلة تتطلب (معرفة) استعمالات كلمات مثل ولد، ركل، كرة، وكيف أن أداة مثل the أل تشير إلى شئ مختلف عما تشير إليه الأداة a فإن كان على الآلة أن تعمل بأى مشابهة لنظام الفاهم الذكى الذى يجرى فى مخ الإنسان ،ففى هذه الحالة يلزمها بعض (المعرفة) عن طبيعة العالم، حيث يلزمها أن تعرف على سبيل المثال أن الولد استعمل قدمه على الرغم من عدم

وجود هذه المعلومات في الجملة، ويقل أن تكون مشاكل النمذجة متعلقة بمجالات لغوية للنحو والدلالة الأساسية بقدر ماهي مشاكل استيعاب الكم الهائل من (معرفة العالم) التي فيما يبدو يلم بها الناس ،ويعد تطوير برامج الحاسب الآلي التي يمكن أن تزيد هذا النوع من المعرفة هو المفتاح لخلق مايطلق عليه عامة (أنظمة الفهم) أو الآلات التي تتصرف في الواقع كما لو كانت فاهمة لما تستقبله من مدخلات لغوية

أنظمة الفهم Under stander - systems

من المستحيل تسجيل العدد الهائل من أنظمة الفهم التي تطورت خلال العقدين الأخيرين ،وكل ما يمكننا عمله هو استعراض أعمال اثنين من هذه الأنظمة والإشارة لبعض خصائصها الإيجابية ، ولنبدأ بمثال عن كيفية نتاج ضلالات الفهم **Illusion** .

اليزا Eliza

كان الغرض من البرنامج المسمى اليزا أن يشابه أو يحاكي دور المعالج النفسي في نوع بعينه من التحليل النفسي غير المباشر حيث يجلس المريض في وحدة حاسب آلي ويكتب من ناحيته ما يشعر به ،ويستقبل الإجابات المناسبة ،وقد يشتمل الحوار الناتج على تبادلات مثل:

المريض : أشعر بإرهاق شديد .

المحلل : لماذا تفكر في أنك تشعر بإرهاق شديد .

ويمكن من الاستجابة المذكورة هنا ،استنباط ملمح أساسي في برنامج المحلل ،فالاستجابة ، مبنية على أساس من عملية إدراك النمط حيث يؤدى وقوع كلمة فاتحة أو عبارة فاتحة في الكلام المريض إلى تنشيط نوع بعينه من نمط الجملة سابقة التحديد (عامة سؤال)

يتصل بالكلمة أو العبارة الفاتحة ،و تعطى بعض الروابط المحددة بين كلمات فاتحة معينة القوة للبرنامج لإنتاج استجابات أكثر عمومية عن ملاحظات خاصة ، لاحظ الرابطة بين أم ،و عائلة فى هذا الحوار :-

المريض : أحتاج بعض المساعدة .

المحلل : ماذا يعنى لك لو حصلت على بعض المساعدة .

المريض : ربما أتعلم التفاهم مع والدتى .

المحلل : أخبرنى أكثر عن عائلتك .

وهذا فبمجموعة بسيطة من التراكيب اللغوية ، يعطى لك البرنامج من خلال استجاباته انطباعاً عن تفكير إلى حدما ، فإذا كانت استجابة المريض صعبة الفهم فإن المحلل يصدر عدداً من التعبيرات الاحتياطية نحو : وهو كذلك I see ، أو هذا مدهش ، أو استمر ، ويعتقد كثير من الناس أن برنامج إليزا وسيلة عظيمة النفع لتقديم العلاج النفسى (قدم ويزنبوم (١٩٧٦) أسبابه عن الكثير عن مخترعه الأصلى) وفى الحقيقة تطورت واستعملت برامج كثيرة متنوعة .

على الرغم من أن برنامج اليزا يقدم رؤية مدهشة عن كيفية عمل أحد أنواع العلاج النفسى فهو يقدم رؤى محدودة للغاية عن الوسيلة التى تفاعل بها اللغة مع المعرفة و الفهم ،و ببساطة شديدة فبرنامج اليزا لا " يفسر " المادة اللغوية التى يستقبلها أو ينتجها ،و من باب أولى ليس لديه فهم عما يجرى فى المحادثة ،و يتضح ذلك عندما يحاول الإنسان فى الواقع أن يتفاعل أكثر مع المحلل ، كما فى مناقشة مشكلة للمريض :

المريض : الآن عدد هائل من الأطفال فى مكان فى غاية الضيق .

المحلل : هل هذا صحيح ؟

المريض : نعم .

المحلل : أعطنى مثالاً .

المريض : عماذا ؟

المحلل : وهو كذلك .

المريض : لا لا تفعل .

المحلل : هل يمكنك أن تفصل .

المريض : على ماذا .

ويرغم أن برنامج اليزا ليس مثالاً جيداً للنظام الفاهم ، فهو يبدى إمكانية العمل حاسوبياً مع مجموعات صغيرة فرعية من اللغة ،و عالم مرجعى محدود للغاية و بإمداد الآلة بعدد محدود للغاية من الأشياء لتتكلم عنها قد نتجنب ضلال الفهم ،و من أفضل الأمثلة المعروفة لهذا النوع من النظام يطلق عليه شردلو SHRDLU

شردلو SHRDLU

فى هذا البرنامج عالم محدود من الصناديق و الأجسام الملونة و أشكال أخرى على المائدة ،و ما يحدث هو مناقشة كل ذلك ،و يمكن لتلك المناقشة بين الآلة والإنسان أن تكون تلقائية وتتضمن أمثلة واضحة مما يمكن أن يطلق عليه التفكير الاستنتاجى Deductive reasoning فيما يخص الآلة ، كما يمكن للآلة أن تلبى طلبات الإنسان لتحريك أشياء فى محيط عالمها ، فإذا لم يكن الإنسان محدداً فيما يشير إليه من أشياء ، فإن الآلة قادرة على الاستيضاح ،و فى المثال التالى يوجد ثلاثة أهرامات فى مجال الرؤية :-

الإنسان : أمسك الهرم .

الآلة : لا أدرى أى هرم تعنى

كما أن الآلة تعي ما تحرك ، و تجيب أسئلة عمّا حدث (أى لها ذاكرة) وعن مكان الأشياء في أى لحظة ، كما فى هذه القطعة :

الإنسان : ماذا يحوى الصندوق ؟

الآلة : الهرم الأزرق والجسم الأزرق .

وأبرز جوانب برنامج شردلو ما يتصل بقدرته على معالجة ما تعنيه المشاركة اللغوية للإنسان من وجهة نظر عالمه ،و له كفاءة كشف المستغلق من التعبيرات اللغوية المعقدة (من خلال الدالة الإعرابية النحوية و الدلالة) بطريق لا تتوفر لبرنامج اليزا ،و إليك مثالاً جيداً عن نوع من الجمل المعقدة التى يحولها البرنامج إلى حدث ، بالإضافة إلى الإشارة إلى إستراتيجيته التى يوظفها ليحدد بها مرجع الضمائر .

الإنسان : أوجد الجسم الأطول مما تمسك به ثم ضعه فى الصندوق .

الآلة : أزعم أنك تقصد بكلمة (it) الجسم الأطول مما أمسك به وهو كذلك.

والتعبير البسيط ok يستعمله البرنامج لبيان أنه يقوم بالحدث المطلوب ،و لبرنامج SHRDLU فى داخل عالمه المرجعى المحدود ، بعض المشكلات فيما يتعلق بالاتجاهات الغامضة بالفعل مثل :

ضع الهرم الأزرق على الجسم فى الصندوق ،و المشكلة تكمن هنا فى أنه لا يعلم ما إذا كان الهرم فوق الجسم بداية ، أو أن الجسم بداية فى الصندوق ،و يمكن للبرنامج أن يخمن حالة العلاقات State of affairs فى عالمه ليقرر أى معنى أقرب .

وأعظم ميزة فيما يتصل بمعرفة الفهم بالنسبة لعالم صغير كالذى يتمتع به هذا البرنامج تصبح فى الواقع أكبر قصور بوصفه نموذجاً لتفاعل الإنسان اللغوى ، فالإنسان يجرى باقتدار قواعد داخل ميادين محدودة بالقياس إلى عالم الأجسام،

ولكنهم يعتادون أكثر على التعامل مع معقد الخطط والأهداف ، ويجوبون آفاقاً أرحب من المعتقدات و المعرفة الناشئة عن تفسيرهم للغة ،و قد تطورت برامج أخرى تحاول نمذجة كثير من هذه الجوانب الأخرى ،و لكن ظلت المشكلة قائمة من جراء القصور في البعد المعرفي **Background knowledge** .

ومن الصواب أن تطوير برامج أكثر تعقيداً لنمذجة الذكاء البشرى العام (فيما يتصل باللغة) ينشأ عن تكامل عدد من مختلف الأجهزة الفرعية يعمل كل منها في ميادين محدودة من المعرفة الفائقة ولهذا فإن نظام الفاهم الشامل في عقل شخص يعمل وكيلاً سياحياً ، يجب أن يأكل في المطاعم ،و يقرأ الجرائد ،و القصص القصيرة ، ويمكنه التحدث بجدارة عن حفلات أعياد الميلاد ، مثل هذا النظام يمكن نمذجته بتكامل كل هذه المكونات المنفصلة من المعرفة التخصصية)

(توجد برامج بالفعل منفصلة لكل مجال من المجالات التخصصية في فهم اللغة)

وربما كان الأهم تطوير قدرة إحصائية عامة لا تعمل من خلال مخزون ثابت من البعد المعرفي ولكن لتعلم من خلال تفاعل لغوى ولتطور شبكة ديناميكية من الأبنية اللغوية (تخلق في الواقع نوع التخطيط الذى ناقشناه في الفصل ١٢) ويبدو أن حدود هذا النوع من التطوير يرتبط على الأقل في جانب منه بالحدود الموجودة في فهمنا الخاص عن كيفية تشغيلنا بوصفنا آلات لغوية ذات كفاءة عقلية ،و بدراسة طبيعة اللغة ومحاولة إيجاد نماذج عما يجرى في تفكيرنا ، فإننا سنتمكن لا محالة من فهم عمليات برنامجنا العقلي الخاص .

وإذا أعانت برامج الحاسب مجازياً في تمييز الأسس العقلية لجوانب فهم اللغة فلا ينبغي لنا أن نغفل حقيقة أن المطلوب أيضاً عدد معين من العقول الآلية Hardware وذلك العقل أومخ الإنسان هو موضوع الفصل التالي .

الفصل الرابع عشر

اللغة و الدماغ

صدرت زلقة لسان معبرة أصابت كبد الحقيقة ولا أود أن أتجاهلها فقد أبدت سيدة رأيها القائل في حفل اجتماعي، وتبين الكلمات أنها قيلت بحماس وتحت ضغط بعض الدوافع الخفية " تحب على المرأة أن تبدو رائعة، كم تسعد الرجال، والرجل أفضل حالاً، فما دام يتمتع بأوصاله الخمسة فلا يحتاج بعد ذلك لشئ ".

سيجموند فرويد (١٩١٠)

تعرضنا في الفصول السابقة بشئ من التفصيل للملامح المتعددة للغة التي يستعملها الناس لإنتاج الرسائل اللغوية وفهمها فأين تكمن هذه القدرة على استعمال اللغة؟ فإن كان الجواب ببساطة "في الرأس أو المخ " فكيف تفسر إذن حالة فينيس جاج؟

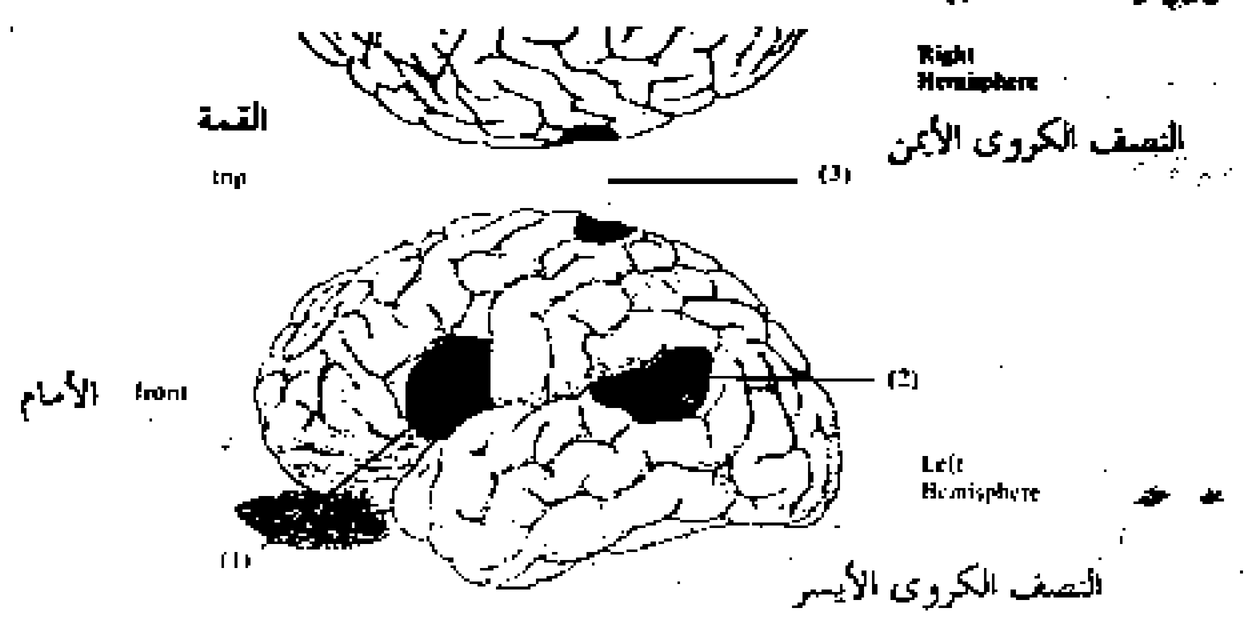
ففي سبتمبر ١٨٤٨ وبالقرب من كافنديش وفيرمونت، كان هناك كبير عمال البناء ويدعى فينيس جاج وكان مسئولاً عن طاقم البناء وتفجير صخور لعمل فرع جديد لخط السكك الحديدية وبينما يدفع فينيس قضيب الدك الحديد في فتحة التفجير في إحدى الصخور انفجر مصادفة بعض البارود وقذفت قضيب الدك الحديد وطوله ثلاثة أقدام ونصف فأصاب أيسر فكه العلوى وخرج من أعلى جبهته ، ثم سقط القضيب على بعد خمسين ياردة، وقد عاني فينيس إصابة بالغة

قد لا يبرأ منها أحد ومع ذلك فقد شفي فينيس بعد حوالي شهر دونما تدهور ملحوظ في حواسه أو كلامه .

والبرهان الطبي واضح وهو أن قضيباً معدنياً ضخماً قد اخترق الجزء الأمامي من مخ السيد حاج ولكن قدراته اللغوية لم تتأثر والعبرة من هذه القصة العجيبة إذا كانت المقدرة اللغوية تقع في المخ، هي أنها لا تقع مباشرة في مقدمته.

أجزاء الدماغ Parts of the rain

ومنذ زمن فينيس سجل عدد من الاكتشافات عن المناطق الخاصة في المخ التي تتعلق بوظائف اللغة ولتناول ذلك بإسهاب فنحن بحاجة لدراسة مادة الدماغ السنجابية grey matter ومن ثم فخذ رأساً واحلق الشعر وأزل فروة الرأس وعظم الجمجمة ثم افصل من عنق المخ (الذى يصل المخ بالحبل الشوكي) ثم اقطع الجسم الجاسئ corpus callosum (الذى يصل بين النصفين الكرويين) وإذا لم نلحظ كمية معينة من مادة أخرى، سنجد أنفسنا أساساً أمام جزئين النصف الكروى الأيسر والنصف الكروى الأيمن، فإذا وضعنا النصف الكروى الأيسر لأخذ منظر جانبي ورفعنا النصف الكروى الأيمن لأعلى بحيث تلتقي قمتا النصفين الكرويين سنجد منظراً أقرب إلى الشكل المبين في الرسم المرفق (بتصرف من بنفيلد ، وروبرت ١٩٥٩).



وتشير المناطق المظللة في هذا التوضيح إلى المراكز العامة لوظائف اللغة، وقد استطعنا معرفة مواقع هذه المناطق من خلال الفحص التشريحي autopsies لأمخاخ أناس عانوا في حياتهم من عجز لغوى معين، بمعنى أننا حددنا مواضع القدرات اللغوية في الأشخاص الأسوياء لأن الذين يعانون من عجز لغوى لديهم إصابة في تلك المواضع الخاصة من المخ، ويمكن فيما يلى بيان المناطق الثلاث.

منطقة بروكا Broca's area

يتبين من (١) في الصورة الإيضاحية ما يعرف فنياً بقشرة الكلام الأمامية أو بالتسمية الشائعة منطقة بروكا Broca's area، وقد كان بول بروكا جراحاً فرنسياً أعلن في ستينيات القرن التاسع عشر أن إصابة هذا الجزء الخاص من المخ له علاقة بالصعوبة الشديدة في إنتاج الكلام وقد لوحظ أن إصابة المنطقة المقابلة على النصف الكروى الأيمن لا يؤدى إلى التأثير نفسه، واستخلصت هذه النتيجة أولاً للزعم بأن القدرة اللغوية يلزم أن تتركز في النصف الكروى الأيسر ومنذ ذلك الوقت استقر بوضوح في الأذهان أن منطقة بروكا لا محالة مسئولة عن إنتاج الكلام .

منطقة ڤيرنك Wernicke's area

يتبين أن (٢) في الصورة التوضيحية يمثل قشرة الكلام الخلفية أو منطقة فيرنك وكارل ڤيرنك طبيب ألماني سجل في سبعينيات القرن التاسع عشر أن إصابة هذا الجزء من المخ كانت لدى مرضى يعانون من صعوبات فهم الكلام، وقد أكدت هذه النتيجة أن موضع القدرة اللغوية بالنصف الكروى الأيسر كما أدت إلى نظرية أن منطقة ڤيرنك جزء من الدماغ مسئول لا محالة عن فهم الكلام .

المنطقة الحركية المساعدة Supplementary motor area

يشير رقم (٣) في الصـورة الإيضاحية إلى قشرة الكـلام العليا أو مـا يعرف بالمنطقة الحركية المساعدة ، ويستدل على دور هذه المنطقة في مخارج الكلام المادية الحقيقية من البحث المنشور في الخمسينيات لاثنين مـن جراحي المخ والأعصـاب بنفيلد وروبرت، فقد وجد هذان الباحثان أنه بعد تسليط مقادير ضئيلة مـن التيار الكهربي عل مناطق معينة في الدماغ تبينت لهم هـذه المناطق حيث يـؤدي الحث الكهربي لهـا إلى التدخل في الإنتاج الطبيعي للكلام، ونظراً لأن رقـم (٣) فـي الصورة الإيضاحية قريب للغاية من شق تتوزع على طوله مراكز التحكم فـي كثير من الأنشطة الحركية (تحريك الأيدي، والأقدام والأذرع ... إلخ) فمن المعقول أن الأنشطة الحركية المتعلقة بإنتاج الكلام تقع تحت هيمنة هذه المنطقة العامة .

نظرية الموضع The localization view

بعد أن أوضحنا هذه المناطق الثلاث، فقد حان الوقت بالطبع لاستنتاج أن جوانب معينة من المقدرة اللغوية يلائمها مواضع معينة في الدماغ، فمن المفترض أن نشاط الدماغ المتصل بسماع كلمة وفهمها، ثم التلفظ بها يتبع نمطاً محدداً، فالكلمة تسمع وتفهم بواسطة منطقة فيرنيك، ثم تبعث هذه الإشارة إلى منطقة بروكا حيث تتم استعدادات لإنتاجها، ثم ترسل إشارة إلى المنطقة الحركية لنطق الكلمـة بـالفعل وهذا للأسف صورة مبسطة للغاية عما يجرى في الواقع والمشـكلة أساسـاً هـي أنه محاولة تنظير الآلية المعقدة لدماغ الإنسان في شكل مجموعة من مراكـز اللغـة، فقـد أهملنا ذكر الروابط الدقيقة عـبر الجهـاز العصبي المركـزي والـدور المعقـد للتغذية الدموية للدماغ والطبيعة التواكلية لمعظم وظـائف الدمـاغ، ونظرية الموضـع وسيلة للقول بأن لقدراتنا اللغوية، مواضع محددة في الدماغ، ومع ذلك فقد ثبت الخـلاف

من قبل آخرين معنيين بدراسة الدماغ بوجود براهين عدة تعارض هذه النظرية، فأى إصابة لمنطقة ما بالدماغ يظهر صداها فى مناطق أخرى، ويترتب على ذلك أن نتوخى الحذر عند تعيين الروابط التخصصية بين جوانب معينة من السلوك اللغوى وبين أماكن في المادة السنجابية المتعرجة داخل الرأس .

نظريات أخرى Other views

من الأفضل النظر إلى أى افتراض يتعلق بمعالجة مسارات فى الدماغ على أنه صورة من الخيال تبدو غير كافية لوصف ما يجرى بالفعل، فقد يبدو تصور المسار" ملائماً للغاية في عصر الكترونى لأنه يستحضر العملية الشائعة الآن وهى إرسال إشارات خلال دوائر كهربية، وفى عصر مبكر تهيمن عليه التقنيات الميكانيكية، وظف فرويد ببراعة تصور الآلة البخارية لحساب جوانب معينة من نشاط الدماغ بالحديث عن تأثيرات الكبت (تزايد الضغط) حتى نقطة التنفيس الفجائية، وحتى في قديم العصور كان تصور أرسطو عن الدماغ أنه أسفنجة باردة وظيفتها تبريد الدم .

نحن نلجأ إلى الخيال رغماً عنا بسبب عجزنا عن تلمس البرهان المادى المباشر عن العملية اللغوية بالدماغ، ولأننا لا نملك المدخل المباشر فإننا نعتمد عامة على ما يمكن اكتشافه عن طريق الوسائل غير المباشرة، التى نستعرض بعضها فى المباحث التالية وتعكس محاولة كما وصفها مكاى (١٩٧٠) لاستنتاج خصائص الجهاز المعقد الخفى من خلال التشوهات العارضة ".

انحرافات اللسان وزلاته Tongue tips and slips

لقد أشار بعض الباحثين بوصفهم مستخدمين للغة أننا نعانى أحياناً صعوبة فى التوافق السلس بين الدماغ وإنتاج اللغة (لا بأس، فربما كان بعضنا أكثر من بعض)

وقد بحثت صعوبات إنتاج يسيرة من هذا النوع بوصفها دلائل متاحة على طريق تنظيم معرفتنا اللغوية في داخل الدماغ.

ويوجد على سبيل المثل ظاهرة انحراف اللسان التي تشعر فيها أن بعض الكلمات يروغ منك، فأنت تعرف الكلمة ولكنها لا تخرج إلى السطح ، وقد أوضحت الدراسات عن هذه الظاهرة أن للمتحدثين عامة حدوداً صوتية دقيقة للكلمة، ويمكنهم إصدار الصوت الأول صحيحاً، وفي الغالب يعلمون عدد مقاطع الكلمة، كما تحدث هذه المعاناة غالباً مع التعبيرات أو الأسماء غير الشائعة، وتفترض أن " مخزون كلماتنا" ينظم إلى حد ما على أساس بعض المعلومات الصوتية وأن بعض الكلمات في ذلك المخزون أسهل استرجاعاً من غيرها، وعندما نخطئ في عملية الاسترجاع هذه، فلابد أن هناك في الغالب تشابهات صوتية قوية بين الكلمة الهدف وبين الخطأ، فعلى سبيل المثال يصدر المتحدثون كلمات secant ، و sextet و sexton إذا طلب منهم ذكر نوع معين من آلات الملاحة (السداسية sextant) ، ويشار إلى هذا النوع من الأخطاء أحياناً باسم سوء استعمال الكلمات malapropisms نسبة إلى شخصية تدعى السيدة مالابروب في مسرحية لشريدان حيث تصدر بكل تناغم اختلالات قريبة بالكلمات بأداء هزلي كبير، ولا يزال بيننا الاستعمال الهزلي لهذا النوع من الأخطاء، وذلك عندما نسمع الشخصية التلفزيونية آركي بنكر وهو يقول " نحن بحاجة لقليل الضحكات للقضاء على (الأحادية) (الزواج الأحادى : مرة واحدة في العمر).

وهناك نوع مشابه من أخطاء الكلام يعرف في الواقع بزلة اللسان والتي تنتج غالباً في التعبيرات المتشابكة مثل along shory stort (ويقصد make along story short جعل القصة الطويلة قصيرة) ومثل : The thine sing أغنيتك الخاصة (لعبارة The sign thing الشيء العلامة) وهذا النوع من زلات

اللسان يطلق عليه السبونرية نسبة إلى رف ويليام أ.سبونر عميد أكسفورد الذى اشتهر بزلات لسانه، فمعظم الزلات التى تنسب إليه تتعلق بتبديل صوتين كما عند مخاطبته لمجموعة من الريف بأنهم Noble tons of soil أو عند وصف الله بأنه :
a shoving leopard to his flock .

أو عند شكواه من تغيب أحد الطلاب عن فصله

you have hissed all my mystery lectures .

ولأجل استعمال تبادل الصيغ هذا في الأداء الهزلي، فقد بدل أوسكار وايلد لكلمتي عمل work، و شرب drink لينتج التعبير الشهير :

work is the curse of the drinking classes

العمل لعنة الطبقات الشاربة .

ومع ذلك فليس معظم زلات اللسان اليومية مسلية، فهي ببساطة يغلب عليها نقل صوت من كلمة لأخرى كما في black bloxes (لـ Black boxes الصناديق السوداء) أو يستعمل صوت سابقاً على موقعه بالكلمة التالية مثل :

noman numeral (لـ roman numeral الأعداد الرومانية)

ولقد أثير أن زلات هذا النوع ليست عشوائية، وأنها لا تنتج تتابعاً غير مقبول صوتياً وأنها تدل على وجود مراحل مختلفة في نطق التعبير اللغوى، وعلى الرغم من أن الزلات تعامل في الغالب على أنها أخطاء فى النطق، فإنه من المفترض أن تكون ناتجة عن زلات الدماغ حيث يحاول تنظيم الرسائل اللغوية .

وهناك نوع آخر من الزلات أقل شهرة، قد يقدم بعض الدلائل عن كيفية محاولة الدماغ لفهم الإشارة السمعية التي يستقبلها ويطلق عليها زلات الأذن slipsof the ear وتنتج على سبيل المثال عند سماعنا : great ape وتعجب لماذا يبحث شخص عن آخر فى مكتبه (والناطق في الواقع قال grey tape) وثم نوع مشابه لأخطاء الفهم يكمن في تقرير الطفل أنه في مدرسة الأحد كان

كل شخص يغنى عن دب يطلق عليه جلادلى أحول العينين، ومصدر هذه الزلة صار سطراً من أنشودة دينية تقول :

Gladly the cross I'd bear

وقد تعطينا بعض هذه الأمثلة الفكاهية من الزلات معلومات عن الأعمال الطبيعية لدماغ الإنسان التي تتصل باللغة ومع ذلك تنتج بعض المشكلات فى إنتاج اللغة وفهمها عن خلل أكثر خطورة في وظائف الدماغ .

الحبسة aphasia

إذا عانيت من أى من هذه الزلات ذات مرة، فسيكون لديك شئ عن أنواع المعاناة التى تلازم بعض الناس، حيث يعانون من أنواع مختلفة من العيوب اللغوية تعرف عامة بالحبسة **aphasia** وتعرف الحبسة **aphasia** بأنها خلل فى وظائف اللغة بسبب عطب موضعى بالدماغ يؤدى إلى صعوبة فى الفهم ، أو إنتاج الصيغ اللغوية ، أو الأمرين معاً، والسبب الرئيسى للحبسة هو السكتة الدماغية، بالرغم أن إصابات الرأس الناتجة عن عنف أو حوادث لها التأثير نفسه، ولذلك فالشخص الذى به حبسة يعانى من عيوب تتصل باللغة كصعوبات الفهم التى تؤدى إلى صعوبات في الإنتاج، ويترتب على ذلك أن يتأسس تقسيم أنواع الحبسة على الأعراض الأساسية لصاحب الحبسة الذى يعانى من صعوبات لغوية.

حبسة بروكا Broca's aphasia

يتميز هذا النوع الخطير من العيوب اللغوية المعروف بحبسة بروكا (كما يطلق عليه أيضاً الحبسة الحركية) بعجز حقيقى فى الكلام، وتلعثم النطق والبطء فيه وغالباً ما يبذل جهداً فى الكلام، فما يقال فى الغالب يتكون من مورفيمات معجمية (مثل الأسماء والأفعال) والحذف المتكرر للمورفيمات الوظيفية (مثل

الأدوات، وحروف الجر، والتصريف)يعد سمة لهذا النوع من الحبسة وتعرف بأنها لا نحوية .agrammatic ومن الأمثلة على كلام ينتجه شخص ذو حبسة ليست خطيرة، الإجابة التالية على سؤال يتعلق بما تناوله المتكلم في الإفطار :

I eggs and eat and drink coffee breakfast .

أنا البيض وآكل وأشرب قهوة إفطار

ومع ذلك يعد هذا النوع من العيوب خطيراً خطورة شديدة وينتج في عينات الكلام مثل :

my cheek......... very annoyance ... main is my shoulder.. achin all round here.......

أو كما في هذه المحاولة لذكر نوع السفينة التي ركبها المتكلم :

a stail ... you know what I mean ..... tal ..... stail .....

(ركبت سفينة بخارية)

حبسة فيرنك wernicke's aphasia

يطلق أحياناً على العيب اللغوي الذي يودى إلى صعوبات في الفهم السمعي الحبسة الحسية sensory aphasia وتعرف أكثر بحبسة فيرنك والشخص الذى يعاني من العيب هذا يمكنه في الواقع إنتاج الكلام بطلاقة على الرغم من صعوبة فهمه له، وتستعمل عبارات عامة حتى في الاستجابة لاستفسارات معينة عن معلومات، كما في هذه العينة :

لا أستطيع الكلام كل الأشياء أنا أفعل، وجزء من الجزء أنا أستطيع مواصلة السير، ولكني لا أستطيع أخبر من الناس الآخرين .

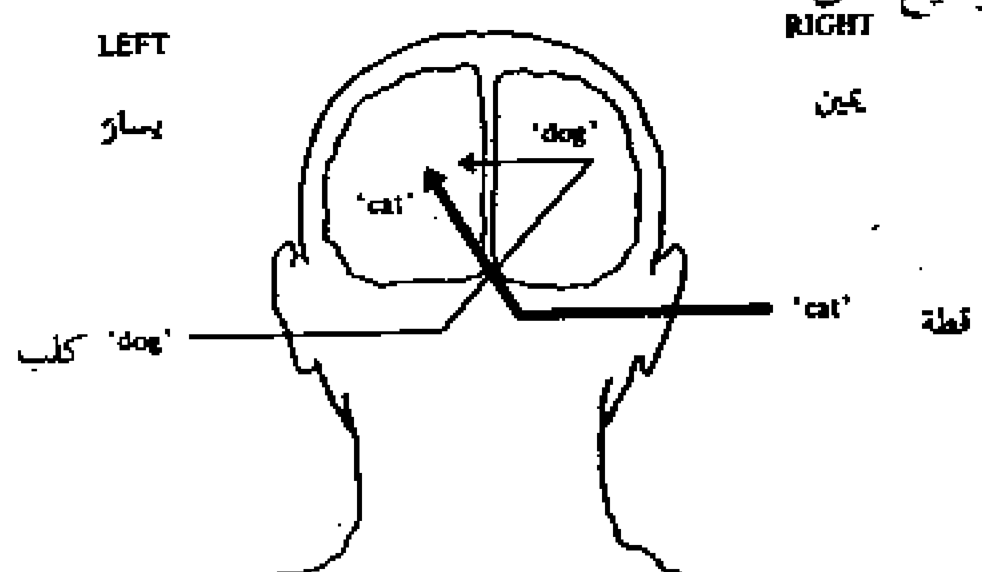
كما أن صعوبة إيجاد الكلمات الصحيحة (يشار إليها أحياناً بالأنوميا anomia) شائعة للغاية ويمكن استعمال الدوران حول المعنى circumlcutions كما في هذه الإجابة (عن السؤال : لأى شئ يستعمل الحبر ؟) للعمل مع القلم .

ومع ذلك تحدث صعوبات إيجاد الكلمة في أنواع كثيرة متنوعة من الحبسة، كما أنها الحالة التى تصاحب فيها صعوبات الكلام، صعوبات فى الكتابة، ويبدو أن القصور في الفهم السمعى تصحبه صعوبات القراءة، كما أن معظم العيوب اللغوية التى نحن بصددها تنشأ دائماً عن إصابات النصف الكروى الأيسر، ولقد تبينت هيمنة النصف الكروى الأيسر على اللغة بمنهج آخر فى دراسة اللغة والدماغ.

السماع المزدوج Dichotic listening

يطلق على التجارب التى أظهرت بالنسبة لمعظم الأشخاص تحت الاختبار أن وظائف اللغة يلزم وجودها فى النصف الكروى الأيسر اسم اختبار السماع المزدوج Dichotic وهو إجراء يطبق ما استقر من حقائق وهى أن أى شئ يمارس بالجانب الأيمن من الجسم يعالج في النصف الكروى الأيسر من الدماغ، وأن أى شئ يمارس بالجانب الأيسر يعالج فى النصف الكروى الأيمن، ويمكننا بذلك استنتاج أن الإشارة التى ترد من الأذن اليمنى سوف تتجه إلى النصف الكروى الأيسر، وأن الإشارة التى ترد من الأذن اليسرى سوف تتجه إلى النصف الكروى الأيمن وطبقا لهذه المعلومات فمن الممكن إجراء تجربة بأن يجلس شخص مستعملا عددا من سماعات الأذن وتعطي له إشارتان صوتيتان مختلفتان في أن واحد ، واحدة خلال كل سماعة فمثلا يعطي في واحده منهما هذا الصوت ga أو dog وخلال الأخري

وفي الوقت نفسه بالضبط يعطي الصوت da أو cat وعندما يطلب منه أن يقول مايسمع فإنه في الغالب يميز بوضوح الصوت الذي يأتيه من الأذن اليمنى ومن ثم يعرف هذا بسيادة الأذن اليمنى على الأصوات اللغوية وتتضح العملية التي تتم في ذلك من خلال التوضيح التالي .



وشرح هذه العملية يقوم على افتراض أن الإشارة اللغوية التي تستقبلها الأذن اليسرى ترسل أولا إلى النصف الكروى الأيمن ثم تعبر بعد ذلك إلى النصف الكروى الأيسر (مركز اللغة) لأجل المعالجة وهذا المسار غير المباشر يطول أكثر من مسار الإشارة اللغوية التي تستقبلها الأذن اليمنى ثم تتجه مباشرة إلى النصف الكروى الأيسر والإشارة التي تصل أولا هي الأولى بالمعالجة .

يتضح أن النصف الكروي الأيمن مسئول في المقام الأول عن معالجة كثير من الاشارات الأخرى ذات الطبيعة غير اللغوية وفي اختبار السماع المزدوج dichotic يتبين أن الأصوات غير اللفظية (مثل الموسيقى – السعال – ضوضاء المرور – غناء الطيور) تدرك في الغالب من خلال الأذن اليسرى (أى تعالج أسرع في النصف الكروى الأيمن) ولهذا فمن تخصصات دماغ الإنسان أن يتعامل النصف الكروى الأيمن مع الأصوات غير اللفظية (من بين أشياء أخرى) ويتعامل النصف الكروى الأيسر مع الأصوات اللغوية (من بين أشياء أخرى) .

ومع ذلك فمما تجدر الإشارة إليه أن أحدث الأبحاث في هذا المجال قد أكـدت أن تخصصات النصفين الكرويين أقرب إلى نوع المعالجة منهـا إلى نـوع المـادة التـي تعالج والتفريق الحقيقي (علـى الأقل بالنسبة لغالبيـة الأيا مـن أحـاديي اللغـة مـن الذكور البالغين في الولايات المتحدة) بين المعالجة التحليلية التي يقوم بهـا (الدمـاغ الأيسر)والمعالجة الكلية holistic التي يقوم بها الدماغ الأيمن .

الفترة الحرجة the critical period

يعرف التخصص الظاهر للنصف الكروى الأيسر في اللغة بالتخصص التشريحى lateralization ونظرا لأن الطفل لاينشأ من المهد womb مستعملاً اللغة بطلاقـة فمـن المعتقد عامة أن عملية التخصص التشريحى تبدأ في الطفولة المبكرة وتتوافق مـع فـترة اكتساب اللغة ذلك الاعتقاد العام بأنه في أثناء الطفولة (حتى البلوغ) توجـد فـترة يكون دماغ الإنسان فيها أكثر استعدادا لأن يستقبل وأن يتعلم لغة بعينهـا وتعـرف هذه الفترة بالفترة الحرجة فإن لم يكتسب الطفل اللغة خلال هذه الفترة لسـبب من الأسباب فإنه لامحالة سيعاني مستقبلا من صعوبات تعلم اللغة وفي السنوات الأخيرة بسبب ظـروف صعبـة قـد ألممنـا بشـئ عمـا يحدث عندمـا تتـم عمليـة التخصـص التشريحى lateralization دون أن يصاحبها مدخلات لغوية .

جينى Genie

في عام ١٩٧٠ أدخلت طفلة إلى مستشفى الأطفال في لوس أنجلوس تبلـغ مـن العمر ١٣ سنة وقضت معظم حياتها مقيدة في كرسي في حجرة صغـيرة مغلقـة ولم يكن والدها يتحمل سماع أى نوع من الضوضاء وكان يضرب الطفلة كلمـا صـدر عنها صوت، ولم يكن ثم مذياع أو تلفاز، وكانت أمها هى الصلة البشرية الوحيدة للطفلة جينى ولم يكن يسمح لأمها بأن تقضى معها وقتا أكثر من وقـت إرضاعهـا،

فقضت جينى حياتها كلها في حالة من الحرمان المادى والحسى والاجتماعى والانفعالى.

وكما هو متوقع، فقد كانت جيني عاجزة عن استعمال اللغة عند مجيئها للمرة الأولى للعلاج، ومع ذلك أخذت خلال فترة وجيزة في الاستجابة لكلام الآخرين ومحاولة تقليد الأصوات ويتعارض تزايد مقدرتها على الكلام والفهم لمقدار معين من اللغة الانجليزية، مع مفهوم أن اللغة لايمكن اكتسابها بأى حال من الأحوال بعد الفترة الحرجة، ومن النظريات الثابتة أن عمليه التخصص التشريحي lateralization تكتمل عند البلوغ وأن اكتساب اللغة بعد ذلك الوقت يؤدى إلى صعوبات لايمكن تداركها ،وفي هذه النظرية يبدو الأمر كما لو كان النصف الكروى الأيسر من الدماغ مفتوحا لتقبل برنامج اللغة خلال الطفولة، فإذا لم يزود الدماغ بالبرنامج كما في حاله جينى، حصل العجز .

وأظهرت الاختبارات في حالة جينى أنها لاتتمتع بمقدرة لغوية في النصف الكروى الأيسر، فكيف استطاعت إذن أن تأخذ في تعلم اللغة وإن كانت الوسيلة محدودة ؟ لقد أكدت تلك الاختبارات نفسها الحقيقة البارزة وهى أن جينى كانت تستعمل النصف الكروى الأيمن من دماغها لأجل وظائف اللغة ، وفي اختبارات السماع المزدوج، تبين أنها تتمتع بسيادة قوية للغاية بالأذن اليسرى لكل من الإشارات اللفظية وغير اللفظية وتؤكد هذه النتائج أنه لايوجد بالضرورة موضع دماغي مطلق للقدرات اللغوية، كما يسهم في شرح حقيقه أن كثيرا من الناس الذين يعانون من إصابات طفيفة بالدماغ مع فقد لغوى مؤقت يمكن استعادة قدراتهم بدرجات متفاوتة على استعمال اللغة .

وعندما تقدمت جيني لغويا، لوحظ أنها مرت خلال كثير من (المراحل) الباكرة نفسها الموجودة في اكتساب اللغة للأطفال الأسوياء، وفي الفصل القادم سنبحث هذه المراحل الطبيعية .

الفصل الخامس عشر

اكتساب اللغة الأولى

الطفـــــل : أريد ملعقة واحـــــدة أخــــرى يا بابا

الأب : تقصد ، تـــــــــــــريد الملعقة الأخرى.

الطفل : نعـــــم ، أنا أريد ملعقة واحدة أخـــــرى

- مــــــــــن فضـــــــــلك يـــــا بابا .

الأب : هل تستطيع أن تقـــــول " الملعقة الأخرى "

الطفل : ملعقة ... واحــــــــدة أخــــــــرى

الأب : قــــــــــل ملعقــــــــــــة

الطفل : ملعقــــــــــــــــــة

.الأب أخــــــــــــــــرى

الطفل : أخــــــــــــــــرى

الأب : ملعقـــــة أخـــــــــرى

الطفل : ملعقة ...أخرى ، والآن أعطنى واحدة أخرى

مارتن برين (١٧٩١).

يتميز اكتساب اللغة الأولى بالسرعة التي يتم بهـا ، فمـع الوقـت يلتحـق الطفـل بالمدرسـة الابتدائية وهو أو هي مستعمل للغة في غاية الطلاقة ويتعامل بنظام اتصـال لايضارعه فيه مخلوق آخر أو حاسب آلي ، وسرعة الاكتساب ، وشمولية حدوثها دون تعليمات لكـل الأطفال بغض النظر عن الفروق الكبيرة في العوامل الاجتماعيـة والثقافيـة ، قـد أدى كـل ذلك إلى الاعتقاد بوجود استعداد (جوانى) innate فـى الطفـل لاكتساب اللغـة ، ويمكن أن نطلق عليها الملكة اللغوية للإنسان التي فطر عليها كل مولود ، ومع ذلك فهـذه الملكة faculty وحدها غير كافية .

الحاجات الأساسية Basic requirements

يحتاج الطفل الآخذ في النمو في سنتيه الأوليين أو الثـلاث إلى التفاعل مع آخرين من مستخدمي اللغة لكي يوجه ملكة اللغة نحو لغة بعينها مثل الإنجليـزية ، وقد أشرنا في

حالة جيني (الفصل ١٤) أن الطفل الذى لايسمع أو الذى لايسمح له باستعمال اللغة لن يتعلم أي لغة ، كما أكدنا على أهمية التوصيل الثقافي (الفصل ٣) حيث أن اللغة التي يتعلمها الطفل لاتورث بل تكتسب في بيئة استعمال لغوى معينة ، ويلزم أن يكون الطفل قادراً مادياً على إرسال الإشارات الصوتية في اللغة واستقبالها ، ويصدر جميع الأطفال ضوضاء المناغاة cooingو النغنغة babbling خلال الشهور القليلة الأولى ولكن المولودين بالصمم يتوقفون بعد ستة أشهر ، فلكي يتحدث الطفل لغة فإنه يلزم أن يكون قادراً على سماع تلك اللغة المستعملة ومع ذلك فسماع أصوات اللغة وحدها لا يكفي ، وقد أظهرت إحدى الحالات البحثية أنه في حالة الآباء الصم الذين يتيحون لابنهم ذى السمع الطبيعي فرصة مشاهدة التلفاز والاستماع لبرامج الإذاعة ، فإن الطفل لايكتسب أى مقدرة على التحدث بالإنجليزية أو فهمها ، فما تعلمه بالفعل بإتقان حتى الثالثة من عمره ، استعمال اللغة الإشارية الأمريكية وهى اللغة التي يتعامل بها مع والديه ،وتبدو الحاجة ماسة لفرصة التفاعل مع آخرين من خلال اللغة .

برنامج الاكتساب The acquisition schedule

تنمو اللغة عند كل الأطفال الأسوياء بغض النظر عن الثقافة في وقت واحد تقريبا طبقاًلذات البرنامج عند الكثير منهم ، ولأننا يمكننا أن نقول الشيء نفسه عن الجلوس والوقوف والمشي واستعمال الأيدى وكثير من الأنشطة المادية ، فمن المفترض أن لبرنامج اكتساب اللغة الأسس نفسها التي تلزم للنمو البيولوجي للمهارات الحركية ، ونزعم أن الجدول البيولوجي هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنضج دماغ الطفل وعملية التخصص التشريحي فإن وجد برنامج بيولوجي عام لاكتساب اللغة فمن المؤكد أنه يعتمد على التفاعل مع عوامل اجتماعية عديدة في بيئة الطفل ، ويمكن النظر إلى الطفل بوصفه ذا مقدرة بيولوجية على تمييز جوانب معينة من المدخلات اللغوية في مراحل مختلفة خلال سنوات حياته الأولى ، فكل ماتتطلبه إذن قدرة الاكتساب هذه ، مدخلات ثابتة كافية

تنبثق منها قياسات اللغة المعينة ، وبهذه النظرة ، نجد الطفل يكتسب اللغة بإيجابية بإعمال القياسات فيما يسمعه ثم تطبيق تلك القياسات فيما يقوله أو تقوله .

بعض المناقشات some controverses

في استعراضنا للحاجات الأساسية والبرنامج الخاص باكتساب اللغة الأولى مسسنا بعض القضايا التي هي موضع مناقشة بين دارسي لغة الطفل فمثلا توجد دراسات تبين أن بيئة الطفل الباكرة تختلف إلى حد ما من ثقافة لأخرى وبناء على ذلك فنتائج الأبحاث في عملية الاكتساب في ثقافات الطبقة الوسطى من الناطقين بالإنجليزية قد لايصلح تطبيقها في دراسة ثقافات أخرى.

كما ثار جدل كبير حول قضية (الجوانية) innateness فقد افترض نعوم تشومسكي (١٩٨٣) أن التنمية اللغوية يجب أن توصف بأنها ازدهار اللغة "lang. growth" لأن عضو اللغة ببساطة ينمو كأى عضو آخر بالجسم ، ويبدو أن هذه النظرة تبخس قدر اعتبارات أخرى مما يعول عليه الآخرون من أهمية كالبيئة والخبرة في تطور لغة الطفل ، فالقضية هو المدى الذى عنده يتحدد فيه اكتساب اللغة وراثيا في الجنس البشرى .

ولقد برزت حالة أخرى في بعض المناقشات حول كيفية رؤيتنا للنتاج اللغوى لصغار الأطفال ، فتميل نظرة اللغوى إلى التركيز على وصف كلام الطفل في إطار الوحدات المعروفة في الأصوات phonology والنحو syntax على سبيل المثال ، ومع ذلك فنظرة الطفل لما يسمع أو يقال في مختلف المراحل تتأسس على وحدات مختلفة كل الاختلاف فمثلا قد يكون نطق الطفل [dŭk ad aét] وحدة واحدة بالنسبة له في حين تعامل على أنها مكونة من ثلاث وحدات look at that (انظر إلى ذلك) من قبل باحث معنى باكتساب الطفل لمختلف الأنواع من الأفعال . ويجدر بنا أن نضع هذه القضايا في الحسبان خلال هذا الفصل لأن بعض ثوابت التصورات والتحليلات التي

قدمت هنا بوصفها جوانب أساسية للغة الطفل قد أخذت تهتز مكانتها ومن الممكن أن تعدل فالبحث المتواصل يكشف الكثير عن هذا الموضوع المعقد .

الكلام الانتقالى caretaker speech

في الظروف المعتادة فى الثقافات الغربية ، يتلقى الطفل بالتأكيد مساعدة في اكتسابه أو اكتسابها للغة ، عن طريق السلوك النمطى للراشدين فى بيئة المنزل ، فلا يميل الراشدون مثل الأب والأم والجدة والجد إلى التصريح بالدندنة gurgler أمامهم كما يعتادونها فى محادثة الكبار فيقل مثلا : حسناًجون جونيور هل سنستثمر فى صناعات الشرائح الزرقاء ؟ would grain futures offer better short term brospects? أو هل مستقبليات الحبوب تبشر بخير الآمال ومع ذلك يكثر أمثال : goody حسناً حبيبى ، والآن بابا يدفع الديك ؟ choo choo ويعرف أسلوب الكلام المبسط المميز الذى يقوم به من يقضى وقتاً طويلاً فى التعامل مع طفل صغير بالكلام الانتقالى caretaker speech ومن ملامح هذا النوع من الكلام كثرة الأسئلة مع كثرة استعمال التنغيم المتزايد ، ففى المراحل الأولى يتضمن إدخال كثير من الصيغ المتعلقة بكلام الأطفال وهى إما كلمات مبسطة (مثل : تومى tummy ، نانا nana أو صيغ بديلة مع تكرير أصوات بسيطة لأشياء فى بيئة الطفل (مثل كوكو ، بوبو ، واوا (choo -choo | Poo-Poo | wa-wa) من بين كثير من الكلام الانتقالى نوعاً من التركيب الكلامى ، ويظهر أنه يعطى دوراً تفاعلياً للطفل الصغير حتى قبل أن تصير أو يصير طرفا فى حديث ، وإذا تأملنا قطعة من حديث أم لطفلها الصغير البالغ من العمر سنتين ، حيث تبدو كمحادثة بين طرفين ، حيث يظهر بُعْدُ هذا النوع من التركيب (هذا المثال من أندرسون وآخرين ، ١٩٨٤)

الأم : هذا كوبك من الشاى .

الطفل : (يأخذ الكوب) .

الأم : انت تشربه بلطف

ألطفل : (يتظاهر بالشرب pretends) .

الأم : أوه - هذا لذيذ .

الطفل : (يوافق assents) .

الأم : هل ستشرب الأم الشاى .

الطفل : (يوافق assents) .

الأم : سأشرب الشاى .

كما يتميز الكلام الانتقالى بتراكيب الجملة البسيطة وكثرة التكرارفإذا كان الطفل حقاً فى أثناء عملية تشغيل نظام تجميع الأصوات والكلمات فإن هذه النماذج المبسطة الصادرة عن البالغ المتفاعل قد تميط اللثام عن الهيئة التركيبية الأساسية وعلاوة على ذلك لوحظ أنه كلما أخذ الطفل يستعمل مزيداً من اللغة فإن كلام من يتعامل معه بانتظام يتغير فيصبح أكثر تنسيقاً ، وفى عملية الاكتساب أمكن التعرف على مراحل عدة .

مراحل ما قبل اللغة pre - language stages

يطلق على أصوات ما قبل اللغة فى المراحل الأولى من اكتساب الطفل اللغة المناغاة cooing ، والثغثغة babbling ، وتتميز عادة الفترة من حوالى ثلاثة أشهر إلى عشرة أشهر بثلاث مراحل من الإنتاج الصوتى فى تنمية ذخيرة الطفل ، وتعرف الأصوات الأولى المتميزة بالمناغاة cooing مع وجود الصوامت الطبقية مثل [k] و [g] عادة بالإضافة إلى صوائت [i] و [u] حيث يمكن سماعها بصورة طبيعية ببلوغ الطفل سن ثلاثة أشهر على الرغم من أن كثيراً مما يتلفظ الطفل به من أصوات تختلف كثيراً عما يقع فى كلام بابا و ماما .

وببلوغ الطفل الشهر السادس يصبح فى مقدوره أن يجلس وأن ينتج عدداً من مختلف الصوائت والصوامت مثل الأصوات الاحتكاكية والأصوات الأنفية ، ويطلق على

الإنتاج الصوتي في هذه المرحلة اسم الثفثفة ba bbling وقد تشتمل على أصوات مقطعية مثل مو mu ، ودا da وفي نهاية مرحلة الثفثفة في حوالى الشهر التاسع يلاحظ وجود أنماط تنغيمية لتراكيب الصوامت والصوائت التي يصدرها ، وبوصول الأطفال لبداية دخولهم لمرحلة انتصاب قامتهم في الشهر العاشر والحادى عشر ، تتكون لديهم المقدرة على استعمال أصواتهم للتعبيرعن الانفعالات وما يودون التأكيد عليه وتتميز هذه المرحلة المتأخرة بكثير من اللعب الصوتي ومحاولات التقليد ، ويفترض بعض علماء النفس أن التصويت vocalization هذا فيما قبل اللغة يعطي الأطفال بعض الخبرة عن الدور الاجتماعي للكلام لأن الآباء يتفاعلون مع الثفثفة babbling على الرغم من تفككها ، فهي في الواقع إسهام من طفلهم في التفاعل الاجتماعي .

وعند هذا الحد فهناك ملحوظة ينبغي أن ترسخ في الأذهان فالباحثون في لغة الطفل يسجلون بالتأكيد وبعناية فائقة ما يلاحظونه عن كل فئة عمرية لمن يدرسون لغته من الأطفال ، ومع ذلك ، فهم في غاية الحرص في الإشارة إلى أن ثمة تغيرات جوهرية بين الأطفال في الفئات العمرية التي حصلت فيها مظاهر معينة من التطور اللغوى ، ولهذا ينبغي علينا دوماً أن نتعامل مع العبارات التي تتعلق بمراحل التطور مثل : (في الشهر السادس) أو (في تمام السنة الثانية) بصورة تقريبية وأنها عرضة للتغير في كل فرد من الأطفال على حدة ، ونحن بعد كل ذلك نبحث خبرة فردية للغاية في أثناء محاولة للوصول إلى السمات العامة للمراحل التقريبية للنمو .

مرحلة العبارة الواحدة holo phrastic

فيما بين الشهر الثاني عشر والشهر الثامن عشر يأخذ الأطفال في إنتاج مجموعة من الألفاظ المميزة ذات وحدة واحدة ، وتتميز هذه الفترة التي جرى العرف بتسميتها "مرحلة الكلمة الواحدة " بكلام ينطق بوحدة واحدة عن الأشياء اليومية المألوفة مثل (لبن) وبسكويت، وقطة ، وكوب ، وقد تصدر صيغ أخرى مثل [ʌsǽ:] في

ظروف ترجح أن الطفل يصدر نمطاً مثل what,s that ولهذا فإن تسمية (الكلمة الواحدة) لهذه المرحلة غير دقيقة ، في حين نجد مصطلح (الوحدة الواحدة) أو الصيغة الواحدة) أكثر دقة أو يمكن استعمال مصطلح holo phrastic (صيغة واحدة تودى وظيفة عبارة أو جملة) فإن اعتقدنا ذلك فإن الطفل فى الواقع يستعمل هذه الصيغ بوصفها عبارات أوجمل .

وبينما تستعمل هذه الصيغ المفردة لتسمية الأشياء ، فإنها أيضاً تنتج فى ظروف ترجح أن الطفل يوسع بالفعل استعمالاتها ، فالسرير الخالى قد يستنبط اسم أخت تنام بالفعل فى السرير ، حتى فى غياب الشخص المسمى ، وفى أثناء هذه المرحلة يستطيع الطفل أن يشير إلى karen وسرير ، ولكنه غير مستعد أن يضم الصيغ جنباً إلى جنبٌ لينتج عبارة أكثر تعقيداً ، لابأس ، فهذا أكثر ما يتوقع من شخص لا يستطيع سوى أن يمشى وهو يترنح ويسقط من فوق الدرج .

مرحلة الكلمتين two word stage

بالاعتماد على ما يحسبه الشخص من وقوع الكلمتين منفصلتين فإن هذه المرحلة تبدأ فيما بين الشهر الثامن عشر والشهر العشرين ومع مرور الوقت حين يكمل الطفل عامه الثانى تظهر مجموعة من التراكيب مثل : كرسى المولود تأكل الأم ، سيئة قطة ، وتفسير الشخص البالغ لهذه التركيبات بالطبع يرتبط كثيراً بسياق هذه الألفاظ ، فالعبارة (كرسى المولود) يؤخذ على أنها تعبير عن الملكية (هذا كرسى المولود) أو على أنها رجاء (ضع المولود فى الكرسى) أو على أنها جملة خبرية (المولود في الكرسي)وأيا كان صحة التفسير بأن الطفل فى الواقع يقصد الاتصال من خلال هذه التعبيرات فإن النتائج الوظيفية البارزة هي أن الراشد يتصرف كما لو كان تم اتصال ، ذلك بأن الطفل لا ينتج كلاماً فحسب ، بل يستقبل تغذية خلفية تؤكد عادة أن الألفاظ أدت دورها .

وعلى رأس السنتين يصير للطفل مفردات تزيد على خمسين كلمة وسيعامل بالضبط بوصفه طرف حديث من قبل المشرف الأساسي .

الكلام التلغرافي teleg raphic speech

فيما بين السنتين الثانية والثالثة يأخذ الطفل في إنتاج عدد هائل من الألفاظ التي يمكن تصنيفها بوصفها عبارات متعددة الكلمات ، والملمح البارز لهذه الألفاظ أن يقل عدد الكلمات ولكن يبدأظهور التغير في صيغ الكلمة ، وترتيب المورفيمات الإعرابية ذو أهمية خاصة وقبل استعراض هذا النمو ينبغي أن نشير إلى وجود مرحلة يطلق عليها الكلام التلغرافي telegraphic speech وتتميز بسلاسل من المورفيمات المعجمية في عبارات مثل : يريد أندروكرة ، تشرب قطة اللبن ، هذا الحذاء كله مبلول ، وواضح أن الطفل قويت مقدرته على بناء الجمل بعض الشيء في هذه المرحلة ويستطيع أن يرتب الصيغ بطريقة صحيحة ، وحينما ينتج هذا النوع من الكلام التلغرافي ، يبدأ ظهور عدد من التصريفات النحوية في بعض الكلمات وتبدو حروف الجر البسيطة (في ، على) .

وعند منتصف السنة الثالثة تتسع مفردات الطفل بسرعة وينشيء الطفل بالفعل مزيداً من الحديث ، وبالطبع يحدث في أثناء هذه الفترة أيضاً النشاط المادي المتزايد كالجرى والقفز ، وفي العام الثالث تنمو مفرداته لتصل الى مئات الكلمات ويقترب نطقه أكثر من شكل لغة البالغ لكي يشهد الزائرون بأن المخلوق الصغير يمكنه الكلام بالفعل

عملية الاكتساب the acuisition process

وبتزايد الذخيرة اللغوية للطفل تصل إلى استنتاج أن الطفل في الغالب قد تعلم اللغة . والظاهر أن وجهة النظر هذه تقلل من شأن ما يقوم به الطفل بالفعل ،فإن الغالبية العظمى من الأطفال لا يمدهم أحد بأية تعليمات عن كيفية نطق اللغة ، كما لايجب تصور أن العملية مجرد فراغ في رأس صغير لايلبث أن تملأه الكلمات والعبارات ،ولكن الأكثر واقعية هو أن الأطفال تنمو مقدرتهم على استعمال اللغة من خلال ما يقال لهم ،

فالإنتاج اللغوى إذن للطفل محاولة وضع أبنية ، مع تجريب صحة المحاولة وليس ثم احتمال أن الطفل يكتسب اللغة من خلال عملية المحاكاة (أسلوب البيغاء) لكلام البالغين ،وعلى الرغم من سماع عبارات على لسان الطفل التقطها مما يقوله الكبار ، فى عملية التقاط لكثير من مفردات كلامهم ،فإن كثيراً من العبارات التى تظهر فى كلام الأطفال لاينتجها الكبار .

ولايبدو تصويب الكبار عاملاً مؤثراً فى كيفية نطق الطفل ويبدو كثيراً من أمتع النتف الحوارية ومن بينها محاولة تصويب الكبير لكلام طفل قد باءت بالفشل .

ومثال ذلك ما نقل في صدر هذا الفصل وحتى عندما يؤدى التصويب بطريقة أكثر تهذيباً فإن الطفل يواصل استعمال لغته الخاصة برغم تكرير الكبير له للغة الصحيحة .

لاحظ أن الحوار التالى (نقلا عن كازدن ، ١٩٧٢) لطفل عمره أربع سنوات لايحاكى كلام الكبير كما لايتبع تصويباته : -

الطفل : أمسكت معلمتى صغار الأرانب ونحن ربتنا عليها .

الأم : هل قلت أن معلمتك أمسكت صغار الأرانب ؟

الطفل : نعم .

الأم : ماذا ذكرت أنها فعلت ؟

الطفل : أمسكت صغار الأرانب ونحن ربتنا عليهم.

الأم : هل قلت أنها أمسكت بهم بشدة ؟

الطفل : لا، أمسكت بهم إمساكاً رفيقاً.

ومن العوامل التى تبدو حاسمة فى عملية اكتساب الطفل ، الاستعمال الفعلى لتركيبات الأصوات والكلمات إما في تفاعله مع الآخرين وإما فى اللعب بالكلمات وقد أجرى تسجيل لكلام لطفل فى الثانية من عمره ، وهو راقد فى مهده يتلاعب بالكلمات والعبارات :

I go dis way .... way bay .... baby do this bib ... allbib bib ... dere .

(نقلاً عن وير ١٩٦٦) .

ويبدو هذا النوع العملي عاملاً مهماً في تنمية الذخيرة اللغوية للطفل ولقد تتبع الباحثون في عدد من الدراسات تفاصيل هذه التنمية فيما وراء المرحلة التلغرافية من خلال العناصر اللغوية التي تأخذ في الظهور على أساس منتظم في التيار الثابت للكلام المنبعث من الثرثار الضئيل .

التصريف Morphology

على رأس العام الثالث يتجاوز الطفل أو الطفلة صيغ الكلام التلغرافي فيدمج بعض المورفيمات التصريفية التي تشير إلى الوظيفة النحوية مما يستعمل من الأسماء والأفعال وأول ما يظهر صيغة ing – في تعبيرات مثل cat sitting ، و نحو mommy reading look ثم يلي ذلك علامة الجمع القياسي في شكل s – كما في boys و cats و اكتساب هذه الصيغة مصحوب غالباً بعملية المبالغة في التعميم over generalization فالطفل يبالغ في القاعدة المشهورة وهي إضافة s – لتكوين الجموع ويتكلم عن أقدام foots ورجال mans وعند استعماله للنطق المقابل لمورفيم الجمع المستعمل في houses (أي باستعمال النهاية az) حيث تطبق بالمبالغة في التعميم فتظهر لديه صيغ مثل : footses ,boyses ، وفي الوقت نفسه وفي حالة حدوث هذه المبالغة في التعميم ، يأخذ بعض الأطفال أيضاً في استعمال الجموع الشاذة مثل رجال men بطريقة صحيحة كل الصحة لبعض الوقت ثم يعودون للقاعدة العامة ، فتنتج تعبيرات مثل some mens و two feets أو حتى two feetses واستعمال تصريف الملكية s' – يقع في تعبيرات مثل girl,s dog و mummy's book وتظهر مختلف صيغ فعل الكينونة مثل يكونون are وكان

و ظهور صيغة مثل كان was ، وتقريبا في الوقت نفسة يلاحظ ظهور ذهب went ، وجاء came فهذة صيغ أزمنة شاذة للماضى لايتوقع أحدظهورها قبل الصيغ القياسية ومع ذلك فإنهابالفعل تسبق ظهور تصريف ed - ، وبمجرد ظهور الصيغ القياسية للزمن الماضى فى كلام الطفل (مثل مشى walked ، لعب played) تختفى إذن الصيغ الشاذة لبعض الوقت ثم تستبدل بها صيغ المبالغة فى التعميم مثل goed و comed ، ويظل لفترة وجود تشوش محدود مثل إضافة علامة التصريف ed لكل شيء فينتج الشذوذ مثل wented و walkeded ومع ذلك ، وكما فى صيغ الجموع فإن الطفل عادة بعد السنة الرابعة يميز بين الصيغ القياسية وغيرها ، وفى النهاية تظهر علامة تميز الفعل المضارع البسيط مع الضمير الثالث المفرد s _ ، حيث تقع فى بداية الأمر مع الأفعال التامة (يأتى comes ، وينظر looks) ثم بعد ذلك مع الأفعال المساعدة (يفعل does ، علك has).

وخلال هذا التسلسل يوجد بالطبع قدر هائل من الإختلاف ، فيوماً ينتج أفراد الأطفال صيغاً صحيحة ويوما ينتحون صيغاًشاذةً ومن المهم أن نتذكر أن الطفل يعى كيف يستعمل النظام اللغوى فى أثناء استعماله بالفعل ، بوصفه وسيلة تواصل ، وأما بالنسبة لاستعمال صيغ مثل ذَهَبَ goed ، أقدام foots فهى مجرد وسيلة يحاول بها الطفل أن يعبر عما يعنيه أوتعنيه فى أثناء مرحلة بعينها من مراحل النمو ، والذين يتحيرون من الآباء ويؤكلون أن الطفل لم يسمع مثل هذه الأشياء فى البيت ، يدركون لا محالة أن المحاكاة ليست القوة الأساس فى اكتساب الطفل اللغة .

النحو Syntax

لقد برهنت الدراسات عن التراكيب النحوية التي يستعملها الأطفال وقدمت دليلاً مشابهاً ضد " المحاكاة " بوصفها الأساس لإنتاج الطفل للكلام ، وفي تجربة لطفلة في الثانية من عمرها طلب منها أن تردد ما تسمعه ، حيث تستمع لشخص بالغ يقول تراكيب مثل : البومة التي تأكل الحلوى تجرى سريعاً the owl who eats candy runs fast ، ثم تعيدها في شكل : owl eat candy and he run fast وواضح أن الطفلة تفهم ما يقوله البالغ ، ولكن لها فحسب طريقتها في التعبير عنه .

وقد أجريت دراسات عدة على تنمية النحو في كلام الأطفال ، وسنركز اهتمامنا على ملمحين ثابتين علمياً ويرجح أنهما يكتسبان بطريقة قياسية regular ، ففي تكوين الأسئلة واستعمال النفي تتميز ثلاث مراحل ، وتختلف أعمار الأطفال خلال هذه المراحل اختلافاً كبيراً ولكن النمط العام هو أن المرحلة الأولى تقع بين الشهر الثامن عشر والشهر السادس والعشرين ، وأن المرحلة الثانية تقع بين الشهر الثاني والعشرين والشهر الثلاثين ، وأن المرحلة الثالثة تقع بين الرابع والعشرين والشهر الأربعين (ينبغي التأكيد على أنه لا عمر بعينه يتعين لمراحل النمو هذه فمختلف الأطفال لهم كفاءات مختلفة)

الأسئلة questions

في تكوين الأسئلة نجد للمرحلة الأولى عمليتين بمجرد إضافة - wh (أين where مَنْ who)في بداية التعبير أو نطق التعبير بتنغيم صاعد نحو النهاية وإليك بعض الأمثلة: - أين كتى ؟ where kitty ، أين يذهب الحصان ؟ where horse go ? ونحو sit chair ? ، و see hole ?

وفى المرحلة الثانية تتكون تعبيرات أكثر تعقيداً ، ولكن يظل أسلوب التنغيم الصاعد مستمراً ، ومن اللافت للنظر أن مزيداً من صيغ _ wh تدخل دائرة الاستعمال كما فى هذه الأمثلة : -

ما اسم الكتاب ؟ what book name ? ، لماذا تبتسم ؟ why you smiling ?، هل تود أن تأكل ؟ you want eat ? ، هل ترى جروى ؟ see my doggie ?

وفى المرحلة الثالثة يظهر قلب الرتبة المطلوب للفاعل والفعل فى أسئلة الإنجليزية ولكن صيغ ال _ wh لايظهر فيها دائماً القلب المطلوب ، وفى الواقع أن أطفال المدارس لايزالون يفضلون تكوين صيغ _ wh (خاصة فى النفى) دون اللجوء لنوع القلب فى كلام البالغ ، كما فى الأمثلة التالية : -

can I have apiece ? did I caughtit? will you help me ?
how that opened ? what did you do ? why kitty can't stand up

أساليب النفي Negatives

فى حالة النفى تبدو المرحلة الأولى ذات أسلوب بسيط مفاده أن no أو not يجب لصقها فى بداية أى تعبير ، كما فى الأمثلة التالية : -

no mitten not ateddy bear no fall no sit there وفى المرحلة الثانية تستعمل صيغ النفى الإضافية don,t , و can,t مع وضع no و not قبل الفعل بدلاً من وضعهما فى بداية الجملة كما فى الأمثلة التالية :-

heno bite you there no scrills
you can ,t dance I don't know

وفى المرحلة الثالثة نجد إدخال صيغ مساعدة أخرى مثل didn,t ، و won,t

واختفاء صيغ المرحلة الأولى وآخر الاكتساب صيغة isn,t ويستمر استعمال صيغ المرحلة الثانية لوقت طويل ، كما فى الأمثلة التالية : -

سوف لايسمح لها بالذهاب she won,t let go لم أمسكه I didn,t

caught it ليس هذا ليس كريم this not ice cream لا يأخذه he not

. taking it

أظهرت دراسة استعمال صيغ النفى أمثلة جيدة لإعمال الأطفال لقواعدهم الخاصة للجمل المنفية ، ومن أشهر الأمثلة (نقلا عن ميكنيل ، ١٩٦٦) ما يبين عدم جدوى التصويب الصريح للكبار .

الطفل : لا أحد ليس يحبنى . No body don,t like me

الأم : لا ، قل لا أحد يحبنى . no body likes me

الطفل : لاأحد ليس يحبنى no body don,t like me (تكررهذا ثمانى مرات)

الأم : لا استمع جيداً ، قل " لا احد يحبنى no body likes me

الطفل : أوه ، لاأحد ليس يحبنى no body don,t likesme

الدلالة Semantics

يتركز معظم النوادر anecdots التى يعاود الآباء حكايتها (للعجب الشديد للطفل النامى) عن بدايات كلام طفلهم ، على نماذج الاستعمال الغريب للكلمات ، ولقد حذر أحد الأطفال من الذباب بأنه يجلب الجراثيم للبيت ، ثم سئل : ماهى الجراثيم ؟ وكانت الإجابة : هى شيء يلعب معه الذباب ، وليس من الممكن دائماً التحديد بدقة للمعنى الذى يفهمه الأطفال لما يستعملون من كلمات .

ويتضح أنه فى أثناء مرحلة العبارة الواحدة holo phrastic يستعمل كثير من الأطفال مفرداتهم المحدودة للإشارة إلى عدد كبير من الأشياء التى لا علاقة لها بها .

فأحد الأطفال استعمل أولاً bow _ bow للإشارة إلى كلب ثم بعد ذلك للإشارة إلى قطعة من الفرو ذات أعين زجاجية ، وإلى مجموعة أزرار kufflinks وحتى إلى ترمومتر حمام ، ويبدو أن كلمة bow _ bow تعنى (شئ بألسنة لامعة) وقد يوسع بعض الأطفال غالباً bow _ bow للإشارة إلى قطط ، وخيول وأبقار ويطلق على هذه العملية المبالغة فى التوسيع over extension وأشهر أنماطها هو أن توسيع معنى كلمة ، على أساس التشابه فى الشكل والصوت والحجم ، وإلى حد ما على أساس الحركة والمادة texture ولهذا فكلمة tick - tock أساساً ساعة ، ولكن يمكن استعمالها scale لميزان الحمام ذى القرص الدائرى ، وأما على أساس الحجم ، فكلمة fly أساساً تستعمل للحشرة ثم صارت تستعمل للحديث عن القاذورات وحتى عن فتات الخبز ، ومن الواضح على أساس المادة texture أن استعمل طفل لفظ sizo أساساً للمقص ثم صار يستعمل لكل الأشياء المعدنية والتطور الدلالى فى استعمال الطفل للكلمات عادة عملية فى الأساس من عمليات المبالغة فى التوسيع يتبعها عملية متدرجة من التضييق فى التطبيق لكلّ مُصطلح كلما تعلم الطفل كلمات جديدة .

وعلى الرغم من أن المبالغة فى التوسيع ثابته علمياً فى إنتاج الأطفال للكلام فليس من اللازم استعمالها فى فهم الكلام ، فقد كان طفل فى عامه الثانى يستعمل كلمة apple للإشارة إلى عدد من الأشياء المستديرة كالطماطم والكور ، ولكنه لايجد صعوبة فى تحديد التفاح apple من بين مجموعة من الأشياء المستديرة .

ومن أطرف ملامح الدلالة لدى الطفل الصغير ، الطريقة التى تعامل بها علاقات معجمية معينة ، وبالنسبة للتضمن hypony my فإن الطفل يستعمل فى الغالب مصطلح المستوى الأوسط فى المجموعة التضمنية hyponymous مثل حيوان : كلب : poodle .

ويبدو منطقياً استعمال المصطلح الأعم (حيوان) ولكن كل الدلائل تؤكد أن الأطفال يستعملون أولاً كلب dog بمعنى مفرط في الاتساع قريب من معنى حيوان ، ويتصل هذا بميل مماثل لدى البالغين عندما يتكلمون مع صغار الأطفال للإشارة إلى الزهور (لاحظ الدلالة العامة نباتات plants، والدلالة الخاصة زهر التيوليب tulips) ويبدو أن علاقات الطباق تكتسب إلى حد ما في النهاية (بعد سن الخامسة) وقد أشار عدد كبير من أطفال الحضانة في إحدى الدراسات إلى نفس شجرة التفاح الأكثر محصولاً heavily laden عند سؤالهم : أى شجرة فيها تفاح أكثر ؟ وكذلك عند سؤالهم : أى شجرة فيها تفاح أقل ؟ وكانت النتيجة أن أكثر more وأقل less تعاملان [illegible]
before وبعد after ، ويشترى buy ، ويبيع sell ، يكتسب فى وقت لاحق .

وعلى الرغم من الحقيقة القائلة بأن الطفل لايزال يكتسب جوانب من لغته أو لغتها الأم خلال السنوات الأخيرة من طفولته ، فمن المفترض أنه على رأس السنة الخامسة ، مع استعمال مفردات تربو على ألفى كلمة يكون الطفل قد أكمل الجزء الأكبر من العملية الأساسية لاكتساب اللغة وطبقاً لبعض الآراء ، فإن الطفل يكون بعد ذلك فى موقف طيب ليبدأ تعلم لغة ثانية (أو أجنبية) ومع ذلك فمعظم أنظمة التعليم لا تدخل برامج تعليم اللغة الأجنبية إلا فى مرحلة متأخرة ، والسؤال الذى يطرح نفسه دائماً هو : إذا كان اكتساب اللغة الأولى هيناً ، فلماذا يصعب تعلمه لغة ثانية ، سنتعرض لهذه المسألة فى الفصل التالى .

الفصل السادس عشر

اكتساب اللغة الثانية / التعليم

لاتكتسب لغة بدون قواعد نحوية ، ومن ثم فكل الألسنة واللغات الأخرى يمكن تعلمها بالنحو ، ولهذا لاتدرس اللغة الإنجليزية كذلك فالمحاكاة لاتفيد شيئاً ، تحت سن العشرين ، وأعرف بعض الأجانب مكثوا مدة طويلة حتى تكلموا الإنجليزية ولا يزالون بعيدين عنها . وكان السبب الحقيقى أنهم لم يتعلموا بالنحو .

جوزيف ايكن (١٦٩٣) .

بينما نرى كثيراً من صغار الأطفال الذين يتكلم آباؤهم لغات متنوعة يكتسبون لغة ثانية في ظروف أشبه بتلك التى كانت عند اكتساب اللغة الأولى _فإن الغالبيةالعظمى من الناس لايتعرضون للغة ثانية حتى وقت متأخر ، فضلاً عن أن قدرة معظم الناس على استعمال لغتهم الأولى لاتقارن حتى بعد سنوات من الدراسة بقدرتهم فى اللغة الثانية ، إنه شيء كاللغز ، فليس فى الظاهر نظام من " المعرفة " يمكن للشخص تعلمه فى السنة الثانية أو الثالثة أفضل منه في سن الخامسة عشرة أو الخامسة والعشرين ، وهناك أسباب عدة لحل هذا اللغز ، وقدمت عدة افتراضات قد تعين الدارسين ليكونوا أكفاء فى لغة ثانية (L2) مثل كفاءتهم فى لغتهم الأولى (L1) .

عوائق الاكتساب acquisition barriers

تتعلق بعض الأسباب الظاهرة للمشكلات التى نصادفها عند اكتساب اللغة الثانية (L2) ، بالحقيقة القائلة بأن معظم الناس يحاولون تعلم لغة أخرى فيما بين الثالثة عشرة

والعشرين أو فى سن البلوغ فى ساعات قليلة كل أسبوع فى العـام الدراسـى (بـدلاً مـن التفاعل المتواصل الذى يتعرض له الطفل) ومع شواغل أخرى (شواغل الطفل عـن ذلـك قليلة) ومع لغة معروفة لديهم جاهزة لحاجات الاتصال اليومية فهناك بعض الأسباب أقـل تأثيراً من بينها الافـتراض بأن ألسنة البـالغين تتشبث بنطق نـوع واحـد مـن اللغـات (الإنجليزية مثلاً) وإنها لاتتكيف مع الأصوات الجديدة للغة أخرى (كالفرنسية أو اليابانية مثلاً) إنها فكرة بارعة ولكن لايوجد دليل مادى يدعمها.

وربما كانت الصعوبة الأساس لدى معظم الناس يمكن حصرها فى التفريق بـين الاكتسـاب والتعلم ، فعند استعمال مصطلح الاكتساب بالنسبة للغة فإنه يشير إلى تنمية المقدرة اللغوية باستعمال اللغة بصورة طبيعية فى أحوال الايصال غير أن مصطلح" التعلـم " ينطبـق علـى العملية الواعية لتجميع معرفة عـن مفـردات اللغـة وقواعدهـا (فالحسـاب مثـلاً يتعلـم ولا يكتسب) ، فما يتصل بالتعليم من أنشطة فإنه يستخدم بطريقة تقليدية فـى تدريـس اللغـة بالمدارس وتهدف من خلال نجاحها إلى معرفة اللغة موضع الدراسة ، أما الأنشـطة المتصلـة بالاكتساب فهى حصيلة خبرات الطفل الصغير وهى بالمثل حصيلة خبرات الذين يكتسبون لغة أخرى من طول وجودهم فى تفاعل اجتماعى (الاستعمال اليومى للغة) فى بلد آخر ، فهؤلاء الذين يكتسبون اللغة الثانية (L2) أساساً مـن خـلال التعليـم ، لا يصلـون إلى مستوى كفاءة من لديهم خبرة الاكتساب .

ومع ذلك ، فحتى مع أحوال الاكتساب المثالية فقليل من البالغين من يحقق كفاءة ابن اللغة فى استعمال اللغة الثانية ، وهناك أفراد يحققون تميزاً عظيماً فى الكتابـة دون الكـلام ومـن الأمثلة على ذلك الكاتب جوزيف كونـارد الـذى تعد رواياتـه مـن كلاسـيكيات الأدب الإنجليزى ، أما كلامه فلا يزال يحمل اللكنة البولندية الشديدة **polish** من لغته الأولى ، وهذا يؤكد أن بعض الملامح (مثل المفردات ، والقواعد) فى اللغة الثانية أيسر من بعض

(مثل الأصوات) وعلى الرغم من أنها لاتزال موضع خلاف فإن هذه الملاحظة تعد أحياناً دليلاً على أنه بعد انقضاء الفترة الحرجة (عند البلوغ) فإنه من الصعوبة بمكان اكتساب لغة أخرى باقتدار ، ومما يدعم هذه النظرية أن عملية التخصص التشريحي lateralization (التي ناقشناها في الفصل الرابع عشر) تعد عاملاً حاسماً ، ولعلنا نفكر في هذه العملية فيما يتعلق "بملكة اللغة " التي تصل أقصاها بخصائص اللغة الأولى ،مما يؤدى إلى فقدان المرونة أو التفتح openness لتقبل ملامح لغة أخرى .

ومما يعارض هذه النظرية أنه قد اتضح أن الطلاب وهم في سنواتهم الباكرة بعد العاشرة أسرع وأقدر على اكتساب اللغة الثانية (L2) منهم في سن السابعة ، ولعل ذلك يرجع بالطبع إلى أن اكتسابللغة الثانية يتطلب تضافر عدة عوامل ، فالعمر الأمثل هو ما بين الحادية عشرة إلى السادسة عشرة حيث لايزال هناك بعض من المرونة في ملكة اكتساب اللغة ، وأن نضج مهارات الإدراك يسمح بتعامل working out أكثرفاعلية للملامح القياسية للغة الثانية (L2) التي يواجهها .

وحتى في أثناء العمر الأمثل قد يوجد عائق اكتساب من نوع مختلف كل الاختلاف ، فالذين هم بين العاشرة وقبل العشرين بالذات أوعى كثيراً من صغار الأطفال ، فإذا قوى عنصر العزوف أو الارتباك embarrassment في محاولة إنتاج الأصوات المختلفة للغات أخرى ، فإن ذلك يثبط أى قدرات مادية وإدراكية ، فإذا ارتبط هذا الوعى الذاتي بفقدان التعاطف مع الثقافة الأجنبية identification (عدم المعرفة بالمتكلمين بها أو عاداتهم) فإذن التأثيرات السلبية subtle لعدم الرغبة في نطق أصوات الروسية أو الأمريكية قد يثبط كثيراً عملية الاكتساب، إن تراث literature اكتساب الطفل للغة الثانية حافل بالأمثلة التي يتغلب فيها على مثل تلك المثبطات باكتساب صغار الأطفال للغة الثانية ، وفي دراسة مثيرة intriguing على مجموعة راشدين من متعلمي اللغة الثانية ما أثبت انخفاض مستويات وعيهم الذاتي بزيادة تدريجية في مستويات تعاطيهم

الخمر ، حتى يصلوا إلى نقطة معينة فيتحسن نطق اللغة الثانية L2 تحسناً ملحوظاً ولكن بعد عدة مرات من الشراب كما تتوقع تدهور النطق بسرعة ويمكن تقديم الحل الجزئي عن طريق دروس في الفرنسية مع الكونياك cognac أو فى الروسية مع الفودكا ، ولكن المثبطات قد تعود أكثر اعتدالاً.

معينات الاكتساب acquisition aids

على الرغم من كل هذه العوائق فإن الحاجة للمعرفة فى لغات أخرى قد أدى إلى عدد من المناهج التربوية التى تهدف إلى تقوية اكتساب اللغة الثانية L2 ، ففى عام ١٤٨٣ استخدم ويليم كاكستون وكالته الحديثة للطباعة لنشر كتاب بعنوان

Right good lernyng for to lerne shortly frenssh and englyssh التعليم الصحيح القويم لتعلم الفرنسية والانجليزية فى أقل مدة ولم يكن أول من يؤلف " مادة منهجية " لمتعلمى اللغة الثانيةوقد نسج كثيرون فى العصر الحديث على منوال كتابه .

مثل : التحيات المعتادة syre , god you kepe , I have not seen you in longe yume وقد استخدمت خلال هذا القرن مناهج قد صممت لتعكس مختلف وجهات النظر عن كيفية تعليم اللغة الأجنبية تعليماً جيداً .

طريقة ترجمة القواعد Grammar translation method

المنهج التقليدى هو أن تعامل تعليم اللغة الثانية أو الأجنبية على قدم المساواة مع أى موضوع أكاديمى آخر ، مع استيعاب قوائم طويلة من الكلمات و مجموعة من قواعد النحو ، ويكون للغة الكتابة اليد العليا على اللغة المنطوقة ويتخذ هذا المنهج أصوله من المنهج التقليدى فى تعليم اللاتينية ، ويعرف عامة بمنهج ترجمة القواعد ، وجاءت هذه التسمية في الواقع من قبل منتقدى هذا المنهج الذين أشاروا إلى أن تأكيده على تعليم اللغة الثانية يجعل الطلاب جاهلين كل الجهل لكيفية استعمال اللغة ، فالذين أنهوا تعليمهم

الدراسي وقد حققوا مستويات عالية في فصول اللغة الفرنسية عن طريق هذا المنهج قد أحسوا في أنفسهم بالخسارة عندما واجهوا الطريقة التي في الواقع يستعمل بها الفرنسي لغته في فرنسا

الطريقة المباشرة Direct method

ونتيجة للتفاعل مع هذا المنهج . فقد بذلت محاولة عن طريق مايسمى المنهج المباشر لإعادة خلق التعرض exposure الذى يحصل لصغار الأطفال عند اكتساب اللغة فكل شئ يقال في قاعة الدرس مثلاً يعبر عنه في اللغة الثانية L2 وقد ركز على اللغة المنطوقة حيث تتجنب القوائم المطولة من المفردات ، وشروح قواعد النحو ، وكانت النتيجة أن الطريقة الصحيحة لاستعمال اللغة سوف تلتقط عرضاً ، ولسوء الحظ كما قد أشرنا ، أن خبرة الطفل الصغير في البيت تختلف كل الاختلاف عن خبرة الطالب في قاعة درس اللغة ، ويزعم بعض الطلاب أنهم أفادوا من هذا المنهج وخاصة في المقرر المستخدم في مدارس برلتز للغات ولكن كثيرا غيرهم حالفهم كثير من الإحباط.

الطريقة السمعية الشفوية Audio lingual method

لقد بذلت محاولة لتلافي القصور في الطريقة المباشرة لتصميم مزيد من المادة البنائية للطالب ، وهذا يتضمن تقديماً منظماً للأبنية النحوية في اللغة الثانية L2 ، انطلاقاً من الأسهل إلى الأكثر تعقيداً ، وغالباً في شكل حوارات drills يكررها الطالب وهذا المنهج الذى يطلق عليه الطريقة السمعية الشفوية ، محكوم بقوة باعتقاد وهو أن الاستعمال الفصيح fluen t للغة في الأساس مجموعة من " العادات " التي يمكن تنميتها بقدر هائل من التدريب ، وكثير من هذا التدريب يتضمن قضاء ساعات في معمل لغوى يكرر تدريبات drills شفهية ، وخلال الخمسينات سوغوا justified هذا المنهج بزعم أن " تعلم اللغة" الأجنبية في الأساس عملية ميكانيكية لتكوين العادة " (نقلاً عن ريفرز ١٩٦٤) وبعد ثلاثين عاماً لاغير ، سيكون من الصعب أن تجد عالم نفس ، أو لغوياً

يوافق على هذه المقولة على حين لاتزال مقررات الطريقة السمعية الشفوية شائعة للغاية في تعليم اللغة، ومما يستحق النقد أن تدريب الفرد علـى أنمـاط اللغـة الحواريـة لا يشابه بـأى حال من الأحوال الطبيعة التفاعلية لاستعمال اللغة الفعلي فضلاً عن أنه متعب للغاية .

المنهج التواصلي The communicative approach

إن أحدث منهج لتعليم اللغة الثانية يستعمل على نطـاق واسـع يعـرف عامـة بـالمنهج التواصلي ، فهو إلى حد ما رد فعل ضـد اصطناعيـة " تدريـب الأنمـاط " كمـا أنـه ضـد الاعتقاد بأن التعليم الواعي لقواعد أى لغة سينتج عنه قدرة على اسـتعمال اللغـة ، وبرغـم وجود مقررات متنوعة لكيفية إيجاد خبرات اتصالية في اللغة الثانية ، فإنها جميعاً تقوم على نظرية مفادها أن وظائف اللغة (أى ما تستعمل من أجله) ينبغي التأكيد عليهـا بـدلاً مـن أشكال اللغة (أى التراكيب النحوية أو الصرفية الصحيحة) ويتميز هـذا المنهـج بـدروس تنتظم حول مفاهيم مثل :

" السؤال عن أشياء " في مختلف السياقات الاجتماعية ، بدلاً من " صيغ الزمـن الماضى " في الجمل المختلفة ، وهذا أيضاً يتوافق مع محاولات تقديم مواد أكثر ملاءمـة لتعلـم اللغـة الثانية لها أغراض خاصة (مثل الانجليزية للأطباء) أو اليابانية لرجال الأعمال) .

عمليات الاكتساب acquisition processes

من ملامح معظم مقررات المنهج التواصلي التى تجعله متميزاً عن غيره من المناهج التى تعرضنا لها ، تقييم إساءة الفهم أوالأخطاء التى يقع فيها المتعلمون ، وقد كان من المـألوف أن ينظر إلى الأخطاء نظرة سـلبية وأن يجتـث أصلهـا eradicated ، أما قبـول هـذه الأخطاء في لغة المتعلم في أحدث الاتجاهات فهو مبنى على تحول أساسى فى المعيارية عـن النظرية التقليدية لكيفية اكتساب اللغة الثانية ، فبدلاً مـن أن نعد إنتـاج متحـدث أسـبانى لهذه العبارة "في الحجرة ثـلاث نسـاءات " in the room there are three

womens بمجرد فشل في تعلم الانجليزية الصحيحة (التي يمكن أن تعالج بمزيد من التدريب على الصيغ الصحيحة) يمكن أن ينظر إليها على أنها دليل على فعالية عملية الاكتساب الحقيقية ، فليس الخطأ إذن شيئاً يعوق تقدم الطالب ، بل قد يفسح المجال للتقدم الإيجابي من الطالب في التعلم ، حين يحاول أو تحاول بمهارات الاتصال في اللغة الجديدة ،وكما أن الأطفال في اكتسابهم لغتهم الأولى L1 ينتجون صيغاً غير صحيحة نحويا في عملية الاكتساب ، فكذلك نتوقع أن متعلمي اللغة الثانية L2 يصدرون مبالغة في التعميم في مراحل معينة ، ومثال womens يعد نوعاً من البناء المبتدع creative - constraction يستعمله المتعلم وفقاً للطريقة العامة في صوغ الجموع في الانجليزية.

وقد يقع بالطبع بعض الأخطاء بسبب تداخل العبارات أو التراكيب من اللغة الأولى ، فالأسباني عندما ينتج take it from the side inferior

خذ من الأسفل الجانب فهو يحاول استعمال الصفة الأسبانية inferior تحت (- lower تحت في الانجليزية) ووضعها بعد الاسم كما هو الحال في تركيب اللغة الأسبانية ، ومع ذلك فبمزيد من التأمل نجد أن لغة المتعلمين تشتمل على عددكبير من الأخطاء التي لاعلاقة لها بصيغ في اللغة الأولى أو اللغة الثانية ومن أمثلة ذلك قول الأسباني بالانجليزية .

اسم هي ماريا she name is maria

حيث ينتج شكلاً لا يستعمله الراشدون الناطقون بالانجليزية كما أنه لا يوجد فيما يكتسبه الأطفال في الانجليزية لغتهم الأولى ، وكذلك لايوجد في الأسبانية ، وظهور هذا النوع يؤكد وجود نظام بيني يستعمل في اكتساب اللغة الثانية يشتمل بالتأكيد على جوانب من اللغة الأولى واللغة الثانية ، ولكنه نظام متفاوت وراثياً وله قواعده الخاصة ويستعمل أحياناً مصطلح اللغة البينية interlanguage لوصف هذه الظاهرة وأصبح

بؤرة بعض المناقشات debate ومحل عناية كثير من الأبحاث في السنوات الأخيرة ، وقد أدت دراسة ظاهرة اللغة البينية إلى إعادة تقييم الطريقة التي بها يدرك اكتساب اللغة الثانية ، وبدلاً من النظر إلى لغة متعلم اللغة الثانية بوصفها نتاج شخص كفء في لغة وغير كفء في أخرى ، فإنه ينبغي اعتبارها نوعا من اللغة قائماً بذاته ، قد يمدنا حين يتفاوت وينمو ، برؤى حاسمة crucial عن الطبيعة المحضة لتلك الظاهرة الأعم التي يطلق عليها لغة الإنسان .

الفصل السابع عشر

لغة الإشارة

يدرك الأصم العالم من خلال عيونه الثاقبة
المدربة ، فاللغة على أطراف أناملهم ،
وعندما أردت أن أتعلم عن الصمت ولغة
الإشارة ذهبت لأتحدث إلى أصم .

أردن نيمر (١٩٨٣)

فى استعراضنا لاكتساب اللغة ركزنا فى معظم الأحيان على الحقيقة القائلة بأن ما يكتسبه معظم الأطفال بصورة طبيعية هو الكلام ، ومن الخطأ التفكير بأن هذا هو الشكل الوحيد الذى تتخذه اللغة الأولى ، فكما أن معظم الأطفال لآباء ناطقين بالانجليزية أو ناطقين بالفرنسية يكتسبون بصورة طبيعية الانجليزية أو الفرنسية فى عمر مبكر فكذلك الأطفال الصم لآباء صم يكتسبون بصورة طبيعية لغة الإشارة ، فإذا نشأ هؤلاء الصم فى بيوت أمريكية فإنهم سيكتسبون لاشك لغة الإشارة الأمريكية التى تعرف بالأمسلان Ameslan أو ASL وهى تعد ثالث أشهر لغة غير انجليزية مستعملة فى الولايات المتحدة الأمريكية (بعد الأسبانية والإيطالية) حيث يصل تعداد المتعاملين بالإشارة حوالى خمسمائة ألف ، ومقدار هذا العددمتميزكل التميز لأنه حتى وقت قريب للغاية كان استعمال ASL غير مشجع فى معظم الهيئات التربوية للصم ، وللحقيقة التاريخية فإن القليل جداً من معلمى الصم من يعرف شيئاً عن ASL أو حتى يعتبرها لغة حقيقية .

الشفاهة oralism

لكى نكون منصفين مع تلك الأجيال من المدرسين فى تعليم الصم ينبغى أن نقدم بأنه فى العقدين الأخيرين لا غير قد لاقت منزلة ASL اهتماماً ملحوظاً بوصفها لغة طبيعية ، [illegible] كثير من المعلمين المخلصين أنه ربما كان استعمال الأطفال الصم

للغة الإشارة بسبب سهولتها وأنها تبط بالفعل اكتساب الكلام ، ونظراً لأن الكلام هو ما يكتسبه بالفعل هؤلاء الأطفال.فإن طريقة التدريس المعروفة عامة باسم الشفاهة oralism كانت تمارس بكل دقة وتتطلب هذه الطريقة التى هيمنت على تعليم الصم لقرن من الزمان أن يتدرب الطلاب على أصوات الكلام الانجليزية ومع تنمية مهارات قراءة الشفاه ، وبرغم وضوح إخفاقها ، فإن الطريقة لم تنافس على الإطلاق ربما بسبب اعتقاد سائد بين كثير من الناس خلال هذه السنوات من منظور تربوى أن معظم الأطفال الصم لن يحققوا تقدماً ملموساً بأى حال من الأحوال .

ومهما تكن الأسباب فقد أنتجت الطريقة قليلاً من الطلاب بمكنتهم التحدث بانجليزية واعية (تقدر بأقل من١٠ ٠/٠) ، وأقل منهم يستطيع قراءة الشفاه(حوالى ٤ ٠/٠) ، فبينما تفشل الشفاهة فإن استعمال ASL كان يمثل نجاحاً زائفاً، وقد اكتسب بالفعل كثير من الأطفال الصم لآباء يسمعون، في مدارس الصم اللغة المحظورة دون غيرهم من الأطفال ونظراً لأن واحداً لا غير من عشرة أطفال صم له آباء صم ، يكتسب منهم لغة الإشارة ، فإن ASL تعد لغة فريدة فى أن توصيلها الثقافى الأكبر ينتقل من طفل لآخر

الانجليزية الإشارية signed English

لقد طرأ على تعليم الصم فى السنوات الأخيرة تغييرات جذرية substantial وتركزت بصماتها على اكتساب الانجليزية المكتوبة دون المنطوقة .

ونتيجة لذلك شجع كثير من المعاهد تعليم ما يسمى الانجليزية الإشارية (يطلق عليها أحياناً انجليزية شفرة اليد) وهذه فى الأساس وسيلة لإنتاج علامات تقابل الكلمات في الجملة الانجليزية في ترتيب الكلمات بالانجليزية ، وتصمم الانجليزية الإشارية بوسائل متعددة ليسهل التفاعل بين الأصم ومجتمع السماع ، وميزتها الكبرى تبدو فى أنها تقدم غرضاً تعليمياً مقبولاً لآباء يسمعون تجاه ولدهم الأصم ، وتمدهم بلغة يستعملونها مع الطفل .

ولأسباب مماثلة ، يمكن للمعلمين السامعين أن يستعملوا في تعليم الصم الانجليزية الإشارية ، عندما يشيرون في نفس وقت الكلام (يطلق عليها الطريقة الآنية simultaneous) ، كما أنها أيسر في الاستعمال على مفسرى السماع الذين يترجمون في الحال للصم الكلام العام أو المحاضرات ويفضل كثير من الصم أن يستعمل مفسروا لسماع الانجليزية الإشارية لأنهم يجدون فرصة طيبة لفهم الرسالة ، وعندما يحاول معظم مفسرى السماع استعمال ASL ، يتبين أن الرسالة تلاقي صعوبة لسبب بسيط وهو أن قلة من السامعين الذين لم يتعلموا ASL في أثناء طفولتهم بارعون للغاية فيها .

ومع ذلك فلا الانجليزية الإشارية لغة إنجليزى ولا هي ASL وعند استعمال الإنجليزية الإشارية لإنتاج صورة طبق الأصل من جملة انجليزية منطوقة فإنها تحتاج لزمن ضعف ما يحتاج إليه إنتاج جملة في الانجليزية أو ASL ، ويترتب على ذلك أن الصور طبق الأصل يندر إنتاجها من الناحية العملية ، ويبدو شكل مولد ahybrid format emerges ، باستعمال بعض إشارات الكلمات وترتيب انجليزى غير مكتمل (في حالات كثيرة ، حتى إشارات الكلمات المحاكية للانجليزية anglified باستعمال ما يشبه حرف G على سبيل المثال ، لتمثل الكلمة الانجليزية glad بدلاً من علامة لغة ASL الفعلية الخاصة بهذا المفهوم) فهي أشبه شيء بإنتاج رسائل بالترتيب الألماني ولكن تحتوى على أسماء

وصفات وأفعال فرنسية وهكذا فالناتج لاهو فرنسي ولا هو ألماني ، ولكن يمكن القول بأنها وسيلة تمكن الناطقين بالفرنسية من معرفة بناء الجمل في الألمانية ، وهذا القول الذى أشرنا إليه هو ما يثار لتدعيم تعليم الانجليزية الإشارية في مدارس الصم لأنه من أهم الأهداف إعداد طلاب قادرين على القراءة والكتابة بالانجليزية ، وينطوى هذا الهدف على المبدأ القائل بأن تعليم الصم ينبغي أن يتكيف لمعاونة الأصم ، لأسباب اقتصادية معروفة للمشاركة في عالم السمع وخلاصة الأمر أن نجعل ASL نوعاً من اللغة السرية

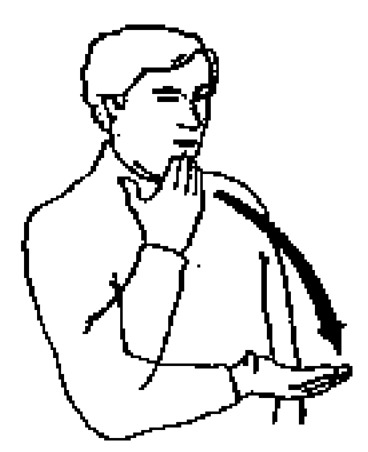
under ground تستعمل فى تفاعل أصم مع أصم لا غير، ومن ثم فلا تزال بعيدة عن الفهم ، وعرضة لكثير من الأساطير التى تعرضت لها خلال تاريخها الطويل .

أصول ASL origins of ASL

من المدهش حقاً أن تكون ASL كما يقال " نسخة إيمائية من الانجليزية " ومن الناحية التاريخية فقد تطورت عن لغة الإشارات الفرنسية التى كانت تستعمل فى مدارس باريس التى تأسست فى القرن الثامن عشر ، وفى أوائل القرن التاسع عشر وفد معلم من هذه المدرسة يسمى لوران كليرك إلى الولايات المتحدة بدعوة من توماس جاللودت وزير الشئون الدينية الأمريكى cong regational و لم يكن كليرك يعلم الأطفال الصم فحسب ، بل كان يدرب معلمين آخرين ،وفى خلال القرن التاسع عشر تطورت هذه النسخة المستوردة من لغة الإشارة ، بعد أن أدخل عليها ملامح من لغات الإشارة الطبيعية الفطرية الأهلية التى يستعملها الصم فى أمريكا وصارت ASL ، وتساعد تلك الأصول فى تفسير عدم اجتماع مستعملى ASL ومستعملى لغة الإشارة البريطانية (BSL) فى لغة إشارة مشتركة ، فلغة ASL ، ولغة BSL لغتان منفصلتان ولا يمكن أن نتعامل معهما بوصفهما نسختين من الانجليزية المنطوقة التى تتضمن استعمال الأيدى .

تركيب الإشارات The structure of signs

إن فكرة أن لغات الإشارة الطبيعية تتضمن إيماءات بالأيدى هى مغالطة ثابتة فمن أجل إنتاج صيغ لغوية فى ASL فإن أصحاب الإشارات سيعينون أنفسهم بالجهات الدالة الأربعة للمعلومات البصرية وهى عادةً ما تقسم باعتبار الشكل ،والاتجاه والمكان والحركة ففى التشابهات مع اللغات المنطوقة الطبيعية ، فإن هذه العناصر الأربعة يطلق



عليها معاملات نطق لغة الإشارة الأمريكية ASL articulation parameters

وتتضح هذه المقاييس من التمثيل التالي للاستعمال الواضح المعزول isolated لإشارة " أشكرك " ، فلوصف نطق " أشكرك " في ASL يجب أن نبدأ " بالشكل " أو هيئة الأيدي المستعملة في تشكيل العلامة ففي تشكيل " أشكر ك " تستعمل اليد المنبسطة وليس اليد المقبوضة fist hand أو اليد كالكوب cupped hand أو أى شكل ممكن permissible ، وأما الاتجاه orientation لليد فيبين ما إذا كانت راحة اليد لأعلى palm-up ، بدلاً من أن تكون راحة اليد لأسفل palm-down ، وفي علامات أخرى فإن اتجاه اليد في عدد من الوسائل الأخرى مثل " اليد المبسوطة " " والكف تجاه المشير " والتي تستخدم "للإشارة إلى شئ يخصني mine ، وأما موضع الإشارة location فإنه يؤكد حقيقة أن في "أشكرك " تكون اليد أولاً عند الذقن ثم تصير بعد ذلك في مستوى الخصر ، وأما الحركة (في هذه الحالة إلى الخارج ،وإلى أسفل) المتعلقة بتكوين الإشارة فهي المقياس الرابع ويمكن تحليل هذه المقاييس العامة الأربعة إلى مجموعة من الرموز primes (فمثلاً اليد المبسوطة ،والكف لأعلى في الشكل والاتجاه على التوالي) من أجل الوصول إلى تحليل شامل لملامح كل علامة .

وبالإضافة إلى هذه المقاييس ، فهناك وظائف على قدر كبير من الأهمية تؤدي بمكونات غير يدوية مثل حركة الرأس وحركة العين ، وبعض تعبيرات معينة للوجه ، فعلى سبيل المثال : إذا كانت جملة معبرة عن سؤال فإنها تكون مصحوبة برفع الحواجب ، والعيون المتسعة وانحناء أمامي خفيف للرأس .

فإذا كان ثم مصطلح جديد أو اسم جديد ، فهناك إمكانية التهجي بالأصابع من خلال نظام تشكيل لليد يستعمل لتمثيل حروف الأبجدية.

لقد بات واضحاً من هذا العرض الوجيز لبعض الملامح الأساسية للغة ASL ، أنها نظام لغوي مصمم للوسط البصري ، فالإشارة تحصل بالتفاعل وجهاً لوجه ، وتقع معظم الإشارات حول العنق والرأس ، وإذا وقعت إشارة بالقرب من الصدر أو الخصر فإنها تتم فيما يبدو باليدين ، ومن الفروق الجوهرية بين نظام يستخدم المسار البصري بديلاً عن

المسار الصوتي السمعي ، هوأن الرسائل البصرية يمكن أن تدمج عدداً من العناصر في آن واحد ، فاللغة المنطوقة تنتج بتركيب يتحدد من خلال التتابع الخطي للإشارات الصوتية ومن العسير إنتاج أو إدراك أكثر من إشارة صوتية واحدة في وقت واحد ، وأما في الوسط البصري فيمكن إنتاج مكونات متعددة مجتمعة في الوقت نفسه ، ولهذا فمن الناحية التركيبية تكون الكلمة المنطوقة عبارة عن تتابع خطي لقطع صوتية ، في حين تكون الإشارة عبارة عن مجموعة مكونات داخل أبعاد مكانية تقع في آن واحد .

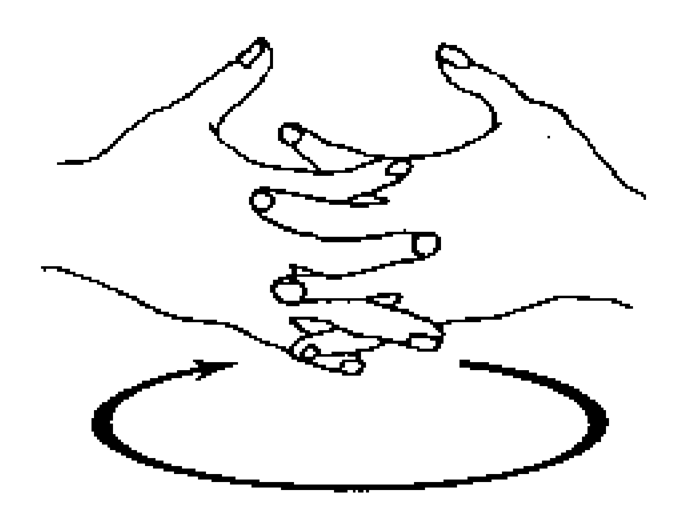
دلالة الإشارات The meaning of signs

يعتقد في الغالب بخطأ من يقول بأن إشارات لغة ASL تمثيلات واضحة أو "صور" للأشياء أو الأحداث التي تشير إليها ولا يزال يعد الكثيرون حقاً لغة الصم نوعاً من التمثيل الإيمائي Panto mime أو التمثيل الجسدي mime

يمثل فيه الأكل بأداء حركة الأكل بالتمثيل الجسدي mimicking أو تمثيل شجرة بتشكيل شجرة باليد ، وهذا المفهوم الخاطئ مصحوب عادة بالخرافة وهى أن لغة الإشارة مثل ASL تتكون من مجموعة بدائية من الإيماءات التي يمكن استعمالها في الواقع للإشارة إلى مكونات مادية وأحداث ، وليس إلى أى شئ مجرد ، وقد يدوم ويظل هذا المفهوم الخاطئ لأن عالم السمع نادراً ما يشهد محادثات أو مناقشات في لغة ASL ، والتي تصدق على كل موضوع خيالي ، ومادي ومجرد ، والتي لا تتشابه مع أى شكل من أشكال التمثيل الإيمائي pantomime.

وعلى أى حال ، فنظام التواصل البصري يمكن أن يفيد نفسه من أشكال التمثيل ذات الأساس الأيقوني ، فالأيقونات Icons عبارة عن تمثيلات رمزية تشابه الأجسام التي تمثلها تشابهاً مادياً (الكتابة التصويرية pictogramsوالكتابة التجريدية ideograms التي ناقشناها في الفصل الثاني أنواع من التمثيل الأيقوني) ولهذا ففي استعمال لغة ASL يمكن للمشير بالفعل أن ينتج تمثيلاً أيقونياً ليشير إلى شئ مقصود

للمرة الأولى ،أو شيء يندر الحديث عنه ، وقد قدم كليمـاو بللوجـي (١٩٧٩) مثالاً طيباً أنتج فيه عدة مشيرين مختلفين مدى من الأشكال المختلفة للإشارة إلى سترة مرتبة straitgacket ، ومن المدهش أنك عندما تعلم أن إشارة تستعمل لتعيين شيء بعينه أو حدث فيمكنك في الغالب أن توجد علاقة أيقونية ، وربما رأيت إشارة "أشكرك" بوصفها نسخة رمزية مناسبة لما تتضمن من حدث ،ومع ذلك ففي معظم الوقت لا تعمل في الاتجاه المضاد ، فقد يصعب عليك فهم معنى إشارة على أساس شكلها الذى تظهر عليه ، وقد لا تستطيع بالفعل تمييز إشارات فردية individual فى أداء إشارى فائق ، وفي هذا العدد فمعظم الاستعمال اليومي لإشارات ASL لا يقوم على استعمال الأيقونات وتفسيرها ولكن يقوم على الرموز اللغوية المتعارف عليها ، وحتى لو كان لبعض الإشارات مصادر أيقونية يمكن تتبعها فإن استعمالها الفعلي في لغة ASL لا يعتمد على تفكير المشير في مصدر أيقوني لتفسير الإشارة ، وإليك مثالاً لإشارة معروفة موهذه الإشارة تتكون من دوران اليدين مع تشبيك الأصابع ، ويفترض .



مصدران أيقونيان مختلفان كل الاختلاف : أنها تمثل شرائط strips علم الدولة ، أو أنها مأخوذة من اتحاد عدد من الولايات المستقلة معاً ، ولكي تفترض أن إحدى هاتين الصورتين قفزت إلى ذهن المشير الذى يستعمل في المحادثة هذه الإشارة ليعني بها

AMERICA ، فإن هذا من السخف كأنك تقول إن كلمة America في السمع يعتبرها ناطق الانجليزية تشير إلى أن أمريجو فسبوتش الإيطالي في القرن السادس عشر الذي يعد اسمه أصلاً للكلمة الحديثة .

الكتابة في لغة ASL writing in Asl

إن القول بأن لغة الإشارة تستثمر الوسط البصري بوسائل تجعل من الصعب للغاية التمثيل بدقة على الورق ، وكما لاحظ لو فانت (١٩٧٧) "والقول الفصل أن الوسيلة الوحيدة لكتابة Ameslan هو استعمال الصور المتحركة" ومن أكبر المشكلات إيجاد وسيلة لدمج incorporat تلك الجوانب من تعبير الوجه التي تسهم في الرسالة ، ومن الحلول الجزئية إنتاج خط واحد من الكلمات إشارية اليد وفوق هذا الخط يبين نطاق extent التعبير الوجهي المتعارف عليه وطبيعته مما يصاحب هذه الكلمات ،ولهذا فالحرف q في الكتابه التالية يبين أن التعبير الوجهي يشير إلى وظيفة استفهامية ، وبقيت خلال الإشارة الكلمية ما يمكن ترجمته إلى : هل يمكنني استعارة الكتاب ؟

can I borrow the book ?

q

Me Borrow Book

ولا تزال جوانب دقيقة أخرى للمعنى الذى يمكن توصيله بالتعبير الوجهي مطروحة على بساط البحث ، فقد أبانت دراسة أن المشير في أثناء حكايته قصة أصدر رسالة إشارية مثل :

MAN FISH CONTINUOUS التي يمكن أن نترجمها إلى رجل سمك مستمر

The man was fishing .

كان الرجل يصيد السمك .

ومع ذلك ، يترجم مستعملون آخرون للغة ASL يشاهدون المشير الرسالة إلى : كان - الرجل يصيد السمك بارتياح واستمتاع .

The man was fishing with relaxation and enjoyment.

ومصدر هذه المعلومات الزائدة تعبير وجهي معين تزم فيه الشفتان مع مدهما قليلاً للخارج ، مع إمالة الرأس قليلاً ،وواضح أن هذه الإشارة غير اليدوية استطاعت أن تقوم بوظيفة المعادل للظرف في الانجليزية ، وكانت جزءً تكاملياً من الرسالة ، والفكرة mm قد اختيرت وسيلة لدمج هذا العنصر ، ولهذا فالتخطيط الدقيق للرسالة يبدو هكذا :

mm

MAN FISH CONTINUOUS

وهناك عدد آخر مبتكر من مثل هذه الرموزصممت لتعيين العناصر الكبرى غير اليدوية في اتصال ASL ، ولا شك أن غيرها يمكن إدخاله لأن جوانب أخرى لنظام الاتصال الدقيق والغنى هذا صارت معروفة جيداً .

ASL بوصفها نظاماً لغوياً ASL as alinguistic system .

إن دراسة ASL من الناحية اللغوية يعد إلى حد ما ظاهرة حديثة وقد بات من الواضح أن أى ملمح أساسي في اللغات المنطوقة له مقابل في ASL فكل الخصائص الأساسية للغة الإنسان التي استعرضناها في الفصل الثالث نجدها في ASL ، ففيها مستويات مقابلة للأصوات والصرف والنحو ، والأطفال الذين يكتسبون ASL يمرون بكثير من المراحل المعروفة التي يمر بها الأطفال الذين يتعلمون لغة منطوقة ، على الرغم من أن إنتاج الإشارات يبدأ فيما يبدو أسبق من إنتاج الكلمات المنطوقة في أيدي أفراد ظرفاء ، وتستخدم ASL على مدىواسع للفكاهة Jokes واللعب بالإشارات ، كما أن للغة ASL لهجات مختلفة في مناطق مختلفة ، ويمكن تتبع التطورات التاريخية في شكل

الإشارات منذ بداية القرن (الأصول الأولية محفوظة على أفلام قديمة) ، وباختصار فلغة ASL لغة طبيعية تتميز كل التميز بثباتها أمام عقود من الإجحاف وسوء الفهم .

وهناك فكاهة قديمة للغاية بين الصم تبدأ بالسؤال :

ما هي أكبر مشكلة تواجه الصم .

What is the greatest problem facing deaf people ?

ربما كانت المعرفة المتزايدة والإقبال على لغتهم في العالم برغبة واسعة أدت إلى تغير في الاستجابة القديمة لذلك السؤال ، والإجابة التقليدية هي : سماع الناس .

الفصل الثامن عشر

تاريخ اللغة والتغير اللغوي

أبانا الذي في السموات*
ليتقدس اسمك
ليأت ملكوتك
لتكن مشيئتك كما في السماء
كذلك على الأرض
خبزنا كفافنا أعطنا اليوم
واغفر لنا ذنوبنا
كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا
ولا تدخلنا في تجربة
لكن نجنا من الشرير .
صلاة الرب (حوالى سنة ألف بعد الميلاد)

في عام ١٧٨٦ أبدى مسئول الحكومة البريطانية السيد ويليام جونز الذي كان يعمل قاضياً بالمحكمة العليا في الهند ، الملاحظة التالية عن اللغة القديمة للقانون الهندي الذي كان يدرسه :

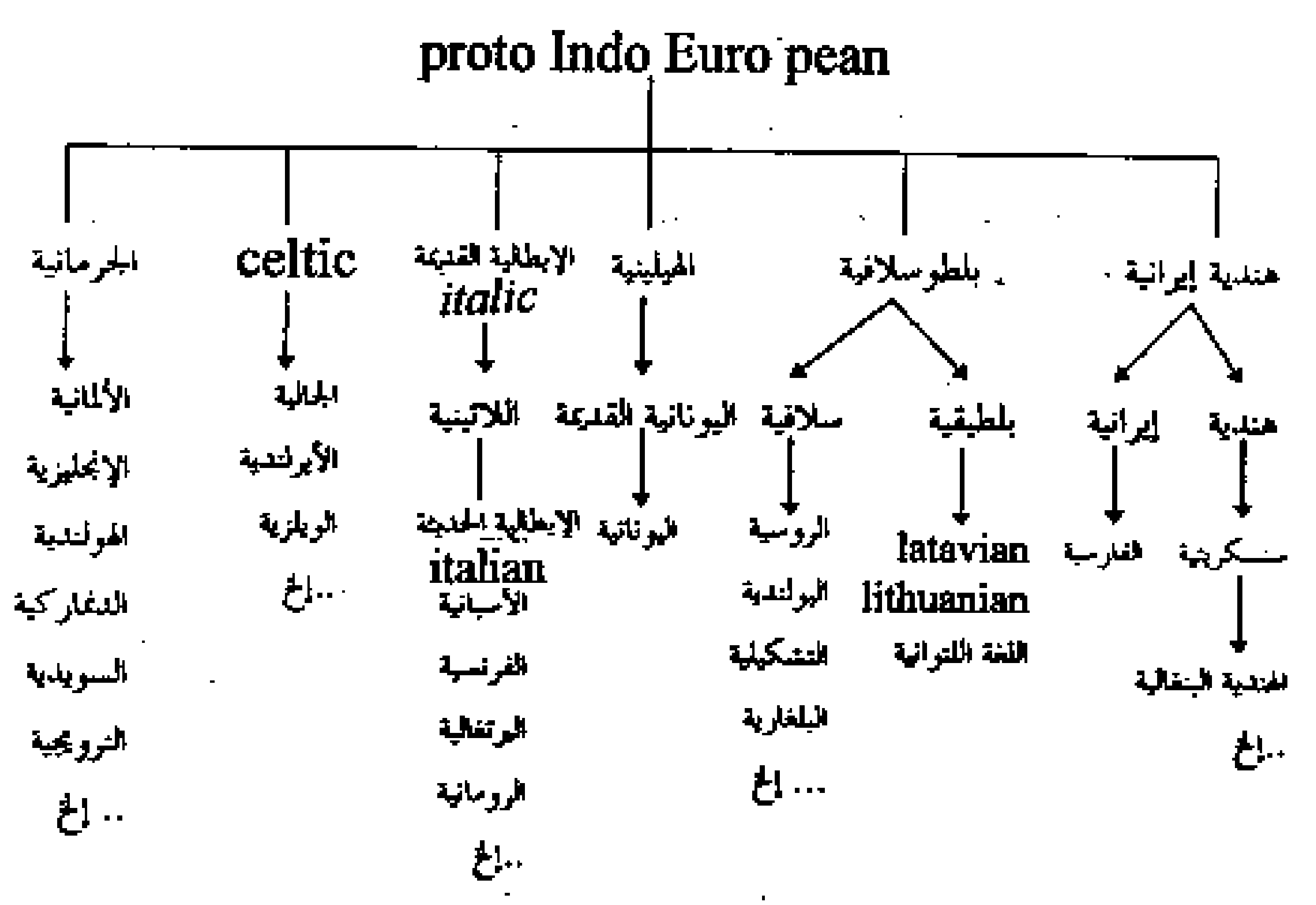
" مهما يكن التميز في اللغة السنسكريتية ، فإنها ذات تركيب بديع ، فهي أكثر إحكاماً من اليونانية وأغزر إنتاجاً من اللاتينية، وأصفى نقاءاً من أي منهما، وتحمل لكل منهما صلة في كل من الأفعال وأشكال القواعد أقوى من أن يقع بالمصادفة".

وواصل السيد ويليام فكرته التي كانت تعد ثورة في زمانها أن عدداً من اللغات من مناطق جغرافية مختلفة لا بد لها من أسلاف مشتركة ،ومع ذلك قد بات واضحاً أن هذه الأسلاف المشتركة لا يمكن وصفها من أي تسجيلات متاحة ولكن تفترض على أساس المتاح من الخصائص المشابهة في تسجيلات لغات يعتقد أنها سلائل منها ،ولا يزل البحث

* Fæder ure þu þe eart on heofonum,
si þin nama gehalgod.
Tobecume þin rice.
Gewurþe þin willa on eorðan swa swa on heofonum.
Urne gedæghwamlican hlaf syle us to dæg.
And forgyf us ure gyltas,
swa swa we forgyfað urum gyltendum.
And ne gelæd þu us on costnunge,
ac alys us of yfele.
The Lord's Prayer (circa A.D. 1000)

اللغوي لهذا النوع مستمراً طوال قرنين من الزمان بعد الرؤية البديعة للسيد وليام ، مركزاً على التطور التاريخي للغات ومحاولاً تحديد العمليات القياسية التي يتضمنها تغير اللغات .

أصول اللغات الهندية الأوربية



شجر العائلات اللغوية family trees

خلال القرن التاسع عشر عندما كانت الدراسة التاريخية للغات (يطلق عليها عامة فقه اللغة philology) الشغل الشاغل للغويين ، ظهر مصطلح يشرح تلك الأسلاف المشتركة حيث أدخل مفهوم أصل اللغة (proto) الذي كان مصدر اللغات الحديثة في شبه القارة الهندية (الهندية Indo) وفي أوربا (الأوربية) وبعد أن تأسس مصطلح أصل اللغات الهندية European Indo proto بوصفه " الجدة الكبيرة " grandmother أخذ الدارسون يتتبعون فروع شجرة عائلتها ، مبينين النسب لكثير من اللغات الحديثة كما هو مبين في الشكل .

ويبين هذا الشكل بالطبع شجرةعائلة واحدة لا غير تغطي عدداً قليلاً من لغات العالم ويقدر عدد العائلات اللغوية بحوالي ثلاثين عائلة يصدر عنها أربعة آلاف لغة في العالم بعض هذه اللغات أوسع انتشاراً من بعض ، وفيما يتعلق بأعداد الناطقين ، فإن اللغة المندارية الصينية لها أكبر عدد من الناطقين من أبنائها (أكثر من أربعمائة مليون) في حين تعد الإنجليزية أكثر استعمالاً في مناطق مختلفة من العالم (حوالى ٣٠٠مليون) والروسية والأسبانية بعد ذلك (تقريباً مائتي مليون من الناطقين الأصليين لكل منهما) .

روابط العائلات اللغوية Family relation ships

بالنظر إلى شجرة عائلة اللغات الهندية الأوربية قد يسأل سائل كيف يمكن تحديد أن هذه المجموعة اللغوية تترابط ، في مقدمتها لغتان كالإيطالية والهندية لا يبدو بينهما أي قدر مشترك ، ومن وسائل تحديد الروابط بصورة أوضح ، أن تتأمل تسجيلات لجيل قديم كاللاتينية والسنسكريتية التي تطورت عنها اللغات الحديثة ، فعلى سبيل المثال ، إذا استعملنا حروفاً معروفة لكتابة كلمات أب father ، وأخ brother في السنسكريتية واللاتينية واليونانية القديمة ستظهر بعض الملامح المشتركة :

	السنسكريتية	اللاتينية	اليونانية
أب	pitar	pater	patér
أخ	bhrātar	frāter	phrāter

ومع ذلك فمما يستبعد كثيراً أن الصيغ المتطابقة سوف تظهر بانتظام ولكن الحقيقة القائلة بأن المشابهات القريبة تقع (وخاصة في النطق المحتمل للصيغ) يعد دليلاً طيباً لافتراض الارتباط العائلي .

القرابات cognates

تتضمن العملية التي استخدمناها تواً لإيجاد بعض الروابط العائلية الممكنة بين مختلف اللغات ما يسمى بالقرابات cognates ففي داخل ما يترابط من المجموعات اللغوية

نبحث غالباً عن التشابهات في مجموعة مصطلحات خاصة فقرابة الكلمة في لغة ما (كالإنجليزية) هي كلمة في لغة أخرى (كالألمانية) بصيغة مشابهة وتستعمل بمعنى مشابه ولهذا فإن صيغ الإنجليزية لأم mother ، وأب father وصديق friend تعد القرابات cognates لصيغ الألمانية mutte ، vater ، freund وعلى أساس مجموعات القرابة هذه ، يمكننا أن نفترض أن هذه المجموعات في الإنجليزية الحديثة والألمانية الحديثة ربما كان لها أصل مشترك فيما أوضحنا من الفرع الجرماني للغات الهندية الأوربية ، وبالطريقة نفسها يمكن النظر إلى مجموعتين متشابهتين، مجموعة من الأسبانية madre ، padre ، amigo , وأخرى من الإيطالية madre ، padre ، amico ونخلص إلى استنتاج أن هذه القرابة الحميمة لا بد أن تفسح الطريق أيضاً لأصل مشترك في الفرع الإيطالي .

إعادة البناء المقارن comparative reconstruction

باستخدام معلومات من هذه القرابات يمكننا بعد ذلك أن نباشر إجراءً يطلق عليه إعادة البناء المقارن ، وهدف هذا الإجراء إعادة بناء ما لا بد أن يكون الأصل أو الصيغة الأم في اللغات الأصلية المشتركة إنها شئ يشبه محاولة البحث عن شبه الجدة الكبيرة على أساس الملامح المشتركة في مجموعة الـ gramd dautos وفى عمل هذا الإجراء يعمل الباحثون في تاريخ اللغات على أساس بعض المبادئ العامة ، نعرض لاثنين منهما .

مبدأ الأغلبية وهو مستقيم للغاية فإذا كان في مجموعة القرابة تبدأ ثلاث صيغ بالصوت [p] وصيغة تبدأ بالصوت [b] فإن أغلب الظن هو أن الأغلبية قد احتفظت بالصوت الأصلي (أى [p]) وأن الأقلية قد تغيرت قليلاً عبر الزمن .

ويتأسس مبدأ التطور الطبيعي الأكثر على حقيقة مفادها أن أنواعاً بعينها من التغير الصوتي شائعة للغاية في حين نجد أخرى غير ذلك وإليك بعض الأنواع الصحيحة من التغير الصوتي :

(١)تختفي الصوائت (الحركات) الأخيرة غالباً .

(٢) الأصوات المهموسة تصير مجهورة بين الصوائت (الحركات) .

(٣) الأصوات الوقفية تصير احتكاكية (تحت ظروف معينة) .

(٤) الصوامت (الحروف) تصير أصواتاً مهموسة في نهاية الكلمات .

فإذا صادفك بعض أمثلة من ثلاث لغات كما هو مبين فيما يلي ، فهل يمكنك أن تبدأ إعادة البناء المقارن بتحديد الصيغة الأقرب أن يكون صوتها الأول في مصدر اللغة الأصل من الثلاث ؟

اللغات

أ	ب	ج	
cavallo	caballe	cheval	(حصان)
cantare	cantar	chanter	(يغنـى)
catena	cadena	chaine	(سلسلة)
caro	caro	cher	(عزيز)

ولأن الصيغ الكتابية غالبا ما تكون مضللة ، فإنك ستجد أن الأصوات الأولى للكلمات في اللغتين (ا) ، (ب) كلها أصوات (k) ، في حين نجد في اللغة (ج) أن الأصوات الأولى تنطق (s) ولهذا فلا شك أنك تستنتج في الحال أنه في اللغة الأصلية بدأت الكلمات بأصوات (k) ، فما هو الدليل ؟

حسناً ، أولاً : يوجد دليل " مبدأ الأغلبية " لأن مجموعتين من الصيغ فيهما صوت [k] في حين مجموعة واحدة لاغير فيها صوت [s]، وفضلاً عن ذلك لقائل أن يقول بأن صوت [k] صامت وقفي وصوت [s] صوت احتكاكي ، وطبقاً لمبدأ التطور الطبيعي الأكثر ، فإن التغيرات تميل أن تقع في اتجاه أن تتحول الأصوات الوقفية إلى احتكاكية ، ولهذا فإن [k] أقرب إلى أن يكون الأصل ، وبهذا النوع من الإجراء نكون قد بدأنا

إعادة البناء المقارن للأصول المشتركة لبعض الكلمات فى الإيطالية (مجموعة أ) والأسبانية (مجموعة ب) والفرنسية (مجموعة ج) وفى هذه الحالة بعينها ، يمكنك التأكد من صحة النتائج لأن الأصل المشترك المفترض عامة لكل هذه اللغات الثلاث هو اللغة اللاتينية وبالتأكد من القرابات اللاتينية للصيغ قيد الدراسة ، ستصادف caballus ، و cantare ، و catena ، و carus ، وبهذا تتبين صحة إعادة بناء الصامت الأول فإذا تأملنا مثالاً أكثر غرابة ، فتخيل أن القطعة التالية من معلومات ثلاث لغات مترابطة (ولكنها غير معروفة) قدمها إليك لغوى متحمس قد عاد لتوه من أعماق غابات الأمازون ، وستدرك أن هذه الأمثلة تمثل مجموعة من القرابات cognates ، وأنه من الممكن من خلال إعادة البناء المقارن الوصول إلى الصيغ الأولية الأصلية protoforms.

اللغات

١	٢	٣	الصيغ الأصلية
mube	mub	mup	ـــــ تيار
abadi	apati	apat	ـــــ صخر
agana	akana	akam	ـــــ سكين
enugu	enuku	enuk	ـــــ ماس

وبنظرة عجلى على المعلومات قد ترى أن تأخذ بمبدأ الأغلبية وتقول بأن الأقرب للصيغ الأساسية هي تلك التي في اللغة الثانية واللغة الثالثة وإذا صح ذلك فإن تغييرات الصامت لابد أن تكون على هذا النحو :

[p]⟶ [b] و [k]⟶ [g] و [t]⟶ [d] .

وذلك لتكوين صيغ اللغة الأولى، ويوجد نمط محدد يتطابق مع نوع واحد من التطور الطبيعي الأكثر بمعنى أن الصوامت المهموسة تصير مجهورة بين الصوائت (الحركات) ،

ولهذا فإن صيغ القائمتين ٢ ،٣ يلزم أن تسبق صيغ القائمة ١ ولكن أى من القائمتين ٢،٣ تشتمل على الصيغ الأقدم ؟ وبالعودة إلى ملمح التطور الطبيعي (أى أن الصوائت النهائية غالباً ما تختفي) يمكننا افتراض أن صيغ القائمة ٣ فقدت بالتأكيد الصوائت الأخيرة التي لا تزال باقية في القائمة ٢ ، وأحسن تخمين لنا هو أن صيغ القائمة (٢) أقرب لما يلزم أن يكون الصيغ الأصلية الأولية ، وبذلك تحل إحدى مشكلات لغوينا المتحمس.

التغير اللغوي language change

إن إعادة بناء الصيغ الأصلية محاولة لتحديد ما يجب أن تكون عليه اللغة قبل أن تبدأ تسجيلات كتابية غير أنه حتى مع وجود تسجيلات لعصر قديم للغة كالإنجليزية ، فإنها قد لا تحمل أى تشابه للإنجليزية المكتوبة في الصحافة اليومية ، ويقدم نموذج دعاء الرب المقتبس في بداية هذا الفصل بياناً وافياً لهذه النقطة وللوقوف على كيفية تعرض اللغة لتغيرات جوهرية عبر الزمن ، لنلق نظرة عابرة على تاريخ الإنجليزية .

ينقسم التطور التاريخي للإجليزية عادة إلى ثلاثة عصور رئيسة ويقدر عصر الإنجليزية القديمة ليبدأ من زمن التسجيلاتُ الكتابية الباكرة في القرن السابع ،وينتهي بنهاية القرن الحادى عشر، وأما عصر الإنجليزية الوسيط فيبدأ من سنة ألف ومائة حتى سنة ألف وخمسمائة ، ويمتد عصر الإنجليزية الحديثة من سنة ألف وخمسمائة إلى يوم الناس هذا .

الإنجليزية القديمة old English

لقد كانت المصادر الأساسية لما تطور فيما بعد إلى اللغة الإنجليزية هي اللغات الجرمانية التي كان يتحدث بها مجموعة من القبائل من شمال أوربا التي غزت الجزر البريطانية في القرن الخامس الميلادي وفيما يروي قديماً فلقد عرفت قبائل الإنجلز والساكسون والجوت بأنهم (سخط إلهي على بريطانيا) ومن اسم القبيلتين الأوليين اشتق اسم الأنجلو ساكسون الذي يطلق على هؤلاء الناس، ومن اسم القبيلة الأولى الأنجلز أخذ اسم لغتهم **english** ولمواطنهم الجديد **engla-land**.

ومن هذه النوعية القديمة من الإنجليزية نصادف كثيراً من المصطلحات الأساسية في لغتنا :

man (رجـل) ، wif (امرأة woman)، cild (طفل) hus(بيت house)،mete (طعامfood)، etan (يأكلeat) ، drincan(يشرب drink) feohtan(هجوم fight)

وبكل المقاييس يحب المستعمرون الوثنيون الهجوم بكل تأكيد .

pagan settlers certainly liked feohtan.

ومع ذلك فلم تستمر الوثنية طويلاً ومن القرن السادس حتى القرن الثامن كان هناك عصر ممتد تحول فيه الأنجلوساكسون إلى المسيحية ودخل الإنجليزية في ذلك الوقت عدد من مصطلحات لغة الدين اللاتينية وترجع إلى ذلك العصر أصول الكلمات الحديثة كالملاك angel ، وأسقف bishop ، وشمعة candle ، وكنيسة church ، وشهيد martyr ، وكاهن priest ، ومدرسة school .

ومنذ القرن الثامن وخلال القرنين التاسع والعاشر أخذت مجموعة أخرى من الأوربيين الشماليين في القرصنة واستقرت في أجزاء من المناطق الساحلية البريطانية، إنهم الفيكينغيين ومن لغتهم النرويجية القديمة اشتققنا الصيغ التي أمدتنا بعدد من المصطلحات الحديثة الشائعة مثل :

they هم / take يأخذ / sky سماء / skin جلد / leg رجل / law قانون / give يعطي .

الإنجليزية الوسطى Middle English

إن الحدث الذى يميز أكثر من أى شئ آخر نهاية عصر الإنجليزية القديمة وبداية عصر الإنجليزية الوسيط، هو وصول الفرنسيين النورمانديين إلى انجلترا بعد انتصارهم في هاستنج تحت قيادة ويليام الفاتح في عام ١٠٦٦ وتقدم هؤلاء الغزاة الناطقون بالفرنسية للسيطرة على كل انجلترا ثم أصبحوا الطبقة الحاكمة لتصبح الفرنسية خلال مائتي عام بعد ذلك لغة

النبلاء والحكومة والقانون والسلوك الحضاري في انجلترا، فهي مصدر المصطلحات الحديثة مثل :

/ صدق faith / سجن prison / ضرائب tax / جيش army / محكمة court دفاع defense .

إذن فلقد بقيت الإنجليزية لغة الفلاحين،وحرث الفلاحون peasants الأرض ورعوا الأغنام sheeps،والأبقار cows،والخنازير swine (كلمات من الانجليزية القديمة)في حين أكلت الطبقات العليا من الناطقين بالفرنسية لحوم الضأن mutton،والبقر beef والخنزير pork (كلمات من أصل فرنسي) ومن ثم كانت الكلمات المختلفة في الإنجليزية الحديثة للإشارة إلى هذه المخلوقات من ذوات الحافر في مقابل ما يعرف بالقشريات .

وخلال هذا العصر كانت الفرنسية (أو بمعنى أدق النسخة الإنجليزية من الفرنسية) لغة الجاه ويخبرنا شوسر أن أحد رحالة كانتربوري يقول :

she was cleped madame Eglentyne
ful wel she song the service dyvyne
Entuned in hirnose ful semely .
And frenshe she spak ful fair and fetisly .

لقد صفقوا لها وهتفوا "مدام اجلنتين"،فقد أبدعت في ترنيم الموعظة اللاهوتية،وأثار تلحينها البهجة،وكان لنطقها بالفرنسية جماله وسحره .

هذا مثال من الإنجليزية في العصور الوسطى مكتوب في أواخر القرن الرابع عشر ولقد تغير تغيراً جذرياً عن الإنجليزية القديمة، ولكن تبقى تغييرات عديدة يجب أن تقع قبل أن تتحول إلى الصيغة الحديثة، ومن المعقول أن الأصوات الصائتة في عصر تشوسر chaucer كانت تختلف عنها فيما نسمعه من كلمات مشابهة في هذه الأيام وقد عاش تشوسر فيما يشبه المنزل(hoos) مع زوجته(his weef) وقد كان هو(hay) يعشقها(heer)

بزجاجة من الخمر(weena) تشرب في ضوء القمر(moon) وفي خلال مائتى عام من بين ١٤٠٠ إلى ١٦٠٠ التي تفصل ما بين تشوسر وشكسبير قد طرأ على أصوات الإنجليزية تغيرات جوهرية لتشكل أساس نطق الإنجليزية الحديثة وأياً كانت أنواع الكلمات المقترضة التي أشرنا إليها فإنها أمثلة على التغير الخارجي في اللغة ، وكثير مما يلي من أمثلة نلاحظه في التغيرات الداخلية في التطور التاريخي للإنجليزية .

التغيرات الصوتية Sound changes

تعد طبيعة الأصوات الصائتة أوضح الفروق بين الإنجليزية الحديثة وإنجليزية العصور القديمة ،وإليك بعض الأمثلة من الكلمات بالكتابة الصوتية التي لا تزال صيغتها العامة باقية ، ولكن مع تغير الأصوات الصائتة إلى حد ما (لاحظ استعمال الـ colon الذى يدل على إطالة الصورة الصائت).

الإنجليزية القديمة	الإنجليزية الحديثة	
hu:s	haws	منزل
wi:f	wayf	زوجة
spo:n	spu:n	ملعقة
bre:k	bre:k	يكسر
hɔ:m	hom	بيت

ولا يقتصر الأمر على تغير الأصوات بل إن بعض الأصوات قد يختفي من النطق العام للإنجليزية ومن أوضح الأمثلة الصوت الاحتكاكي الطبقي المهموس[x] الذى استعمل في الإنجليزية القديمة في نطقnicht فتكون [nixt] (قريباً من نطق الألمانية الحديثة) ولكنه اختفى في الصيغة الحالية night حيث تنطق [nayt] وقد ثبت عدد من التغيرات الأخرى.

فالتغير المعروف باسم القلب المكانى metathesis يتضمن عكس المكان لصوتين متجاورين ومن الأمثلة على ذلك (من الإنجليزية القديمة إلى الإنجليزية الحديثة).

bridd ⟶ bird   hros ⟶ horse

وبالفعل فإن نطق رعاة البقر للعبارة pretty good أقرب ما يكون نحو purty good ويعد هذا مثالاً على القلب المكاني بوصفه لهجة مغايرة داخل الإنجليزية الحديثة .

ومن التغيرات ما يطرأ بزيادة صوت في حشو الكلمة ويعرف ذلك بالإقحام epenthesisوذلك مثل :

spinel ⟶ spindle   aemtig ⟶ empty

فإذا نطقت أحياناً كلمة film كما لو كانت filum فإنك بذلك تكون قد جئت بمثال على الإقحام في الإنجليزية الحديثة .

وثم نوع آخر تجدر الإشارة إليه على الرغم من عدم وجوده في الإنجليزية ويقع في تطور لغات أخرى فهو يشمل إضافة صوت في بداية الكلمة ويطلق عليه مصطلح الابتداء prothesisوهو شائع في تغير نطق بعض الصيغ من اللاتينية إلى الأسبانية كما في هذه الأمثلة :

schola ⟶ escuela (school) مدرسة

spiritus ⟶ erpiritu (spirit) روح

التغيرات التركيبية syntactic changes

تشمل بعض الفروق المهمة بين تركيب الجمل بين الإنجليزية القديمة والحديثة رتبة الكلمة ففى النصوص الإنجليزية القديمة نجد الترتيب الأكثر شيوعاً في الإنجليزية الحديثة وهو فاعل – فعل – مفعول .

ولكن نجد أيضاً صوراً مختلفة من الترتيب الممكن، فعلى سبيل المثال قد يرد الفاعل بعد الفعل كما في

fërde he (he travelled سافر).

وقد يتقدم المفعول على الفعل كما في

he hine geseah (he saw him هو إياه رأى)

وقد يأتي للمفعول في أول الجملة كما في :

him man ne sealde (noman gave(any) to him) .

إياه لم يعط أحد شيئاً .

وفي هذا المثال الأخير يختلف استعمال النفي أيضاً عن الإنجليزية الحديثة لأن الترتيب (not gave) غير صحيح نحوياً كما نجد أيضاً تركيب (النفي المزدوج) كما في هذا المثال بالنفي بكل من (not) و (never) .

and ne sealdest bū mē naefre an ticcen
(and) (not) (gave) (you) (me) (never) (a) (kid).
(and you never gave me akid).

و لم تعطني هدية أبداً .

وربما كان التغير الأكثر شيوعاً في شكل الجملة الإنجليزية هو فقدان عدد كبير من اللواصق التصريفية من أجزاء كثيرة من الكلام ،لاحظ أنه في أمثلتنا تتميز صيغ الأفعال seal de (أعطي)و sealdest (أعطيتَ) لواحق تصريفية لا توجد في الإنجليزية الحديثة فالأسماء والصفات والأدوات والضمائر تأخذ جميعاً صيغاً تصريفية مختلفة حسب وظيفتها النحوية في الجملة .

التغيرات المعجمية Lexical changes

إن أوضح جانب تختلف فيه الإنجليزية الحديثة معجمياً عن الإنجليزية القديمة هو عدد الكلمات المقترضة وخاصة الكلمات التي من أصول لاتينية ويونانية دخلت اللغة منذ عصر الإنجليزية القديمة ويلي ذلك في الوضوح أن كثيراً من الكلمات قد قل استعمالها ونظراً

لأننا لا نحمل السيوف (على الأقل معظمنا) فإن كلمة foin والتي تعني طعنة السيف استعمال غير شائع ويعد wereمصطلحاً شائعاً في الإنجليزية القديمة لرجل (man) وهذا ليس في الاستعمال العام، بل عاشت في داخل حقل أفلام الرعب في الصيغة المركبة الرجل الثعلب werewolfوبعض الصيغ من أمثال انظرlo وحقاً verily ، وأقسم egad تتميز مباشرة على أنها تنتمي إلى عصر لغوي قديم للغاية وكما أشار لانجاكر (١٩٧٣) هناك حلقة معينة من القرون الوسطى لبعض الأسماء (Egbert) أو percival أو Bertha تجعلها غير لائقة على الإطلاق في الإنجليزية الحديثة .

وربما كان من أهم العمليات عمليتا توسيع المعنى وتضييقه فمن أمثلة توسيع المعنى broadening الاستعمال الحديث لكلمة كلب فنحن نستعملها عموماً للإشارة إلى كل الحيوان ولكن كانت تستعمل في صيغتها الأقدم (في الإنجليزية القديمة docga) وأما العملية العكسية والتى يطلق عليها تضييق المعنى narrowing فمثل كلمة hund في الإنجليزية القديمة حيث كانت تستعمل لأى نوع من الكلاب ولكن الآن يقتصر استعمال hound على نوع معين من الحيوان ،ومثال آخر كلمة mete التي كانت تستعمل لأى نوع من الطعام والتي يقابلها في الإنجليزية الحديثة صيغة meat التي اقتصر استعمالها على أنواع بعينها ،والصورة الإنجليزية القديمة لكلمة (wife) كانت تستعمل لأى امرأة ،ولكن ضاق تطبيقها ليخص النساء المتزوجات .

عملية التغير The process of change

لم تحدث هذه التغيرات التي تعرضنا لها بين عشية وضحاها بل كانت متدرجة وربما كان من الصعب تمييزها في أثناء حدوثها وعلى الرغم من أن بعض التغيرات يمكن ربطها بتغيرات اجتماعية كبرى بسبب الحروب والثورات الأخرى فإن المصدر الأوسع انتشاراً لتغير اللغة يكمن في عملية التوصيل الثقافي المستمرة الدائمة فكل جيل جديد له طريقته في استعمال لغة الجيل السابق وفي هذه العملية غير المنتهية حيث أن على كل مستعمل جديد

للغة أن يدع أو يتبع لغة المجتمع فهناك ميل حتمي لانتقاء بعض العناصر على سبيل التحديد وبعضها الآخر على سبيل التقريب كما توجد أيضاً بين الفئة والفئة الرغبة في الاختلاف ومع وجود عملية التوصيل الطفيفة هذه، فإنه ينبغي أن نتوقع أن اللغات لن تبقى على حالة ثابتة ولكن من المحتوم وقوع ذلك التغير والاختلاف ولقد ركزنا في هذا الفصل على الاختلاف في اللغة من الزاوية الرأسيةdiachronically أى من المنظور التاريخي للتغير عبر العصور أما نوع الاختلاف الذي ينظر إليه أفقياً synchronicallyفالمقصود به الخلافات داخل لغة واحدة ،في أماكن مختلفة وبين مجموعات مختلفة ،في نفس الزمن ،وهو موضوع الفصلين الأخيرين .

الفصل التاسع عشر

التنوعات اللغوية

تبدو لي حقيقة جديرة بالملاحظة
وهي أن بعض صغار الأطفال الذين
يشبون ومعهم على سبيل المثال فرع
لهجة شرق لندن ينطقون station
مثل "stition" ولا يجب shouldn't
مثل : shoodenov تنقصهم أصوات
وكلمات كاملة في ذخيرتهم الصوتية .
جون إزارد (١٩٧٥).

لقد درسنا في كثير من الفصول السابقة اللغات مثل الإنجليزية، كما لو أن كل الناطقين بلغة معينة يستعملون تلك اللغة بطريقة مماثلة، بمعنى أننا أهملنا الحقيقة القائلة بأن لكل لغة أكثر من تنوع **variety** وخاصة في طريقة النطق ،ومن ثم فهذا التنوع في الكلام جانب مهم، وملاحظ في حياتنا اليومية بوصفنا مستعملين للغة في مختلف المناطق والتوطنات الاجتماعية وفي هذا الفصل سنستعرض نوع التنوع الذي تم بحثه من خلال شكل من أشكال (الجغرافيا اللغوية) مركزين على التنوعات الإقليمية ،وفي الفصل القادم سنتعرض لعوامل التنوع الاجتماعي في استعمال اللغة ،وينبغي في البداية تعريف ذلك التنوع الخاص المقصود بصورة طبيعية عند استعمال المصطلحات العامة الإنجليزية ،الفرنسية ، الألمانية وهلم جرا .

اللغة الفصحى The standard language

عندما ندرس أصوات الإنجليزية وكلماتها وجملها، فنحن نركز في الواقع على ملامح تنوع واحد لاغير، يطلق عليه عادة الإنجليزية الفصحى standard English هذا التنوع الذي يقوم عليه أساس الإنجليزية المطبوعة في الصحافة والكتب ،والتي تستعمل على

نطاق واسع وتدرس بالمدارس، وهو التنوع الذى تحاول بالطبع تدريسه للراغبين في تعلم الإنجليزية لغة ثانية ،كما أنه التنوع الذىيعده بعض الناس النوع الوحيد "الصحيح" من الإنجليزية والذي ينبغي أن يبقى "نقياً" ومن صور المبالغة في هذه النظرة ما تبنته إحدى المؤسسات في فرنسا حيث قام جماعة من الباحثين تعرف بالأكاديمية الفرنسية يلتقون بانتظام ،ويقررون ما إذا كانت كلمة معينة مثلاً جزءً من الفرنسة الفصحى أم لا، وفي محاولاتهم للاحتفاظ باللغة الفرنسية "نقية" تعارض الأكاديمية في أغلب الأحيان ضد كلمات مقترضة من لغات أخرى، وبرغم هذه القرارت فإن مصطلحات مثل lewisky ، leweekend صارت تعبيرات شائعة الاستعمال فيما نعتبره عادة لغة فرنسية فصحى.

اللكنة واللهجة accent and dialect

سواء أفكرت في أنك تنطق الإنجليزية الفصحى أم لم تفكر، فإنك بالتأكيد ناطق بلكنة،و من الأساطير أن لبعض الناطقين لكنات دون غيرهم ،فلبعض الناطقين أنواع قوية من اللكنة، أو يسهل تمييزها دون غيرهم، ولكن ينطق كل مستعمل للغة بلكنة ،وعند استعمال مصطلح اللكنة فنياً، فإنه يقتصر على وصف جوانب النطق التي تعرف بوضع الناطق الإقليمي أو الاجتماعي، ويجب التفريق بينه وبين مصطلح لهجة dialect الذى يحدد ملامح النحو والمفردات بالإضافة إلى جوانب النطق فعلى سبيل المثال جملة :

you don't know what you're talking about.

إنك لا تعرف ما تتكلم عنه، فهذه الجملة تبدو كما هي سواء أقيلت باللكنة الأميريكية أو اللكنة الاسكتلندية scottish فكلاهما سيستعمل أشكال الإنجليزية الفصحى مع فروقات في النطق ومع ذلك فالجملة التالية :

Ye dinnae ken whit yer haverin'aboot.

لها نفس معنى الجملة السابقة ولكنها مكتوبة بصورة تقريبية لما يقوله الناطق بإحدى لهجات الإنجليزية الاسكتلندية، وثمة فروق بالطبع في النطق (مثل : aboot ، whit) ولكن يوجد أيضاً أمثلة على اختلافات المفردات (haverin ، ken) واختلاف في صيغة نحوية (dinnae) .

وبينما يسهل غالباً تمييز الفروق في المفردات ،فإن تنوعات اللهجات في معنى التركيب النحوي قليل الثبوت، وإليك مثالاً نقلاً عن ترودجيل (١٩٨٣) عن حوار بين ناطقين بالإنجليزية البريطانية (B , C) وناطق من أيرلندا (A) وقد وقع في دونجال ، أيرلندا :

A: How long are youse here ? إلى متى ستبقى هنا؟

B: Till after Easter حتى بعد عيد الفصح

(speaker A looks pussled A (حَارَ الناطق

C: We came in Sunday . جئنا الأحد

A: Ah . youse're here awhile then . ستبقى إذن هنا لفترة

يتضح أن التركيب How long are youse here ? في

لهجة الناطق الأول يستعمل بمعنى قريب من التركيب :

How long have you been here .

المستعمل في لهجة أخرى بدلاً من التفسير المرجعي المستقبلي الذي قدمه الناطق B.

وبرغم وجود صعوبات بين الفينة والفينة من هذا النوع ،فهناك انطباع عام بوجود قدر من الوضوح المشترك بين الناطقين من مختلف اللهجات أو التنوعات الإنجليزية، والمهم أن تتذكر أنه من الناحية اللغوية لافضل لتنوع على تنوع ،فهي ببساطة تنوعات مختلفة ،ومن الناحية الاجتماعية تصبح بعض التنوعات بالطبع أكثر وجاهة، وفي الواقع فإن التنوع الذي يتطور فيصبح لغة فصحى، به عادة لهجة ذات وجاهة اجتماعية، ترتبط في الأصل بمركز سياسي أو ثقافي.

(مثل : لندن بالنسبة للإنجليزية البريطانيـة ، وبـاريس بالنسـبة للفرنسـية) ومـن ثـم تبقـى تنوعات أخرى من اللغة تستعمل في مناطق مختلفة .

اللهجات المحلية Regional dialects

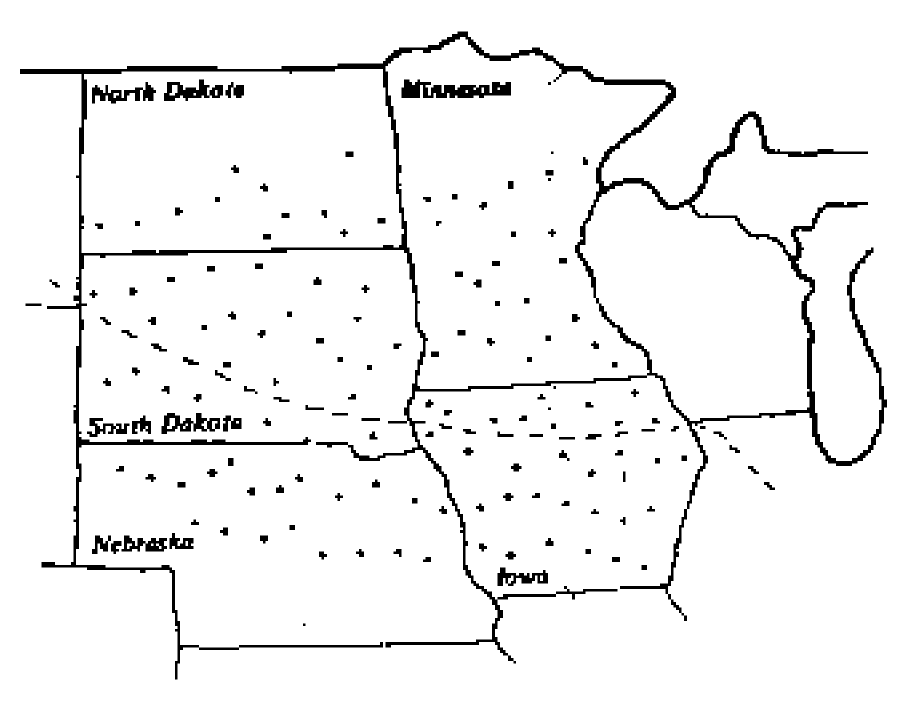
من الملاحظ وجود لهجات محلية مختلفة وهي المصدر الغالب بالنسبة لبعض الفكاهات لمن يعيش في أقاليم مختلفة ،ولهذا ففي الولايات المتحدة يتندر بعض النـاس مـن بروكلـين على تعريف الجنوبيين للجنس حيث يخـبرونك أن sex is fo'less than tin في تقليده التام لبعض أناس من الولايات الجنوبية ويمكن للجنوبـي في المقـابل أن يتعجـب مـن معنى قول بروكلينa tree guy لأنه يسمع أهـل بروكلـين يشـيرون إلىdoze tree guys ويتضح أن لبعض اللهجات المحلية نطقاً نمطياً stereotyped يرتبط بها .

إن هؤلاء المهتمين بالبحث في اللهجات المحلية ، لا يعيرون تلك القوالب stereotypes أى اهتمام مع بذلهم قصارى جهدهم في البحث في التعريف بملامح ثابته لكلام في إحـدى المناطق الجغرافية دون أخرى، ويتضمن المسح اللهجي هذا غالباً عناية فائقة بالتفصيل، كما تعمل وفق عوامل معينة في تحديد الرواة المقبولين .

ومن المهم بعد ذلك كلمة معرفة كون الشخص الذي تقوم بتسجيل كلامه يمثل في الواقـع لهجة منطقته تمام التمثيل، ويستتبع ذلـك أن يميـل الـرواة في كثـير مـن المسـح اللهجـي أن يكونوا معيارين Norms أو غير مرنين ومن الناطقين الذكـور المسـنين بـالريف ،ويختـار هؤلاء الرواة لأنه من المعتقد أن يكونوا بعيدين عن أى تأثـيرات خارجيـة في لغتهـم، ومـن سلبيات استعمال هذه العوامل أن الوصف اللهجي الناتج أقرب إلى الصواب في الفترة الـتي تسبق مباشرة وقت البحث، إلا أن المعلومات التفصيلية المتحصلة تضع الأسـاس لعـدد مـن الأطالس اللغويـة لكـل الـبلاد (مثـل : انجلـترا) أو لمنـاطق (مثـل منطقـة انجلـترا الجديـدة بالولايات المتحدة) .

الخطوط والحدود اللهجية Isoglosses and dialect boundaries

لنتأمل نظرة لبعض الأمثلة من التنوع الإقليمي الناتج عن عملية مسح ،والتي أدت إلى عمل أطلس لغوى لوسط المنطقة الغربية العليا في الولايات المتحدة، ومن أهداف هذا المسح إيجاد عدد من الفروق المهمة في كلام هؤلاء الذين يعيشون في مناطق مختلفة، والقدرة على رسم الخرائط أينما وجدت الحدود بمصطلحات لهجية بين تلك المناطق، فإن تبين على سبيل المثال أن الغالبية العظمى من الرواة من منطقة واحدة يقولون إنهم يأخذون بقالتهم المنزلية في حقيبة ورقية في حين يقول الغالبية في منطقة أخرى إنهم يستعملون كيس ورق a paper sac فإنه من الممكن عادة رسم خط عبر الخريطة يفصل بين المنطقتين، كما هو مبين بالتوضيح المرفق، ويطلق على هذا الخط اللهجي isogloss ويمثل حداً فاصلاً بين منطقتين فيما يتعلق بعنصر لغوي معين، فإن وجد توزيع مشابه لعنصرين آخرين كأن يفضل أهل الشمال جيب pail ويفضل أهل الجنوب bucket ففي هذه الحالة يمكن رسم خط لهجي آخر فوقه، وعندما تتعدد الخطوط اللهجية يمكن إضافة رسم خط متواصل يشير إلى الحد اللهجي .



- - - - = isogloss   + = use of *paper bag*   • = use of *paper sack*

وباستعمال معلومات الحد اللهجي نجد أن المنطقة الغربية العليا منطقة ذات لهجة شمالية، وتشمل مينيسوتا وديكوتا الشمالية ومعظم جنوب ديكوتا وأوا الشمالية وتظهر بقية أوا وبتراسكا خصائص لهجة ميدلاند Midland وفيما يلي بعض فروق النطق الم- وبعض المفردات .

	("taught")	("roof")	("creek")	y")
الشمال	[ɔ]	[u]	[I]	[s]
ميدلاند	[a]	[u]	[i]	[z]

الشمال	paper bag	pail	kerosene	slippery	get sick
ميدلاند	paper sac	bucket	coal oil	slick	take sick

ولهذا فإذا نطق أمريكي ناطق بالإنجليزية كلمة greasy نحو [gr i zi] ويحمل بقالته المنزلية في paper sac فإنه أشبه أن يكون قد نشأ وعاش معظم فترات حياته في مينيسوتا ،ومن الجدير بالاهتمام أن الصيغ الخاصة التي أثبتناها هنا لايستعملها كل شخص يعيش في المنطقة، بل يستعملها نسبة كبيرة من الناس الذين حضروا المسح اللهجي .

الاتصال اللهجي the dialect continuum

نحن بحاجة إلى تنبيه آخر فرسم الخطوط اللهجية iso glosses وحدود اللهجة نافع كل النفع في إيجاد نظرة أوسع للهجات المحلية و لكن ذلك يخفي وجه الحقيقة القائلة بأنه في معظم مناطق حدود اللهجة تتسلل إحدى اللهجتين للأخرى ،ويمكننا بناءً على هذا أن ننظر إلى التغير المحلي على أنه في اتصال مستمر ،دون أن يكون هناك حدود قاطعة لمنطقة عن منطقة مجاورة ، وهناك نوع آخر من الاتصال قد يقع مع اللغات المترابطة على جانبي الحدود السياسية ، فحينما تسافر من هولندا إلى ألمانيا ، ستجد تركيزاً من الناطقين بالهولندية يؤدي إلى مناطق، تمتزج فيها اللهجات الهولندية والألمانية دون تمييز ، ثم بالدخول إلى ألمانيا يتزايد التركيز بالنسبة للناطقين بالألمانية وحدهم .

وقد ثبت موقف مشابه بوصفه جزءاً مما يعرف باندياح اللهجة الاسكندنافية التي تمتد عبر ما يعتبر لغات مختلفةويتعلق بدول مختلفة ، وفي هذه الفكرة ، يمكن أ ن نعد الناطقين بالنرويجية والسويدية يستعملون لهجات محلية مختلفة للغة واحدة ، فالشخص الذي يسهل عليه التحدث بالسويدية والنرويجية يعتبر ثنائي اللهجة bidialectal (يتكلم لهجتين) إلا أنه بسبب حديثنا عما يعامل عادة على أنه لغتان ، فإن ذلك الشخص أقرب إلى أن يعتبر ثنائي اللغة biling ual (يتحدث لغتين) .

الثنائية اللغوية Biling ualism

ليس التغير المحلي في كثير من البلاد بمجرد لهجتين للغة واحدة ، ولكنهما لغتان متميزتان كل التميز ، فكندا على سبيل المثال بلد ثنائي اللغة رسمياً بلغتين رسميتين هما الفرنسية والانجليزية ، ولا يتحقق إدراك الحالة اللغوية للناطقين بالفرنسية في الدولة وأكثرهم في كويبك Quebec دون مزيد من الازدهار السياسي ، ولقد كانت كندا في أكثر تاريخها بلداً ناطقاً بالإنجليزية مع مجموع من الأقلية الناطقة بالفرنسية ، وفي هذه الحالة ، فإن ثنائية اللغة على المستوى الفردي تبدو ملمحاً لمجموعة الأقلية ، وفي هذه الصورة من الثنائية ، ينشأ فرد من مجموعة الأقلية في أحد المجتمعات اللغوية يتكلم أساساً لغة واحدة ، مثل الجالية Gaelic (كما هو الحال لعدة سنوات في أجزاء من اسكتلندا) ، ولكنه يتعلم لغة أخرى ، كالإنجليزية لكي يتبوأ مكانه في المجتمع اللغوي السائد الأكبر .

ومع ذلك ، قد تكون الثنائية الفردية اللغوية راجعة إلى أبوين يتكلمان لغتين مختلفتين ، فلو أن طفلاً اكتسب في آن واحد الفرنسية وهي لغة أمه ، والإنجليزية وهي لغة أبيه ، فقد يصعب الفصل بين اللغتين ، وببساطة سيكون هناك وسيلتان للكلام على حسب الشخص المتحدث إليه ، ومع ذلك ، وحتى في هذا النوع من الثنائية اللغوية ، تميل إحدى اللغتين لتصير اللغة السائدة ، وتصير الأخرى متنحية .

التنظيم اللغوى Language planing

ربما بسبب وجود الثنائية اللغوية بين مجموعات الأقلية فى أوربا وأمريكا الشمالية ، فإنه يفترض أن بلداً كالولايات المتحدة مجتمع منسجم الكلام حيث يتحدث كل فرد فيها بالإنجليزية ، كما أن برامج الإذاعة والتلفاز ، والصحف تستعمل الإنجليزية الفصحى وهذه نظرة خاطئة ، فهى تتجاهل وجود مجتمعات كبيرة ليست الإنجليزية لغتهم الأولى ،ومن الأمثلة على ذلك أن الغالبية من سكان سان أنطونيو وتكساس يفضلون سماع برامج الإذاعة بالأسبانية بدلاً من الإنجليزية ، وهذه الحقيقة البسيطة لها أصداء واسعة فيما يتصل بتنظيم الحكومة النيابية ، ونظام التعليم فهل يتم التدريس فى المدارس الابتدائية بالإنجليزية أو الأسبانية ؟

ولنتأمل مسألة أخرى كما فى حالة جواتيمالا ، حيث يستعمل فيها ٢٦ لغة مايانية بالإضافة إلى الأسبانية ، وفى هذه الحالة إذا أصبحت الأسبانية هى لغة التعليم فهل يوضع كل هؤلاء الناطقين بلغات المايان فى أسوأ فرص التعليم فى المجتمع ؟

وتتطلب هذه النوعية من الأسئلة إجابات قائمة على أساس من التخطيط اللغوى فعلى الحكومة ورجال التشريع والهيئات التعليمية فى كثير من البلاد ، أن يخططوا تخطيطاً سليماً ، لأى من التنوعات اللغوية المنطوقة فى الدولة ينبغى استعماله للأعمال الرسمية ، فبالرغم من عدم استعمال العبرية على نطاق واسع بين السكان فى إسرائيل فقد اختاروها لتكون اللغة الحكومية الرسمية ، وفى الهند وقع الاختيار على اللغة الهندية مما أدى إلى حوادث شغب ضد هذا القرار فى كثير من المناطق غير الناطقة بالهندية .

ويمكن لعملية التنظيم اللغوى أن تتضح عندما تنجز كل المراحل خلال عدد من السنوات ، ومن أفضل الأمثلة الحديثة ما يقدمه اتخاذ اللغة السواحلية اللغة الوطنية فى تنزانيا بشرق أفريقيا ، ولا يزال ثم عدد كبير من اللغات القبلية بالإضافة إلى الآثار الاستعمارية للإنجليزية ولكن أنظمة التعليم ، والتشريع ، والحكومة أدخلت بالتدريج اللغة السواحلية

لتصبح لغةً رسمية ، فعملية " الانتقاء "selection (اختيار لغة رسميــة) تتبعهـا عمليـة" التصنيف" codification التي تستعمل فيها قواعد ومعاجم أساسية ، ونماذج كتابيـة لتأسيس التنوع الفصيح ، ثم يلي ذلك عملية التوسع elaboration ، حيـث يتطـور التنوع الفصيح لكي يستعمل فـي جميع جوانـب الحيـاة الاجتماعيـة ،وظهـور نـص أدبـي مكتوب بالفصحى ، أما عمليـة الإنجاز implementation فيظهر فيهـا محـاولات الحكومـة لتشـجيع اسـتعمال الفصحى ، ثـم تـأتي المرحلــة الأخـيرة وهــي " القبــول " acceptance عندمـا يـأخذ الغالبيـة العظمـى مـن السـكان فـي اسـتعمال الفصحـى والتفكير في أنهـا اللغـة الوطنيـة التـي تقـوم بدورهـا فـي الشـخصية الاجتماعيـة وكذلـك الشخصية الوطنية .

الرطانات والكريولية Pidgins and Creoles

في بعض المناطق ، قد يقع الاختيار على فصحى ليس لها في الأصل ناطقون أصليـون ، فعلى سبيل المثال في غينيا الجديدة New Guinea ، تُسَيَّر معظـم الأعمـال الرسميـة بلغة Tok pisin وهـي لغـة تعرف أحيانـاً بـ الرطانـة الميلانيزيـة Melanesian ، فالرطانة Pidgin تنوع لغـوي (مثـل الإنجليزيـة) تطـور لغـرض عملـي كالتجـارة بـين مجموعات من الناس لا يعرف بعضهم لغة بعض ، ولهذا فليس لهذه اللغة ناطقون أصليون ، ويعود أصل مصطلح الرطانة Pidgin فيمـا نعتقـد إلى chinease Pidgin صـورة من الكلمة الإنجليزية business =عمـل ،ولا يـزال يستعمل حتى الآن عـدة رطانـات Pidgins إنجليزية وهي تتميز بعـدم وجـود أي قواعـد معقـدة للتصريـف ، وبمفـردات محدودة ، وتحل المورفيمات الوظيفية محل المورفيمات التصريفية الموجودة في اللغـة الأصليـة ، فعلى سبيل المثال بدلاً مـن تغيير صيغـة you إلى your كمـا فـي العبـارة الإنجليزيـة your book فإن اللغة العملية الإنجليزية تستعمل صيغة مثـل bilong وتغير ترتيـب الكلمات لتصير العبارة buk bilong yu .

ويمكن أن تكون أصول كلمات كثيرة في الرطانات Pidgins عبارات من لغات أخرى ، مثل كلمة واحدة تستعمل للتعبير عن (يحطم destroy / ruin) وهي bagarimap (مشتقة من العبارة الإنجليزية : bugger him up) أو كلمة تعبر عن " lift " وهي haisimap (من hoist him up) أو تعبر عن " us " وهي yumi (من me + you) ، ويمكن استعمال الافتراضات المبتكرة بإبداع ، للحصول على جديد المعاني مثل كلمة ars التي تستعمل بمعنى سبب cause ، أو مصدر source ، بالإضافة إلى قاع bottom ويعود أصلها إلى الكلمة الإنجليزية arse .

ويختلف النحو في الرطانة Pidgin كل الاختلاف عن اللغات التي منها استعيرت المصطلحات وتحورت ، نجد ذلك في هذا المثال من لغة Tok pisin .

Bimeby hed bilongyu i-arrait gain
by and by head (belong you) (he-alright) (again)
(your head will soon get well again)

سوف تتحسن رأسك حالاً .

تتراوح أعداد من يستعملون لغات الـ Pidgin مابين ٦ إلى ١٢ مليون نسمة ، وما بين ١٠ - ١٧ مليون نسمة يستعملون لغات descendants منحدرة من الرطانة Pidgin يطلق عليها الكريبولية Creoles ، فعندما تتطور الرطانة Pidgin بعيداً عن دورها بوصفها لغة تجارية ، لتصبح اللغة الأولى في توطن اجتماعي social community فإنها تعرف بالكرويبولية creoles ، فعلى سبيل المثال ، لغة Tok pisin يمكن أن توصف هذه الأيام بأنها كريبولية creole ، والكريبولية creol يختلف عن الرطانة pidgin ، في أنّ لغات الكريبولية creole لها عدد هائل من الناطقين الأصليين ، وهي تتطور غالباً وتتأسس بين سكان أصلهم عبيد في مناطق خارج المستعمرات.

كما يوجد كريولية creoles فرنسية يتحدث بها فـى هـايتي وفـى لويزيانـا ، ويوجـد creoles إنجليزية في جامايكا ، وسيراليون .

وفى معرض مناقشـة التنوعـات اللغويـة فيمـا يتصـل بـالفروق الإقليميـة اسـتبعدنا بطريقـة صناعية إلى حد ما ، العوامل الاجتماعية المعقدة والتي تؤثر أيضاً في تحديد التنوع اللغـوى ، وفى الفصل الأخير سنواصل استعراض تأثير عدد من هذه المتغيرات الاجتماعية .

الفصل العشرون

اللغة والمجتمع والثقافة

منذ خمس وعشرين سنة لفت بروفسور لنتون لأول مرة أنظار علماء الأنثروبولوجي إلى طقوس الناكريا ، ولكن لا تزال ثقافة هذا الشعب غير مفهومة ، فلا يعرف عن أصلهم إلا القليل ، برغم التراث الذي يحكي أنهم نزحوا من الشرق ، وطبقاً لأساطير الناكريا فقد نشأ وطنهم على ثقافة البطل نوتجيهسو ، المشهور بعملين بطوليين من القوة ، هما القذف بعقد من الأصداف عبر نهر باتوماك Pa-To-Mac ، وتحطيم شجرة كرز تكمن فيها روح الحقيقة .

هوراس منر (١٩٥٦)

لقد أشرنا آنفاً أن الطريقة التي تتحدث بها تفتح لنا باب المعرفة عن اللكنة أو اللهجة التي قضيت فيها معظم فترات حياتك الأولى ، ومع ذلك قد يشتمل كلامك أيضاً على ملامح بالتنوع الإقليمي ، فيمكن لشعبين ينشآن في نفس المنطقة الجغرافية ،في وقت ، أن يختلف كلامهما ويرجع ذلك إلى عدد من العوامل الاجتماعية، ومن المهم ألا نغفل هذا الجانب الاجتماعي من اللغة بسبب أن الكلام في أحيان كثيرة صورة من الشخصية الاجتماعية ،ويستعمل بوعي وبغير وعي للإشارة إلى إثبات العضوية membership للمجموعات الاجتماعية المختلفة أو مجتمعات الكلام المختلفة .

اللهجات الاجتماعية social dialects

لقد وجه الباحثون عظيم عنايتهم ، في دراسات حديثة عن التنوع اللغوي ، عادة عن طريق الاستبيانات لإثبات تفصيلات بعينها للبعد الاجتماعي للناطقين ، وكلما وضعنا

في الحسبان مثل هذه التفصيلات كان في مقدورنا إنجاز دراسة عن اللهجات الاجتماعية التي هي تنوعات لغوية ، تستعملها مجموعات تتميز على حسب الطبقة ، والتعليم ، والمهنة ، والعمر ، والجنس ، وعدد من المقاييس الاجتماعية الأخرى .

التعليم ، والمهنة ، والطبقة الاجتماعية

Education, occupation, socialclass

من المهم أن تعلم على سبيل المثال ما إذا كانت مجموعة من الناطقين يشتركون في بعد تعليمي واحد ، فقد وجد في بعض المسح اللهجي أنه بين الذين تركوا النظام التعليمي في سن مبكرة ، ميل عظيم لاستعمال صيغ غير شائعة نسبياً في كلام الذين واصلوا تعليمهم حتى الكلية ، فتعبيرات تشتمل على نحو :

Them boys throwed some thin

أكثر شيوعاً في كلام المجموعة الأولى عن الأخيرة ، وتفسير ذلك فيما يبدو أن الشخص الذي يقضي وقتاً طويلاً خلال الكلية أو الجامعة سيميل إلى التحدث بملامح لغوية مأخوذة من معايشته الطويلة للغة المكتوبة ، والشكوى أن بعض الأساتذة " يتكلمون مثل الكتاب" إدراك لشكل غالب لهذا النفوذ **influence** .

ومما يتصل بالتعليم ، الاختلافات الوظيفية ، والطبقة الاجتماعية ، التي لها بعض التا. على كلام الأفراد ، فلكل وظيفة قدر معين من لغيَّة **Jargon** يصعب فهمها على غير أهلها ، ومن الأمثلة الدالة على دور المهنة في تحديد الكلام . نداء النادل على :-

a Bueket mud , draw one , hold the cow .

في مطعم، تنوعٌ على طلب العميل " أيس كريم بالشيكولاتة ، قهوة بدون مبيض " .

وقد ربطت دراسة مشهورة قام بها لابوف (١٩٧٢) بين عناصر من مكان الوظيفة والمستوى الاجتماعي الاقتصادي ، بالنظر إلى فروق النطق بين البائعين في ثلاثة محلات بمدينة نيويورك ، ساكس (مستوى راق) ، ماكيز (مستوى متوسط) ، وكلينز (

مستوى متواضع) ، وقد وُجدت بالفعل فروق قياسية ، وفي الإنجليزية البريطانية حيث تتسع فروق الطبقة الاجتماعية في الكلام بصورة ملحوظة أكثر من الولايات المتحدة فإن استعمال [n] مقابلاً لصوت [ŋ] لنطق ing - في نهاية كلمات مثل يمشي walking ، يذهب going ، يشيع بين الناطقين من الطبقة العاملة في تنوعات محلية متعددة أكثر من الناطقين من الطبقة المتوسطة .

العمر ، الجنس :- Age , Sex

ومع ذلك، فحتى في داخل مجموعات من الطبقة الاجتماعية نفسها ، يمكن أن نجد فروقاً أخرى ، تبدو مرتبطة بعوامل مثل أعمار الناطقين أو جنسهم فكثير من صغار الناطقين الذين يعيشون في منطقة معينة يتأملون نتائج المسح اللهجي لمنطقتهم (أجرى المسح مع رواة كبار) ويزعمون أن أجدادهم كانوا يستعملون تلك الألفاظ ، ولكنهم هم لا يستعملونها ، فالتنوع بالنسبة للعمر ملحوظ عبر فترة ما بين الأجداد والأحفاد ، فبينما يظل الجد يتحدث عن صندوق الثلج icobox أو الراديو wireless فإنه سيحيره بعض كلام حفيدته التي تحب أن تأكل pigout ما يكون بالثلاجة fridge وهي تستمع إلى صندوقها المدوي her boom box. -

... ـنوعات المتصلة بالجنس ، فهي بؤرة اهتمام كثير من الأبحاث الحديثة ومن النتائج ...مة لعدد من المسح اللهجي أن الناطقين من الإناث أميل من الذكور إلى استعمال صيغ الوجاهة prestigious مع تساويهما في البعد الاجتماعي العام وكذلك وجود صيغ مثل Idone it ، he ain't غالباً في كلام الذكور وصيغ مثل : I didit ، he isn't في كلام الإناث وفي بعض الثقافات توجد فروق أكثر تحديداً بين كلام الذكور والإناث فقد ثبتت اختلافات بينة في النطق بين كلام الذكور والإناث في بعض اللغات الهندية الأمريكية الشمالية مثل جروس فنتر وكواساتي وعندما صادف الأوربيون بالفعل لأول مرة المفردات المختلفة لنطق الذكور عن الإناث بين هنود الكاريبي أفادوا أن

الأجناس المختلفة تستعمل لغات مختلفة، فما وجد في الواقع ما هو إلا صورة من تنوع حسب جنس المتكلم .

البعد العرقي Ethnic background

تظهر في داخل المجتمع فروق أخرى بسبب مختلف الأبعاد العرقية وبطريقة أوضح فكلام المهاجرين الجدد وكذلك أطفالهم غالباً سيحمل ملامح مميزة وفي بعض المناطق التي يوجد بها ولاء لغوي قوي للغة الأصلية للمجموعة ،سينتقل عدد كبير من الملامح إلى اللغة الجديدة ،وعموماً فكلام الأمريكان السود ويطلق عليه إنجليزية السودblack English لهجة اجتماعية واسعة الانتشار، غالباً ما تتجاوز الفروق الإقليمية وعندما تقع مجموعة داخل المجتمع تحت شكل من أشكال العزل الاجتماعي مثل ما عاناه الأمريكان السود من التعصب والتمييز العنصري طوال تاريخهم فإن فروق اللهجة الاجتماعية تصبح أكثر تحديداً، ومن الوجهة الاجتماعية فإن المشكلة القائمة هي أن تنوع الكلام الناتج يمكن أن يصمم stigmatized بأنه " كلام رديء " ومن أمثلة ذلك الغياب الكثير للرابطة (صور فعل الكينونة) في إنجليزية السود مثل : they mine إنهم لي ، you crazy أنت مجنون ، وتتطلب الإنجليزية الفصحى استعمال صيغة (are) في هاتين العبارتين ومع ذلك فهناك لهجات إنجليزية أخرى كثيرة لا تستعمل الرابطة في مثل هذه الجزا وكذلك عدد كبير من اللغات (مثل العربية والروسية) لها تراكيب مشابهة بدون الرابط ، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تكون إنجليزية السود " رديئة " إلا أن تعتبر الروسية " رديئة " والعربية " رديئة " ولأنها لهجة فهي ببساطة ذات ملامح تختلف كل الاختلاف عن الفصحى .

والناحية الأخرى من إنجليزية السود التي كانت محلاً للنقد أحياناً من قبل المتعلمين استعمال النفي المزدوج مثل : he don't lknow no thing إنه لا يعرف شيئاً أبداً أو I ain't afraid of no ghosts لا أخاف من الأشباح.

وموضع النقد هنا هو أن هذه التراكيب "غير معقولة" وإذا كان ذلك كذلك فالفرنسية تستخدم بالضبط صيغة النفي المزدوج كما في المثال :

il NE sait RIEN (لا يعرف أى شئ) وكذلك الإنجليزية القديمة بها النفي المزدوج كما في Ic NAHT singan NE cube (ما عرفت أن أغنى) ويلزم اعتبارها أيضاً "غير معقولة" وفى الواقع وبعيداً عن كونها غير معقوله يعدنا هذا التركيب بوسيلة فعالة للغاية في تأكيد جانب النفي من الرسالة في هذه اللهجة ،فهي في الأساس ملمح لهجي موجود في إحدى اللهجات الاجتماعية للإنجليزية ،ويوجد أحياناً في لهجات أخرى ولكن لا يوجد في اللغة الفصحى .

لهجة الفرد Idiolect

تتجمع بالطبع كل عناصر التنوع اللهجي الاجتماعي والإقليمي بشكل أو بآخر في كلام كل فرد، ويستعمل مصطلح لهجة الفرد للهجة الشخصية لكل فرد ناطق بلغة، وهناك عوامل أخرى كطبيعة الصوت والحالة الفيزيائية التي تسهم في إبراز الملامح المميزة في كلام الفرد ،ولكن كثيراً من العوامل الاجتماعية التي تعرضنا لها تحدد لغية كل شخص idiolect فمن النظرة المعيارية للدراسة الاجتماعية للغة ولاعتبارات كثيرة أنت ... ول .

لأسلوب والسجل اللغوي style and register

كل ما استعرضناه من عوامل اجتماعية يتعلق بتنوعات حسب مستعمل اللغة ،وهناك مصدر آخر للتنوع في لغة الفرد يتصل بموقف الاستعمال، فهناك تدرج لأسلوب الكلام من غاية الرسمية إلى غاية عدم الرسمية، فإذا كنت ذاهباً لمقابلة من أجل وظيفة فستقول للسكرتيرة .

Excuse me , is the manager in his office ? I have an appointment .

عفواً هل المدير في مكتبه لدي مقابلة، وفي المقابل عند حديثك لصديق عن صديق آخر :

Hey, is that lazy dog still in bed ?

أما يزال هذا الكلب نائماً في السرير

وهذا النوع من التنوع يتحول أكثر رسمية في بعض اللغات عن لغات أخرى، ففي اليابانية على سبيل المثال تستعمل ألفاظ مختلفة للشخص الذي تتحدث إليه على حسب قدر الاحترام أو الاختلاف الذي تود أن تظهره، وفي الفرنسية ضميران (tu and vous) في مقابل المفرد you أنت ، والأول للأصدقاء الأقربين والعائلة ويمكن أن نرى فروقاً مشابهة في صيغة أنت you في الألمانية (du and sie) وفى الأسبانية (tu and usted).

وعلى الرغم من أنه ليس بالإنجليزية مثل هذا التميز بالضمائر فإنه متاح لك اختيارات عددة للإشارة إلى الحالة الملائمة للشخص الذى تخاطبه ،فلدينا جميعاً جملة أسماء أو "ألقاب" يستعملها مختلف الناس في مختلف الأوقات للفت انتباهنا ،ولتوضيح هذا الجانب مما يطلق عليه أحياناً تحول الأسلوب حسب دور العلاقة تخيل نفسك في كل من "الأدوار " المبينة في القائمة التالية وحدد أى صيغة خطاب (أو صيغ) يمكن أن تستعملها لذلك الشخص الذي كتبت أسماؤه المتعددة على اليسار .

١- يتصل خياط ليقول إن البدلة الجديدة جاهزة .	رون
٢- صديق عزيز لسنوات طويلة.	مستر ريجان
٣- حفيده الصغير.	رونالد
٤- ضابط تدريب بالجيش	جرانب
٥- مدرسه الأسبق في المدرسة الابتدائية	ريجان
٦- حارس المحل الذي يفكر أنه لص	روني ، بابي
٧- عميل هو ليود الأسبق	ها،أنت Hey , you

وتظهر فروق الأسلوب في اللغة المكتوبة ومن أوضح الأمثلة ما نجده في خطابات الأعمال (أكتب إليك لأعلمك **Iam writing to inform you**)على عكس خطابات الأصدقاء (أردت فحسب أن تعلم **Just wanted to let you know**)ومع ذلك فالشكل العام هو أن الشكل المكتوب من الرسالة سيكون لا محالة أكثر رسمية من المقابل المنطوق، فإذا وجدت أحد الأشخاص في الحافلة العامة يأكل ويشرب ويدير جهاز الراديو، فيمكنك أن تقول له إن ما يفعله غير مسموح به، وأن عليه أن ينتظر حتى يخرج من الحافلة أو بدلاً من ذلك أن تلفت انتباهه للغة الأكثر رسمية للافتة المطبوعة التي تقول.

"لقد أصدرت المدينة في الآونة الأخيرة أمراً بمنع الأمور التالية منعاً قاطعاً في المواصلات العامة وهي" الأكل والشرب وكذلك تشغيل الأجهزة الالكترونية"

إن رسمية العبارات كما في مثل المنع القاطع والأجهزة الالكترونية واضحة أثر منها في اللغة المنطوقة .

والتنوع الحاصل على حسب الاستعمال في مواقف خاصة يُدرس أيضاً تحت مصطلح السجل **register** فهناك السجل الديني الذي نتوقع فيه عبارات لا توجد في موقع آخر كما في : سيباركك في أوقات المحنة

ye shall be blessed by him in times of tribulation ?

ى سجل آخر قد تصادف جملاً مثل : الادعاء جاهز لأخذ مكان الشاهد .

The plaintiff is ready to take the witness stand?

ومع ذلك فالسجل التشريعى على عكس ذلك يدخل بعض التعبيرات التي تألفها من السجل اللغوى مثل : تصريف هذه اللهجة يحتوى على لواحق إعرابية، وعموماً فاختيار السجل عندما تتكلم له تأثير مباشر على الأسلوب الذي تتحدث به .

الازدواج اللغوى Diglossia

وبأخذ كل العوامل الاجتماعية السابقة في الحسبان، قد نتخيل أن التدبر لقول الشئ المناسب للشخص المناسب في الوقت المناسب إنجاز اجتماعي بارز وهو كذلك لبعض الاعتبارات إنها المهارة التي ينبغي على مستعملي اللغة أن يكتسبوها متغلبين على المهارات اللغوية الأخرى للنطق والقواعد، ومع ذلك يكون الاختيار في بعض المجتمعات للصيغ اللغوية الملائمة غير موفق كثيراً بسبب الازدواج اللغوي diglossia ويستعمل هذا المصطلح لوصف موقف يتعايش معاً فيه تنوعان لغويان مختلفان للغاية في مجتمع الكلام، لكل منهما مدى محدد من الوظيفة الاجتماعية، حيث يوجد بصورة طبيعية تنوع أرقى للحالات الرسمية أو الجادة ،وتنوع "أدنى " للمحادثة والاستعمالات غير الرسمية الأخرى.

ومن أشكال الازدواج اللغوي ما هو موجود في معظم البلاد الناطقة بالعربية، حيث يستعمل التنوع الأرقى أو الفصيح في المحاضرات والأحاديث الدينية والخطب السياسية الرسمية، في حين يُعد التنوع الأدنى اللهجة المحلية للعامية العربية ،وفى اليونانية يوجد أيضاً تنوع أرقى وتنوع أدنى (أو demotic) وفي بعض المواقف قد يكون التنوع الأرقى لغة منفصلة كل الانفصال وخلال فترات طويلة من تاريخ أوربا الغربية وجد موقف الازدواج اللغوي مع اللاتينية بوصفها تنوعاً أرقى ولغات محلية مثل الفرنسية والإنجليزية بوصفها تنوعاً أدنى. ويوجد في باراجواى هذه الأيام شكل من أشكال الازدواج اللغوي متمثلاً في الأسبانية تنوعاً أرقى، والجوارانية (إحدى لغات الهند) تنوعاً أدنى .

اللغة والثقافة Language and culture

يحث كثير من العوامل التي تؤدي إلى التنوع اللغوي أحياناً ضمن ما يعرف بالفروق الثقافية ،ومن المعتاد أن تجد ملامح لغوية بوصفها جوانب تميز ثقافة الطبقة العاملة أو "ثقافة السود" مثلاً ولاعتبارات كثيرة تتأثر هذه النظرة بعمل الأنثر و بولوجي الذى يميل إلى معاملة اللغة على أنها عنصر من بين عناصر أخرى كالمعتقدات، وذلك ضمن تعريف

الثقافة بأنها "المعرفة المكتسبة من المجتمع " وبالنظر إلى عملية التوصيل الثقافي التي تكتسب بها اللغة فمن المقبول التأكيد على أن التنوع اللغوي مرهون كثيراً بوجود ثقافات مختلفة، ولقد بات واضحاً في دراسة ثقافات العالم أن القبائل المختلفة ليس لها لغات مختلفة فحسب، بل لها رؤى مختلفة عن العالم تنعكس في لغاتهم ،وبيساطة شديدة ليس للأذتكيابن شكل في ثقافتهم مثل بابا نويل Santa Claus وليس لديهم كلمة لهذا الشكل، وفي إطار مفهوم أن اللغة تعكس الثقافة فهذه ملحوظة مهمة للغاية ،ولا ينبغي إهمال وجود رؤى للعالم مختلفة عند دراسة مختلف اللغات ،أو التنوعات اللغوية، ومع ذلك فمن النظريات ذات التأثير نظرية الربط بين اللغة ونظرة العالم وهي تفترض علاقة أكثر تحديداً .

الحتمية اللغوية linguistic determinism

إذا ظهر أن للغتين اتجاهات مختلفة لوصف وجهة العالم، فستكون النتيجة أنك بتعلمك إحدى هاتين اللغتين، أن الطريقة التي تنتظم بها لغتك ،ستحدد كيف تدرك انتظام العالم ، بمعنى أن لغتك ستمدك بنظام جاهز لتصنيف ما تدركه، وتكون النتيجة عليك أن تدرك العالم حولك من خلال تلك التصنيفات وحدها ،وعلى هذا فلديك نظرية لغوية ـ عليها الحتمية اللغوية linguistic determinism وهي في صورتها الأقوى ـرر أن "اللغة تحدد الفكر" وبإيجاز يمكنك قصر التفكير على التصنيفات التي تتيح لك لغتك أن تفكر فيها .

ومن الأمثلة التي يستشهد بها كثيراً والتي تدعم هذه النظرة عدد الكلمات في لغة الاسكيمو التي تعبر عما يقال في الإنجليزية ثلج snow فعندما تنظر بوصفك ناطقاً بالإنجليزية إلى مناظر الشتاء سترى شيئاً أبيض واحداً يسمى ثلج snow أما الأسكيمو الذي يرى مناظر مشابهة فإنه يرى عدداً كبيراً من أشياء مختلفة، وهو يفعل ذلك كما يقال لأن لغته تتيح له أن يصنف ما يراه بخلاف الناطق بالإنجليزية، وسوف نعود إلى هذا المثال.

فرض سابير – وورف Sapir-whorf hypothesis

الفكرة العامة التي نحن بصددها جزء مما صار معروفاً بفرض سابير–وورف فإدوارد سابير وبنيامين وورف قد طلعا في الثلاثينيات بنتيجة مفادها أن لغة الهنود الأمريكان على سبيل المثال، أدت بهم إلى أن ينظروا إلى العالم نظرة تختلف عن نظرة هؤلاء الناطقين بلغات أوربية، ولنتأمل مثالاً لهذا الاستنتاج ، فقد زعم وورف أن هنود الهوبي في أريزونا أدركوا العالم بطريقة تختلف عن القبائل الأخرى (مثل القبائل الناطقة بالإنجليزية) لأن لغتهم أدت بهم إلى ذلك وفي قواعد لغة الهوبي تفريق بين الكائن الحي animate وغير الحي in animate ومن بين مجموعة الكائنات المصنفة على أنها "حية" السحب والحجارة فاستنتج وورف أن الهوبي يعتقدون أن السحب والحجارة كائنات حية (تعيش) وأن لغتهم هي التي ساقتهم إلى هذا الاعتقاد، والآن لا تحدد الإنجليزية في قواعدها أن السحب والحجارة كائنات حية ولهذا فإن الناطقين بالإنجليزية لا يرون العالم بالطريقة نفسها التي يراه بها الهوبى Hopi ، يقول وورف:" نحن نشرّح الطبيعة في خطوط ترسمها لنا لغاتنا الأم "

ولقد قدم عدد من الاعتراضات arguments على هذه النظرة ، ومنها ما قدمه سامبسون (١٩٨٠) ، فتخيل قبيلة تتميز فروق الجنس فيها نحوياً ، ولهذا فالألفاظ المستعملة للإناث لها علامات خاصة في اللغة ، والآن ستجد أن " علامات التأنيث " هذه تستعمل أيضاً مع ألفاظ الحجارة والباب ، وقد نستنتج أن هذه القبيلة تعتقد أن الحجارة والأبواب كائنات أنثوية كالبنات والنساء سواء بسواء ، وربما كانت هذه القبيلة معروفة لك ، فهم يستعملون عبارات la femme (السيدة) , la pierre (الحجارة) و la porte (الباب) إنها القبيلة التي تعيش في فرنسا ، فهل تعتقد أن الفرنسيين يعتقدون أن الحجارة والأبواب " إناث " مثل النساء ؟

ومشكلة النتائج في كل مـن المثالين ، وجـود خلـط بين التصنيفـات اللغوية (حيـوان ، مؤنث) والتصنيفات البيولوجية (حي ، أنثى) ، ويوجد بالطبع توافق عـام فـي اللغـة بين هذه التصنيفات ، ولكن لا يجب أن يوجد، بالإضافـة إلى أن التصنيفـات اللغويـة لا تجبرك على تجـاهل التصنيفـات البيولوجيـة ، فبينمـا للغة الهوبـى Hopi فصلية لغوية خاصــة للحجارة ، فهـذا لا يعنـي أن الهوبـي يعتقـد أنـه يقتـل مخلوقـاً حيـاً عندمـا يدهـس حجـراً بسيارته.

وبالعودة إلى الإسكيمو و الثلج " snow " ندرك أن الإنجليزى ليس لديه عدد كبـير مـن الألفاظ المفردة للأنواع المختلفة من الثلج ، ومع ذلك ، فإن الناطق بالإنجليزية ، قادر علـى إبداع تعبيرات بممارسة لغته ، ليشير إلى الثلج الرطب wet snow ، ومسـحوق الثلـج powdery snow ، وثلج الربيع spring snow ، وهكذا فليس لناطق الإنجليزيـة المتوسط نظرة مختلفة عن نظرة الناطق المتوسط للغة الإسـكيمو ، وهـذا انعكـاس لخبراتهم المختلفة في البيئات الثقافية المختلفة ، وفكرة أن اللغة تحدد الفكـر صحيحـة إلى حـد مـا ، وبطريقة محدودة للغاية ، ولكنها تقصر في أن تأخذ في الحسبان تلك الحقيقـة القائلة بـأن مستعملي اللغة لا يرثون مجموعة ثابتة من الأنمـاط لاستعمالها ، فهـم يرثـون القـدرة علـى الممارسة والإبداع في اللغة ، لكي يعبروا عن إدراكاتهم .

ـان الفكر والإدراك قد حددتهما اللغة كلية ، فإن مفهوم التغير اللغوى سـيكون غـير ـكن ، فإذا لم يكن لدى الهوبي كلمة في لغته عن الشـئ المعروف لدينا على أنـه bus (حافلة) ، فهل سيفشل في إدراك الشئ ؟ وهل سيعجز عن التفكير فيه ؟ ما يفعلـه الهوبـى عندما يصادف شيئاً جديداً هو أن يغير لغته للتكيف مع حاجته للإشارة إلى الشئ الجديد ، فالإنسان يمارس اللغة ، وليس شيئاً آخر حوله .

العموميات اللغوية **Language universals**

بينما أدرك كثير من اللغويين المدى الذى تتعرض فيه اللغات للتغير ، فقد أشاروا إلى المدى الذى تتسم فيه كل اللغات بخصائص معينة مشتركة ، تلك الخصائص المشتركة التى يطلق عليها العموميات اللغوية **language universals** ، ويمكن تعريفها من ناحية بأنها تلك الملامح البارزة من اللغة التى بحثناها فى الفصل الثالث ، وعلى الخصوص فكل لغات البشر يمكن أن يتعلمها الأطفال ، وتستعمل نظاماً اعتباطياً من الرموز ، ويمكن استعمالها فى إرسال الرسائل واستقبالها من قبل مستعمليها ، ومن ناحية أخرى لكل لغة مكونات إسمية ومكونات فعلية، تنتظم داخل مجموعة محدودة من الأنماط لإنتاج تعبيرات معقدة ، وفى هذه الآونة ، كثير مما يعرف عن السمة العامة للغات يظهر فى شكل علاقات معينة مستقرة ، فعلى سبيل المثال ، إذا استعملت لغة أصواتاً احتكاكية ، فإنها تستعمل أيضاً الأصوات الوقفية ، وإذا وضعت لغةٌ المفاعيل بعد الأفعال ، فإنها تستعمل كذلك حروف الجر ، وباكتشاف الأنماط الكلية من هذا النوع ، فليس من الممكن فحسب فى يوم من الأيام ، شرح قواعد اللغات كلها ، بل النحو المستقل بلغة الإنسان .

المراجع

الفصل الأول

For a fuller introductory account of views on language origin, chapter 10 of Bolinger (1975) provides an accessible treatment. A full account of the natural sounds source can be found in Diamond (1965), and more technical accounts of physiological development are presented in Lenneberg (1967) and Lieberman (1975). On some of the more specific points, a collection of readings edited by Salus (1969) contains selections from Plato (on 'natural sounds'), Rousseau (on 'cries of emotion'), Herder (against the 'natural cries' approach), plus a translated extract from Herodotus, describing the experiment conducted by Psammetichus. The original arguments for a 'gesture theory of speech' are to be found in Paget (1930), and for the distinction between interactional and transactional functions, see Brown & Yule (1983a).

الفصل الثاني

An accessible introductory account of the development of writing is available in Chapter 7 of Hughes (1962). A standard textbook is Gelb (1963). Another accessible account is Ullman (1969), and a much more comprehensive work is Diringer (1968). A historical survey of the archaeological discoveries relevant to the study of writing is presented in Pedersen (1972). For an original account of the role of clay tokens in the development of writing, see Schmandt-Besserat (1978). A good facsimile edition of Egyptian writing can be found in Budge (1913). A reproduction of the full Cherokee syllabary can be found in Gleason (1961). For a discussion of spelling reform, see Robertson & Cassidy (1954). A very comprehensive, and consequently rather technical, account of the history and variety of writing systems is to be found in Jensen (1970).

الفصل الثالث

An introductory treatment of the properties of language and a discussion of the communication systems of bees, birds and primates can be found in Akmajian, Demers & Harnish (1984). The fullest treatment of the topic is to be found in the work of Hockett (1958; 1960; 1963). More specifically, on the distinction between communicative and informative signals, see Chapter 2 of Lyons (1977) which also has, in Chapter 3, a summary of views on the properties of language. For the original studies on bee communication, see von Frisch (1962; 1967). The source of the term 'double articulation', used sometimes in place of 'duality', is Martinet (1964). On the significance of 'productivity' and a discussion of what might be 'innate' about human language, consult Chomsky (1965; 1983) or Chapter 2 of Aitchison (1976), which also has extended discussion of human versus animal language.

الفصل الرابع

For a general overview, there is Linden (1976), or the more comprehensive volume edited by Sebeok & Sebeok (1980). More specifically, life with Gua is described in Kellogg & Kellogg (1933), with Viki in Hayes (1951). On the original Washoe project, see Gardner & Gardner (1969), or more recently, Gardner & Gardner (1978). On Sarah, see Premack & Premack (1972), and on Lana, see Rumbaugh (1977). For Nim's experiences, see Terrace (1979) which is reviewed very critically by Gardner (1981). On Hans, see Pfungst (1911), and on Buzz and Doris, check Evans & Bastain (1969). The quotation from Chomsky, and a fuller version of his ideas on the matter, can be found in Chomsky (1972).

الفصل الخامس

Introductory treatments of phonetics can be found in any basic linguistics textbook, for example, Fromkin & Rodman (1983), Chapter 2 or Lehmann (1983), Chapter 3. The standard textbook is Ladefoged (1982). Alternatives are Roach (1983) or Abercrombie (1967). A programmed introduction, designed for independent study, was produced by Buchanan (1963) and an introduction to the more general area of speech science can be found in Borden & Harris (1980). Another simple and practical text, based on British English, is O'Connor (1973). Prator & Robinett (1985) is a basic introduction to the pronunciation of American English, designed for those learning English as a second language. For an overview of aspects of acoustic and auditory phonetics, try Denes & Pinson (1973) or Fry (1979).

الفصل السادس

Most of the works listed in the Further reading section of Chapter 5 also contain some treatments of phonology, with Ladefoged (1982) as a particularly useful introduction. Additional introductory treatments can be found in Callary (1981) and in Chapter 4 of Akmajian, Demers & Harnish (1984). The standard textbook on the subject is Hyman (1975). All these introductions provide some account of specific systems of rules for associating a phonological with a phonetic level of representation. If you wish to tackle one of the major original (but rather technical) works on this aspect of phonology, try Chomsky & Halle (1968). For an illuminating account of assimilation and elision in spoken English, see Brown (1977).

الفصل السابع

There are a number of general treatments of word-formation in English, with the textbooks of Adams (1973) and, more recently, Bauer (1983) as good examples. A more technical treatment is offered by Aronoff (1976). Comprehensive reference works are Marchand (1969) or Quirk *et al.* (1972), Appendix 1, which is mainly based on British English. For American English, the journal *American Speech* regularly carries articles on word-formation. For an exhaustive survey of contemporary examples of conversion, see Clark & Clark (1979) and on infixing in English, see McMillan (1980). A good survey of attitudes toward 'good' and 'bad' English usage can be found in Finnegan (1980). A comprehensive bibliography of works dealing with word-formation can be found in Stein (1973).

الفصل الثامن

Most introductory linguistic texts have a section on morphology, for example, Chapter 4 of Fromkin & Rodman (1983) or Chapter 3 of Akmajian, Demers & Harnish (1984). An array of interesting exercises involving a wide variety of different languages can be found in Gleason (1955). A particularly clear presentation of the relationship between morphemes and morphs is in part 2 of Brown & Miller (1980) and why the distinction is necessary is covered in Chapter 5 of Lyons (1968). A comprehensive textbook on the subject is Matthews (1974). Interest in morphology was much greater in earlier works on language and you might like to go back to Bloomfield (1933) for one approach and then try Hockett (1954, 1958) for another. If your interest in Swahili has been aroused, a relatively brief and very clear introduction to the language can be found in Hinnebusch (1979).

الفصل التاسع

A clear introductory survey of grammar is presented in Palmer (1971). For more extended, and more technical, discussions of grammatical categories, try Chapters 5 and 6 of Robins (1964) or Chapter 7 of Lyons (1968). A really clear treatment of constituent structure is available in Brown & Miller (1980), which can also be consulted on Gaelic sentence structure. One attempt to modify the traditional concept of the 'parts of speech' can be found in Jespersen (1924),

and for a more recent attempt, try Chapter 11 of Lyons (1977). A good reference grammar for contemporary English is the comprehensive work by Quirk *et al.* (1972), or in a shorter version, by Quirk & Greenbaum (1973). There is also a textbook by Huddleston (1984). An interesting recent grammar book for teachers of English as a second language is that of Celce-Murcia & Larsen-Freeman (1983). For some insight into early approaches to the description of American Indian languages, go back to the introduction to Boas (1911).

الفصل العاشر

All introductory textbooks in linguistics have a section on syntax, for example, Chapter 7 of Fromkin & Rodman (1983) or Chapter 5 of Akmajian, Demers & Harnish (1984). For more detailed introductory treatments, try Chapter 6 of Lyons (1968) or Brown & Miller (1980). There are two more advanced texts on syntax, by Culicover (1976) and Matthews (1981), but neither is particularly easy. Perhaps a more useful reference work is Stockwell, Schachter & Partee (1973). The best overview of Chomsky's work is Lyons (1978), or, if you wish to read selections from Chomsky's different publications, try Allen & van Buren (1971). The basic original works are Chomsky (1957; 1965). On matters transformational, try Akmajian & Heny (1975) or Huddleston (1976). For arguments against the Chomskyan approach to linguistic description, try Moore & Carling (1982) or Chapter 6 of Sampson (1980).

الفصل الحادى عشر

There are a number of general introductions to the study of semantics. There is a good basic coursebook by Hurford & Heasley (1983), or more general treatments in Palmer (1981) and Leech (1974). The latter has an extended discussion of different types of 'associative' meaning. For specific analyses, using semantic features, try Bever & Rosenbaum (1971) or, using lexical relations, try Lehrer (1969). The most comprehensive work on the subject, and consequently quite difficult, is Lyons (1977). Two other, rather technical treatments of the issues are Kempson (1977), on semantic theory, and Levinson (1983), on pragmatics. More specifically, for a critique of the 'container' view of word-meaning, see Moore & Carling (1982); on the interpretation of language in context, see Brown & Yule (1983a); and for the original ideas behind the concept of speech acts, see Austin (1962).

الفصل الثانى عشر

Introductions to discourse analysis with an emphasis on the study of spoken discourse are Coulthard (1977) and Stubbs (1983). A standard textbook is Brown & Yule (1983a). On cohesion, see Halliday & Hasan (1976), on speech events, Hymes (1964), on implicatures, Levinson (1983), and on conversational style, Tannen (1984). Other more specialized approaches can be found in Sinclair & Coulthard (1975), de Beaugrande & Dressler (1981), Sanford & Garrod (1981) and Gumperz (1982).

الفصل الثالث عشر

There are no easy, non-technical introductions to this subject. Fairly accessible accounts are provided by Hendrix & Sacerdoti (1981) and Winograd (1984), and a relatively accessible survey of the field can be found in Boden (1977). Another good general work is Weizenbaum (1976), which has a description of ELIZA. More specifically, on speech synthesis, see Flanagan (1972), on artificial intelligence, see Winston (1977), on SHRDLU, see Winograd (1972), and on other aspects of understander-systems, see the contributions in Schank & Colby (eds.) (1973). A speculative view of what may be modeled next is provided by Schank (1982). A general work on the history of artificial intelligence is McCorduck (1979).

الفصل الرابع عشر

Introductory accounts of the relationship between language and the brain can be found in Bayles (1984) or Geschwind (1972). More technical treatments which are nevertheless quite accessible are Brookshire (1978) or Caramazza & Berndt (1982). For one of the clearest accounts of the localization view, see Geschwind (1979). Penfield & Roberts (1959) provide a detailed account of their investigations. A wealth of interesting case histories involving aphasia can be found in

Weisenberg & McBride (1964). On the tip-of-the-tongue phenomenon, see Brown & McNeill (1966), on Malapropisms, see Fay & Cutler (1977), and on slips-of-the-tongue, see Fromkin (1973) for a brief account, or the more comprehensive contributions in Fromkin (ed.) (1973). Kimura (1973) describes dichotic listening tests and Curtiss (1977) is about Genie.

الفصل الخامس عشر

ιood introductory treatments of language acquisition can be found in Moskowitz ı978), Chapter 4 of Aitchison (1976), or part 4 of Clark & Clark (1977). Standard :xtbooks are Brown (1973), de Villiers & de Villiers (1978) and Elliot (1981). , recent approach which attempts to explore the child's view of the acquisition rocess is Peters (1983). The original research on questions and negatives in hildren's speech can be found in Klima & Bellugi (1966), and some criticisms f the methodology are raised by Campbell & Wales (1970). A recent volume n the 'state of the art' in child language acquisition is edited by Wanner & Gleitman (1983).

الفصل السادس عشر

General treatments of the issues in L2 acquisition can be found in Oller & Richards (eds.) (1973), Richards (1978), Hatch (ed.) (1978) or Scarcella & Krashen (eds.) (1980). McLaughlin (1978) is more specifically about childhood L2 acquisition. On the teaching of English, there is an excellent historical review by Howatt (1984); examples of more general works are Mackey (1965), Corder (1973), Paulston & Bruder (1976), Stevick (1982) and McArthur (1983). Works on more specific issues of current interest are Widdowson (1978; 1983), Brown & Yule (1983b) and Krashen & Terrell (1983). On pronunciation with martinis, see Guiora *et al.* (1972), and on learners' errors and interlanguage, see Richards (ed.) (1974) or Corder (1981)

الفصل السابع عشر

A good up-to-date introduction to ASL is provided by Baker & Cokely (1980). For a well-illustrated presentation of signing, see Fant (1977), or on the form of conversational ASL, Madsen (1982). The original descriptions of ASL which really stimulated modern research are in Stokoe (1960) and Stokoe, Casterline & Croneberg (1965). For examples of recent research, see Klima & Bellugi (1979), Friedman (ed.) (1977), Lane & Grosjean (eds.) (1980) or Liddell (1980). Swisher (1984) is a good recent paper, somewhat technical, on the study of how hearing mothers cope with using Signed English to communicate with their deaf children. One of the best general works on sign language and the deaf community is Neisser (1983).

الفصل الثامن عشر

Introductory treatments of the historical study of language can be found in Chapter 7 of Langacker (1973), Chapter 9 of Fromkin & Rodman (1983) or in the textbooks by Arlotto (1972) and Lehmann (1973). More advanced texts are Anttila (1972) and Bynon (1977). For more information on the different language families of the world, consult Ruhlen (1976). For a readable account of the language and culture of the original Indo-Europeans, see Thieme (1958).

A standard textbook on the history of English is Baugh & Cable (1978), with Bolton (1982) or Myers & Hoffman (1979) as other accessible treatments. If you would like to hear how English was spoken during different historical periods, listen to the recordings which accompany Finnie (1972).

الفصل التاسع عشر

A number of good introductory texts on this subject are available, for example, Trudgill (1974) or Downes (1984). A standard textbook is Chambers & Trudgill (1980). On regional dialect surveys, see Kurath (1972) for methods used, and Kurath *et al.* (1939-43) for a detailed example of the results. For more data on the Upper Midwest, see Allen (1973-6). On American dialects in general, see Williamson & Burke (eds.) (1971), and on British English varieties, see Wakelin (1972) or Hughes & Trudgill (1979). On the Scandinavian situation, good background is provided by Haugen (1972). On Pidgins and Creoles, see Hall (1959), Bickerton (1983b), or the more technical papers in Hymes (ed.) (1971) or Valdman (ed.) (1977).

الفصل العشرون

Any introductory text on language will have a section on social factors in variation, often called 'sociolinguistics'. Trudgill (1974) and Downes (1984) are general texts, Hudson (1980) is a standard textbook. More technical treatments can be found in Labov (1972), Pride & Holmes (eds.) (1972), or Scherer & Giles (eds.) (1979). More specifically, on modern Black English, see Baugh (1983), on style and register, Gregory & Carroll (1978), on diglossia, Ferguson (1959) or Fishman (1971), on Whorf, see Carroll (ed.) (1956) and on universals, see Greenberg (1966).



رقم الإيداع: ١٩٩٩/١٥٠٥

الترقيم الدولي: I.S. B. N
977 - 19 - 78 -46 - 2

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر